

غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (١٩٨) ـ ذو الحجة ١٤١٣ (يونية) ١٩٩٣م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (198) JUNE 1993

وأذن في الناس بالحج

سر التداوي بالأعشاب

بيع العالم!؟

إلى عرفات فهذه هي السنة وأما ما يفعله حجيج
العراق في هذه الأزمان من عدولهم إلى عرفات
قبل دخول مكة لضيق وقتهم ففيه تفويت
لسنن كثيرة منها هذه وطواف القدوم و
تعجيل السعي وزيارة البيت وكثرة الصلوات
بالمسجد الحرام وحضور خطبة الإمام في اليوم
السابع بمكة والمبيت بمنى ليلة عرفة والصلوات
بها وحضور تلك المشاهد وغيره ذكر مما
سنذكره إن شاء الله تعالى المسألة الثانية
إذا بلغ الحرم فقد استحب بعض أصحابنا
أن يقول اللهم هذا حرمك وأمنك فحرمني
على النار وآمني من عذابك يوم تبعث
عبادك واجعلني من أوليائك وأهل
طاعتك ويستحضر من الخشوع والخضوع
في قلبه وجسده ما أمكنه المسألة الثالثة
إذا بلغ مكة اغتسل بذي طوى بفتح الطاء
ويجوز ضمها وكسرها وهي بأسفل مكة
في صوب طريق العمرة المعتادة ومسجد
عايشة رضي الله عنها فيغتسل بنية
دخول مكة هذا إذا كان طريقه على ذي
طوى وإلا اغتسل في غيرها وهذا الغسل
مستحب لكل أحد حتى الحائض والنفساء
والصبي وقد سبق بيانه في باب الإحرام

المسـ

المسألة الرابعة السنة أن يدخل مكة من ثنية
كداء بفتح الكاف والمد وهي بأعلى مكة ينحدر منها
إلى المقابر وإذا خرج راجعا إلى بلده خرج من ثنية
كدى بضم الكاف والقصر والتنوين وهي بأسفل
مكة بقرب جبل قعيقعان وإلى صوب ذي
طوى وذكر أصحابنا أن الخروج إلى عرفات يستحب
أيضا أن يكون من هذه السفلى والثنية هي
الطريق الضيقة بين جبلين واعلم أن المذهب
الصحيح المختار الذي عليه المحققون أن الدخول
من الثنية العليا مستحب لكل داخل سواء
كانت في صوب طريقه أم لم تكن في طريقه
فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل منها ولم تكن صوب طريقه وقد ذهب
أبو بكر الصيدلاني وجماعة من أصحابنا الخراسانيين
إلى أنه إنما يستحب الدخول منها لمن كان في طريقه
وأما من لم تكن في طريقه فقالوا لا يستحب
له العدول إليها وقالوا إنما دخلها النبي صلى
الله عليه وسلم اتفاقا وهذا ضعيف مردود و
الصواب أنه يستحب لكل أحد
المسألة الخامسة اختلف أصحابنا
في أن الأفضل أن يدخل مكة ماشيا أم راكبا
والأصح أن الماشي أفضل وعلى هذا قيل

إطلالة

«بِوادٍ غيرِ ذي زرعٍ»

ويأتي هذا المؤتمر الإسلامي المتجدد كل عام إلى ما شاء الله، تهفو إليه قلوب المسلمين، بأبعاده التربوية السامية، علاماتٍ مضيئةً توضح المعالم وتنير الطريق في سبيل تناول القضايا ومناقشة المشكلات التي تهم الأمة، لتسترشد في ذلك وتنضبط بالتوجيه الإيماني، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فجّ عميق، ليشهدوا منافع لهم ﴾ (الحج ٢٧ و٢٨)؛ وذلك منذ أن فرض الحج في السنة التاسعة من الهجرة.

والحج بهذه الأبعاد يُشعر المسلمين على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وأماكنهم أنهم أمّة واحدة، وسيظلون كذلك، يلتقون على هذه المضامين التي تحمل معاني الإيمان والفداء والمساواة.

وبين هذه المعاني، تعود الذاكرة إلى عمق التاريخ إلى ألف وأربعمائة عام بل وأكثر، وإلى مشاهد الشُعث الغُبر وقد شدّوا الرحال ليكونوا ضيوف الرحمن، قادمين من جميع الأنحاء آملين في الرجوع كيوم ولدتهم أمهاتهم، فتهون أمامهم المشاق؛ تعود بي الذاكرة إلى ذلك كلما وقعت عيناي على الإعلانات التي تناثرت هنا وهناك - هذه الأيام - فوق صفحات بعض الصحف، تعلن عن رحلات وحملات لحج هذا العام، وقد افتنّت الشركات في تقديمها، تعرض أشكال خدماتها، وقد تجاوز بعضها الحد المقبول، وكأن هذه الخدمات قد أصبحت المقصد والغاية، وذلك بالإعلان عن أنواع الحافلات «وموديلاتها» الحديثة ودرجة فخامتها، علاوة على الترويج لخدمات أخرى مثل: خيام درجة ممتازة، وجبات شهية ومشروبات مجانية، بوفيه مفتوح، مشروبات على مدار الساعة، غسيل الملابس بالمجان... إلخ!

ولولا الإعلان عن برامج الإرشاد والتوجيه في حملات الحج - في ثنايا تلك الإعلانات - كي يتجنب الحجاج ارتكاب الأخطاء والتجاوزات الشرعية، لذبلت فيها قضية الروح، ولأنست الناس «ليشهدوا منافع لهم»، ولتحولت الوسيلة إلى غاية، خاصة عندما يستوقفك إعلان كثيرا قبل أن تتبين موضوعه، إذ يبدو للوهلة الأولى - أحيانا - أنها إعلان لسلعة تجارية ما.

فالحج لا مجال فيه للترف ولا سبيل للتفاخر بالمظاهر، بل تكامل بين الظاهر المتجرد والباطن القانع الآمل، في هذا المكان الذي وصف ﴿ بوادٍ غير ذي زرع ﴾ إبراهيم ٣٧. فطبيعة المكان لا تناسب الترف وضروبه، فالمسلمون فيه سواسية في الشكل والتعلق بالهدف. إنها وحدة المصير والغاية التي لا تعرف الإقليمية ولا العصبية ولا الطبقية في هذه العبادة التي وازنت بين العناء الجسدي والمتعة الوجدانية ﴿ ثم لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وليوفوا نذورهم ولْيَطَّوَّفوا بالبيت العتيق ﴾الحج ٢٩.

فسمو الحج برفعة مقاصده لا بترف وسائله، أما الاستفادة - دون مبالغة - من التيسير الحضاري الذي فرضته تقنية العصر فأمر مقبول إذا لم تتحول الوسيلة إلى غاية، ويطغى المظهر على الجوهر. فقد يكون في الراحة المبالغ فيها نسيان للعبرة وإضعاف للوجدان، ومن ثم عدم القدرة على استيعاب كل هذه المعاني والتفاعل معها.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

مجلة الفيصل العدد (١٩٨) — ذو الحجة ١٤١٣هـ — السنة (١٧) — حزيران (يونيه) ١٩٩٣م

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

● المراسلات :

مجلة «الفيصل» ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية.

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٤٧٨٨٤ تلكس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ :

المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

• EUROPE - AMERICA - ASIA: Pakistan 20R - Turkey 6000TL - India 25RUPPE - USA and EUROPE 2$

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل».

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R.150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

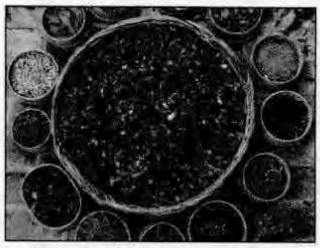
● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

• ALL CORRESPONDENCE TO:

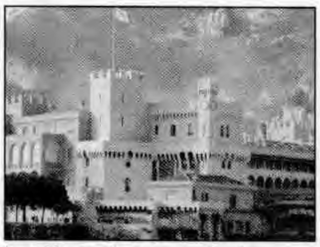
AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ. Telefax: 4647851.

في هذا العدد



ص ٧٥ التداوي بالأعشاب : عرفه الفراعنة، واشتهر به الهنود والصينيون والإغريق، وأبدع فيه العرب ونقلوه إلى أوربا.



ص ٨٠ قصر جاريمالدي (القلعة المتحف) : أراده أمراء موناكو منافسا لقصر فرساي الشهير، وخرّبه الفرنسيون، فعاد أكثر تألقًا وبهاء!



ص ٨٤ «شعب المحرمات» : أو «القوم الذين ينبغي تجنبهم»، إنهم قبيلة «الودابي» تمضي في حياتها البدائية بين أحزان الجفاف وأفراح المطر!



ص ١٠٧ الصحافة ضالعة في ظاهرة الجهل العام بالتطورات المتسارعة في حقول العلم والتقنية. هذا الاتهام يوجهه كتاب «بيع العلم»، فما حيثياته؟

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية

وظيفتها الحضارية في نهضتنا

بقلم: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي

إن بين الأدب ـ بمعناه الخلقي السلوكي الاجتماعي ـ والأدب ـ بمفهومه التصويري والتعبيري والثقافي : شعرا ونثرا ـ روابط لطيفة أليفة، وهي : الحسن والجمال الذاتي، والاستحسان أو الاستملاح الخارجي.

فالإنسان المؤدب، هو إنسان جميل الطبع، مليح الخصال، أنيق المحامد في ذاته، فهو يظفر ـ من ثَمّ ـ باستملاح الآخرين له : إعجابا وتقديرا واحتراما.

ومن مفاهيم الأدب ـ بمعناه التصويري والتعبيري ـ أنه، هو : المجمع على استحسانه، كما قال ابن فارس في «مقاييس اللغة»، لا جرم : أن هذا الاستحسان الخارجي، تقدير وفاق لما انتظمه الأدب ـ في نثره وشعره ـ من جمال يستهوي محبي الجمال.

ففي المصطلحين أو الكلمتين ـ من حيث مكانهما في الوضع والاستعمال ـ ما يتضمن الجمال والبهاء والنباهة، فمن معاني الشعر والشاعر، الفطنة والحذق، ومن معاني النثر : نثر الجوز والدر، وهو : اللؤلؤ.

الأدب والمجاورة اللفظية

ويكتسب الأدب من «المجاورة اللفظية» ما يزيد مفهومه العميق ثراء وجلوة. في «الأدْب» ـ بتسكين الدال ـ : العَجَب، وجاء فلان بأمر أدْب، أي بأمر عجب. ولعل المعنى يشي بالإبداع، ذلك أن في الإبداع ـ بداهة ـ ما يعجب الناس ويجذبهم جذب أشعة الشمس تنتشر على صفحة البحر ما بين الأصيل والغروب، فيشعر بها من نضجت في نفسه نزعة تذوق الجمال، فينثر قصة أو رواية أو مقالة رائقة، أو ينظم قصيدة رائعة.

وها هنا ضميمة نحسب أنها مهيأة للانسياب في النَّسق، هذه الضميمة، هي : أن الأدب، أن تجمع الناس على طعامك، فأصل «الأدب» الدعاء ـ كما قال ابن منظور في اللسان ـ ولذا قيل للصنيع الذي يُدعى إليه الناس : مَدْعَاة ومأدُبة.

والأدبُ الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدبا، لأنه يَأدِبُ الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح.

فالمأدبة تَجمع الناس على أطايب الطعام في عرس أو مناسبة بهيجة، والأدَبُ يَجمع الناس على نفائس التفكير والتعبير.

والطعام يغذي الجسم ويبني خلاياه، والأدب يغذي العقل والوجدان ويهذبهما.

ومن الروابط بين الأدَبَيْن ـ الاجتماعي، والتعبيري الثقافي ـ أن موضوعهما واحد، وهو : «الإنسان».

والخلاصة الموضوعية لهذه النقطة، هي : أن العلاقة بين المجالين، كالعلاقة بين القلب والشرايين : أخذ وعطاء، وتعاون على أن يظل الجسم سليما معافى فتيا قويا. فإذا اقترحنا تطبيق هذا التصور في المجال العملي، قلنا : إن على المجتمع أن يقدر قيمة الأدب، وأن يشجعه ويدعمه، وإن على الأدب أن يرتبط في نشاطه كله، وفي سائر أدائه ـ مهما تنوع قضيةً، وتفاوت مستوىً ـ أن يرتبط بالقلب، وهو : المجتمع ـ أصالة وتفاعلا وهدفا ـ ومن هنا : يتحقق التعاون البصير على الإسهام في بناء مجتمعنا ونهضتنا.

وفي ضوء ذلك، نقول : إننا لسنا من الذين يُقرِّون مصطلح «الأدب للأدب» ذلك أننا نؤمن بأنه ينبغي أن يكون لكل مسعى إنساني رشيد ـ غاية صحيحة واضحة سامية.

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية
وظيفتها الحضارية في نهضتنا

تلك واحدة بين يدي الموضوع.

والثانية : أن الأمم لا تُعرف ـ في الخارج ـ بصناعاتها وسياساتها فحسب، بل تعرف ـ كذلك ـ عن طريق آدابها.

مثلا : عُرفت بريطانيا، أو المملكة المتحدة بـ «دِكِينْز» و «شكْسبِيْر» وعرفت روسيا بـ «تولستوي»، وعرفت فرنسا بـ «فُولْتير» و «موريس ديكوبرا» وعرفت أمريكا بـ «تُوم بينْ» و «دِيل كَارنيجِي» وعرفت ألمانيا بـ «جُوتَه».

ومن قبل عرفت أثينا واليونان بالملحمتين الأدبيتين المشهورتين «الإلْيَاذَة» و «الأُودِسَّا». . لقد كان إنتاج هؤلاء وأمثالهم ـ في مجال الأدب ـ «مرآة» لتراث أممهم واهتماماتها وقضاياها.

أما الثالثة، فهي أن كل مهتم أو مشتغل بالحركات الأدبية : إقليميا وعالميا، يعلم أثر الحركة الأدبية الصهيونية في التمهيد لقيام إسرائيل، ثم خدمة الكيان الصهيوني من بعد.

عراقة الحركة الأدبية في جزيرة العرب

ولا يبرح المستقدمون والمستأخرون، يعلمون ـ وهذه هي النقطة الرابعة ـ أن الحركة الأدبية عريقة في جزيرة العرب، فمنذ أكثر من ألفي عام نضج الشعر، وظهر في هذه البلاد، فقد كان العربي مفتونا بجمال الكلمة، وكانت الكلمة القوية الفصيحة الجميلة، مضمار التنافس الشديد بين القبائل العربية، وكان شاعر القبيلة المجيد، هو : المتحدث الرسمي باسمها.

يقول حيان بن ربيعة الطائي :

لقد علم القبائل أن قومي ... ذوو جد إذا لُبِس الحديد
وأنَّا نعم أحلاسُ القوافي ... إذا استعر التنافر والنشيد
وأنا نضرب الملحاء حتى ... تُولِّي والسيوف لنا شهود

ويقول قُرَيْط بن أُنَيْف :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا

وكان هذا اللون من القريض ــ الممتاز في حبكه الفني ـ مسخرا لخدمة قضايا معروفة.

فلما جاء الإسلام بقي الأداء الفني الراقي في الشعر، ولكن تبدلت الأغراض والقضايا.

يقول حسان بن ثابت ـ بعد صلح الحديبية ـ :

عَدِمْنَا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
يُبارين الأعنّة مُصْعِدات ... على أكتافها الأسَلُ الظِّمَاء
تظل جيادنا مُتمطِّرات ... تُلطِّمهُن بالخُمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وجبريل أمين الله فينا ... وروح القدس لـه كفاء
وقال الله : قد أرسلتُ عبدا ... يقول الحق إن نفع البلاء
شهدتُ به فقوموا صدقوه ... فقلتم : لا نقوم ولا نشاء
وقال الله : قد يسرت جندا ... هم الأنصار عُرضَتُها اللقاء
لنا في كل يوم من مَعَدٍّ ... سِباب أو قتال أو هجاء
فنُحكِمُ بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء

> ”الأمم لا تعْرف خارجيًا بصناعاتها وسياساتها فقط، بل وبأدبها أيضًا“

حب الملك عبد العزيز للأدب

ونطوي القرون لننيخ المطيّ عند نهضة الملك عبد العزيز يرحمه الله.

لعل قلة من الناس تعلم أن الملك عبد العزيز، كان محبا للأدب بوجه عام، ومتذوقا للشعر بوجه خاص. وربما كان للذين لا يعلمون عذر. فقد كان الرجل مشغولا بما يشغل به عظماء الرجال، وهو إنهاض أمة بعد ركود وموات، وإقامة شرائع دين ـ هو الإسلام ـ قد خبا ضياؤها، وتوحيد بلاد ـ تشبه قارة ـ بعد طول فرقة وشتات، ورجل هذه مسؤولياته، لا يتصور أحد أنه يهتم بالأدب، بيد أن من خصائص الرجال الأفذاذ تعدد مواهبهم، وعدم إهمالهم للهوايات الرفيعة، وهم في لجة الأحداث العظام.

نعم. كان الملك عبد العزيز يتذوق الشعر.

وبدافع من عزمه على بناء نهضة متكاملة في كل مجال، وبنزوعه الخاص إلى محبة الأدب وتقديره، شجع الملك عبد العزيز الحركة الأدبية في المملكة، وكان إيجاد منابر للتعبير الأدبي هو أهم ما تحتاج إليه الحركة الأدبية، لكي تنمو وتنهض، ولقد أوجد الملك عبد العزيز هذه المنابر، ممثلة في عدد من الصحف

والمجلات، وكـان الأدب والأدباء، قوام الصحـافة في ذلك الوقت، إنتـاجا، وطاقة بشرية.

في ضـوء هذا التقـدير والتشجيع والتهيئـة، انبجست حـركة أدبيـة ريانـة بالعطاء الجزيل، كان لها أثرها في بناء النهضة ومواكبتها.

إن «الفعل» ينبـوع عظيم من ينابيع الحركـة الأدبيـة، وكانت نهضـة الملك عبد العـزيز «فعلا» تميـز بالقوة والعمـق والأصالة والعـزم وبعد الرؤيـة وسمو الأهداف، ومن هنا تجاوب معه أدباء كثر في الوطن العربي، ومن هؤلاء شكيب أرسلان، وأمين الـريحاني، والبشير الإبراهيمي، وعبـد الرحمن عـزام، وعباس محمود العقاد.

الملك عبد العزيز وتشجيع الأدباء

فإذا انتقلنا إلى الواقع، ألفيْنا أن النهضة التي أسسها الملك عبد العزيز، قد

«بمجيء الإسلام تبدّلت أغراض الشعر وقضاياه وبقي الأداء الراقي»

انـداحت مجالاتها، وأزهـرت حقولها، وتفتقت أكمامهـا، وأينع ثمـرهـا، فهل واكبتها الحركة الأدبية؟

الحق؛ أننا لا نفتأ نرى لُمَعًا أدبية في الشعر والنثر، بيـد أن الحركة الأدبية في سيـاقها العـام، ليست في المستـوى المطلوب بـالقيـاس إلى قضـايانـا، ونسب التقدم المطرد في خطوط البيان الصاعدة دوما.

والحق، أن الأدب قدم عطاء حسنـا في فترة ما بعد الملك عبد العـزيز، بيد أننـا لا نتحدث عما كـان، وعما هو كـائن ـ وصفـا ـ بل نتحـدث عما ينبغي أن يكون: مسؤولية وطموحا وأملاً.

لقد وضع الملك عبد العزيز ــ يرحمه الله ـ أسس تشجيع الأدب والأدباء في المملكة، تلك الأسـس التي طورتها الدولـة في عهد الملك سعـود ثم فيصل ثم خالد ـ يرحمهم الله ـ وبلغت ذروة التشجيع والعطاء والدعم في عهد الملك فهد ابن عبد العزيز، وسمو ولي عهده الأمين أيدهما الله، ووفقهما لكل خير.

ولم تكن إقامة النوادي الأدبية والثقـافية في المملكة، إلا تشجيعًا ودعما من الدولة للحركة الأدبية . .

وبدهي، أن هذه الأنديـة وسائل وأوعية لنشاط أدبي كثيف رفيع، ومعنى ذلك، أن وجود الوسائل والأوعية يحمِّل الحركـة الأدبية مزيدا من المسؤولية تجاه الإنتاج الأدبي المتنوع الحقول والمضامين والصور.

إن الحركـة الأدبيـة، ينبغي أن تتقـد جذوتها، لتنهض مـن جديـد نهضـة وضيئة الصـورة، راقية المضمـون، مواكبـة لمستوى التقـدم الذي وصلـت إليه المملكة بحمد الله وتوفيقه. ثم بعزيمة قادتها ورجالها المخلصين:

إذا مـــا كنت في أمـــر مَـــرُوم ... فــــلا تقنـع بما دون النجـــوم

ما السبيل إلى ذلك؟

السبيل هو أن يكـون للحركـة الأدبية قضية أو قضـايا، تستبينهـا ابتداء، وتتفاعل معها، وتفتن في خدمتها.

الأدب في خدمة قضايانا

والقضايا مـن الكثرة، والتنوع، والاستمرار، بحيث تستغـرق جهود الحركة الأدبية عقودا بعد عقود.

ويـؤودُنـا ــ الآن ــ إحصـاء القضـايـا التي ينبغي أن يجنـد الأدب نفسـه لخدمتها، فليس أمامنا ـ والحالة هذه ـ إلا التمثيل:

هناك قضية، هذه «الأرض الطاهـرة»، فليس لأحد من الناس، مثل هذه الأرض التي نحيا فوق ثراها، لأنه لا يوجد في غير هذه الأرض المسجد الحرام، حيث أول بيت وضع للنـاس، وحيث قبلـة الصـلاة، وشعائر الحج والمسجـد

إن هـذه القضيـة، تتطلب نشاطـا أدبيـا ذكيـا لماحًا، يبتغي غـرس هـذه المفـاهيم في وجدان الأجيـال، حتى تقدر عظمـة الجهود السـابقة من جهـة، ولكي تـواصل هي ذاتها مسيرة البنـاء بمـزيـد من الجد والعمل، مبتعـدة عن نقائص التفريط والاسترخاء من جهة أخرى.

تطوير الأدب: مضمونا وشكلا

وهناك قضية «تطوير» الأدب في تراثنا الخاص، وتراث الأمة العام.

وهذا التطوير المطلوب ذو مستويين:

١ ـ مسـتوى المضمون، فإن مضامين الأدب تختلف من زمـان إلى زمان، وفقا لاختلاف القضـايا والموضوعات بين الأزمنة المتـلاحقة، وليس لجيل سابق أن يمنع أو يغني عن اجتهاد جيل لاحق في هذا المجال.

٢ ـ مستـوى الأسلوب والشكل، فإن الأصل في هذا المستوى التجـديد لا التقليد.

وهنـاك قضية؛ تحصين وجـدان الأمة وضميرهـا وذوقهـا من الآثار السيئـة لآداب أمم أخرى. فـالأدب ــ كما قلنا آنفـا ــ مـرآة لقيم الأمة، ومبـادئهـا، وأخلاقها، وأعرافها، ومما لا شك فيه، أن هناك اختلافا كثيرا ـ في وجوه كثيرة ـ بين قيمنـا وأعـرافنـا، وقيم أمم أخـرى وأعـرافهـا، فـإذا سمحنـا لهذه القيم والأعراف بالتمكن في بيئتنا ـ من خلال أدب مقتحم ـ فمعنى ذلك: أننا تركنا وجدان الأمـة هدفـا لكل رام. وهذا موقف يتعـارض مع خصوصيـة المملكة،

بـلادنا، قصـة تحويل المياه المالحة إلى ميـاه عذبـة من خـلال أجهـزة التكريـر والتقطير العملاقة على شطآن البحر الأحمر والخليج.

الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية

وظيفتها الحضارية في نهضتنا

وهذه ــ أيضا ـ قضية مترعة بالمعاني والدلالات والإيحاءات، التي تكون موضوعا حيا للحركة الأدبية.

وهناك قضية الوحدة المكينة للملكة.

لقد كانت البلاد ـ قبل مجيء الملك عبد العزيز ـ شذرًا مذرًا، ممزقة الإرادة مبعثرة المواقع، متشاكسة أبدا.

والفرقة شقوة وتعاسة . . وهذه الشقوة يمكن أن تكون موضوعات للأدب يصورها تصويرا حتى لكأن الناس يرونها رأي العين.

ثم يصور من بعد «الوحدة» التي تحققت، وتفيأ الناس ظلالها وعاشوا في كنفها إخوانا بنعمة الله، وكانوا من قبل على شفا حفرة من النار.

لقد كانت الوحدتان : الألمانية والإيطالية، مصدرا ثرا للحركات الأدبية في البلدين.

أوليس وحدتنا، أحق بأن تكون نبعا لأدب كثير الكم، راقي النوع، ممتد العطاء ؟

وهناك قضية «الكدح الصالح» الذي قام به الآباء والأجداد، لكي يبنوا هذا الكيان الشامخ بالجهد الشريف، والعمل المثابر، والتعاون الصدوق.

إن الأجيال الراهنة، تهنأ وتتمتع بثمرات جهد تكاد تنساه أو تذهل عنه.

ومن الكنود : ألا تذكر الأجيال عمل السابقين. إننا نحيا في كنف نهضة شاملة، تعليمية، وصناعية، وزراعية، وتجارية، وإدارية، وصحية، وإسكانية.

وهذه النهضة، لم تحدث بغتة. نعم. إنها اتسمت بالقفز السياسي إلى الأمام، وإلى أعلى. بيد أنه كان لهذه النهضة أصول أو بذرة أو نواة.

وإنما غرس هذه النواة : الآباء والأجداد.

النبوي الذي أسس على التقوى من أول يوم، وربىّ فيه الرسول ﷺ جهابذة العلماء، وقادة الفتح، وخير أمة أخرجت للناس.

هذه الأرض الطاهرة الفريدة المصطفاة، ينبغي أن تكون قضية كبرى من قضايا الأدب يحبها حبا جما، ويتغنى بها شعرا، ويصورها نثرا بما هي له أهل من التوقير، والكرامة، والإعزاز.

إننا نرى «الوطن» قيمة بارزة ومخدومة في كل حركة أدبية في الأمم الأخرى، وهذا شيء محمود في الأصل، فإن حب الوطن نزعة فطرية غير منكرة، ولا مستهجنة، لكن ينبغي اجتناب المبالغة حتى لا تتحول هذه القيمة معبودة من دون الله، أو ذريعة لعصبية جاهلية.

وإذا كان الناس كافة، يحبون أوطانهم، ويعبرون عن هذا الحب في أشكال أدبية متنوعة، فإن أولى الناس بذلك، هم أدباء هذه البلاد التي تنزل في تقديرها، وإعلان شأنها آيات بينات في القرآن المجيد.

وهناك قضية، مغالبة الصحراء القاحلة، وانتقاصها من أطرافها بمساحات متطاولة من المروج الخضراء.

إن العين لتسر، وإن الفؤاد لينشرح، وإن النفس لتمتلئ بهجة وحبورا حين نرى الأرض الهامدة تهتز وتربو وتُنبت ــ بإذن ربها ــ من كل زوج، فإذا هي مزدانة بسنابل القمح، وحب الحصيد، والطلع النضيد، والحدائق الغُلْب.

ويلحق بهذه القضية : موضوع «قطرة» الماء التي لها قصة طويلة في وأصالة الأدب الذاتي وخصائصه.

وهناك قضية «الانفتاح» المتزن على آداب الأمم الأخرى وثقافاتها.

إن التحصين المراد، لا ينبغي فهمه أو تفسيره على أنه انغلاق وانعزال خلف ستار حديدي أو جدار حجري، فنحن في عصر لا يسمح بهذا التقوقع والانغلاق. إننا ننادي بالتحصين من أجل الانفتاح، وليس من أجل إلغاء خيار الانفتاح، ذلك أن الأمة الراشدة الواثقة من نفسها، هي التي تنفتح باتزان على الآخرين بعد الاعتصام بما عندها من دين وقيم ومبادئ.

وللانفتاح مقتضيات، من أهمها الاستفادة البصيرة مما عند الآخرين من نفائس وإيجابيات وحكم.

> ”كبار أدباء الوطن العربي تجاوبوا مع نهضة الملك عبد العزيز“

وهناك قضية : مَدّ وسائل الإعلام بالغذاء الأدبي الصحي.

إننا نقول بصراحة : إن البلاد تواجه ــ اليوم وغدا ـ قضية «الإنتاج الإعلامي». فالإرسال الإذاعي والتلفزيون أكبر مستهلك للأدب، وعلى نحو يتسم بالنهم المستمر.

ووجود المال والأجهزة أشياء، ليست كافية ــ وحدها ــ لإنتاج يلبي الحاجة، ويغني عن الاستيراد، ثم يفيض على الآخرين.

إن قوام الإنتاج الإعلامي، هو الكلمة، ولسنا نقصد مطلق كلمة، بل نقصد «الكلمة الفنية» ذات المواصفات الموضوعية المهنية المعروفة.

ومن أخصب حقول الكلمة الفنية : القصة والرواية، فهذان العملان الفنيان غذاء مشبع للإذاعة والتلفزيون.

والقصة والرواية عملان أدبيان في الوقت نفسه، يكتسبها الأدباء وفقا لمقاييس كتابة القصة والرواية، فإذا قل عطاء حركتنا الأدبية في هذا الحقل

ضعف إنتاجنا الإعلامي على الرغم من وجود المال والأجهزة .

ولعل المثل التالي يجلي حقيقة حاجتنا إلى قَصص أدبي يمد أجهزة الإعلام بالزاد المطلوب .

إن الأطفال، صفحة بيضاء تطبع فيها كل صورة، وكل كلمة، سواء أكانت هذه الصور والكلمات مما ينمي الفضائل والمكارم أو يزرع المعايب والنقائص . والأطفال يشاهدون التلفزيون، ويطالعون فيه ما يعجبهم من ألعاب وحركات .

وقوام هذه الألعاب المسلسلة، قصة، فإذا كانت القصة سيئة أشربت وجدانات الأطفال هذا السوء من خلال ما يشاهدونه من مسلسلات .

ما الحل ؟

الحل : أن تعنى الحركة الأدبية بقصص الأطفال، الذي يتحول فنيا إلى مسلسلات تغني عن السوء، ولهذا الإنتاج شروطه التي لا ينبغي التفريط فيها . .

ومن أبرز هذه الشروط :

١ ـ مراعاة أصول التربية القويمة في تنشئة الصغار .

"أدبنا مُطالَب بالالتزام بقيم مجتمعه المسلم وأصوله وثوابته"

٢ ـ التكيف ـ في حوار القصة ـ مع مراحل النمو المختلفة .

٣ ـ أن يُراعى ما تقدم في كل شيء، وكل صورة، وكل معلومة، وكل حركة . فهل نطمع أن تنهض الحركة الأدبية في بلادنا بذلك، وبما هو في حكمه من أعمال أدبية مطلوبة ؟

الأدب تعزيز العلاقة بالعالم الإسلامي

وهناك : قضية روابط المملكة العربية السعودية بالعالم الإسلامي . وتنتظم هذه القضية موضوعات شتى :

أ ـ موضوع مفهوم الأخوة .

ب ـ موضوع مكانة المملكة الخاصة في العالم الإسلامي .

جـ ـ موضوع ريادة المملكة للتضامن الإسلامي .

د ـ موضوع هموم العالم الإسلامي المتجددة، والتفاعل مع هذه الهموم .

هـ ـ موضوع علاقة المملكة اليومية بالعالم الإسلامي عن طريق العمرة والزيارة وعلاقتها السنوية في مواسم الحج .

هذه الموضوعات، ينبغي أن تتفاعل معها الحركة الأدبية وتعبر عنها من نوافذ عالمية، تطل منها على العالم الإسلامي : أكثرياته وأقلياته .

وهناك : قضية «النقد الأدبي»، فليس تصلح حركة أدبية بدون نقد يمحص الأداء ويقوم المضمون، ويسد الثغرات، ويعلي الجدوى، ويفاضل بين مستويات الإبداع، ويثني على المُجيد، ويطّرح المقتحم بدون عدة .

ولقد لاحظنا أنه في غيبة النقد الأدبي الجاد يكثر الغث، وما كان ليكثر ـ فضلا عن أن يظهر ـ لو علم أصحابه ما ينتظر إنتاجهم من غربلة وتقويم وحكم .

وإذا يجب على النقد الأدبي الالتزام بالمقاييس المتعارف عليها، فإنه يتعين عليه ـ كذلك ـ أن يجتنب نقيصتين تطفئان ضياءه، وتشوهان مسعاه :

أ ـ النقيصة الأولى التي ينبغي النهي عنها، هي الفحش في القول والهجاء في الأسلوب .

ب ـ النقيصة الثانية المعيبة، هي استيراد المعارك الأدبية، وإقحامها في مناخنا الأدبي، ولقد رأينا في فترة من الفترات، أن تقاليد معينة في بيئة أخرى كانت محور معارك أدبية في تلك البيئة، قد نقلت إلى بيئتنا، بل إن الخصومات الشخصية بين أدباء في غير مجتمعنا، قد قُلدت ـ بمزاجها الحاد ـ هاهنا . وهذا منحى أدبي لا يليق، بل يلزم الازورار عنه .

الالتزام ومفهومه

وثمة مفهوم يقتضي الصدق الموضوعي، كما يقتضي السياق المنهجي دفعه بقوة إلى دائرة الضوء والوعي، هذا المفهوم هو أن الأدب الذي نعنيه إنما هو «الأدب الملتزم» ولسنا نقصد بالالتزام الشكل، فهذه مسألة أدبية اجتهادية مشروطة ـ فحسب ـ بسلامة الأداء العربي الجيد في الشعر والنثر، ولكن الالتزام المعني هو الالتزام بالقيم والأصول والثوابت التي يتألف منها نسيج المجتمع، وتقوم عليها الدولة وتتغذى منها مسيرتنا الحضارية أمس واليوم وغدا، وهذه القيم والأصول والثوابت هي «الإسلام» .

نعم، هناك اختلاف في وجهات النظر حول مصطلح «الأدب الإسلامي» ولكن الذي يهمنا في المقام الأول، هو المحتوى والمضمون والجوهر . . وإذا كنا نسمع أو نرى خلافا حول قضية التزام الأدب بمنابع الإسلام ومفاهيمه ومقاصده . إذا كنا نرى هذا الخلاف خارج بيئتنا، فإن هذا الخلاف لا ينبغي أن يكون له وجود في حركتنا الأدبية، لأن الحركة الأدبية الصادقة والناجحة، هي التي تعبر ـ بموضوعية وصدق ـ عن المجتمع، ومجتمعنا مسلم ـ بحمد الله ـ تحكمه دولة مسلمة بشروطها الشرعية الصحيحة .

لقد قال أبو تمام :

ولولا خلالٌ سنَّها الشعرُ ما درى   بناةُ العلا من أين تأتي المكارم

وهذه مبالغة شعرية أو أدبية هائمة، فإن بناة العلا الكبار ـ في الأمة ـ يدرون من أين تأتي المكارم ؟ ومن أي مصدر يأخذونها ؟ يدرون أنها تأتي من الوحي .

فإذا جردنا البيت من المبالغة والغلو، قلنا : إن أبا تمام مصيب في أن للأدب أثره العميق، ومكانه المعتبر في الإسهام في البناء المعنوي للأمم .

في أطراف عالم السرحان

بقلم: سعد الحميدين



« حريته لم تكن فوضوية أو هروبية، بل ساعدت على حماية أعماله الإبداعية من الابتذال والإسفاف »

« كان يحب أن يرى أثر عمله عند الآخرين بالمنظور الذي حدده هو وأقنعه بتقديم عمله »

سيظل الشاعر حسين سرحان - يرحمه الله - في الذاكرة، وذلك من خلال أعماله التي ظهرت وما سيظهر منها، وكذلك الأعمال النثرية المجموع منها مثل (مقالات حسين سرحان للدكتور يحيي ساعاتي) وما هو قيد الحفظ لدى ذوي الشاعر، وما هو منشور في الصحف والمجلات التي كان يتعامل معها وتستكتبه. والباحث عن آثاره سيجدها دون عناء؛ لأن السنوات الخصبة إبّان فورة الطموح الكتابي مدونة بها أكثر الآثار شعرًا ونثرًا. وقد حظي الشعر بالنشر في مجلدات مثلت ثلاثة دواوين هي: «أجنحة بلا ريش»، «الطائر الغريب»، «الصوت والصدى». وهناك مخطوط من الشعر بعنوان «أوزان في الميزان» يشتمل على مقطوعات ورباعيات، ومطالع قصائد لم تتم، منها القديم وفيها الجديد، كما أن الجزء الثاني منها من الشعر النبطي للشاعر

مع مختارات لشعراء قمم اصطفاها ودوّنها إعجابًا بها .

من هنا سيظل حسين سرحان متحركًا أمامنا بأعماله التي ظهرت وما سيظهر منها . كما أنها ستكون المعين الذي يستقي منه كل باحث ومريد للأعمال السرحانية المتميزة . يضاف إلى ذلك حياة الشاعر التي كانت مختلفة عن سواها من حياة الشعراء الآخرين . فلم يكن السرحان مطوعًا للأساليب الإعلامية ، أو باحثًا عنها ليسجل ما يريد من أقوال له ، وعنه ، وفيه ، بل آثر أن (يعتصم) في صومعة الفكر التي طالما حلم بها فنانون عظام ونفذوها بغية مراجعة الذات ومراعاة عطاءاتها لكي تظهر وهي ذات تكامل مُرْضٍ لصاحب العطاء قبل المتلقي . وهذه نادرة في أصحاب الأعمال الكبيرة ، وقليل ممن آثر (العزلة) على الأضواء ، لأن للأضواء بريقها ، كما أنهاتدفع إلى عطاءات أكمل ، فهي أشبه ما تكون بالتقويم والنقد ، وغالبها كذلك . إذ إن من يتعامل مع المواد الفنية والإبداعية هو ممن يسجل ملاحظاته بدراية فائقة وهو ما يسمى بـ(ناقد) . ودور الناقد في الوسائل الإعلامية هو إعطاء مؤشر حقيقي لقيمة العمل الفني والإبداعي ، هذا في العرف العام .

أما الإلمامات و «القفشات» الصحفية ونحوها فهي مجرد ومضات خلب تنتهي بوقتها ، وغالبًا ما تكون ناقصة ، إما بسبب رداءة فهم صاحبها وقلة وعيه ومداركه للأعمال ، أو أنها تكون لغرض وهوى في نفس مريضة تريد أن تُكَسِّبْ أَوْ تُخَسِّرْ صاحب العمل ، بمعنى أنها قد تكون للنيل من العمل وصاحبه ، أو لإشهاره ، وغالبًا ما تلقى الأخيرة من يبحث عنها ، وأغلب من يبحث عنها هم أولئك الفارغون الذين يعلو طبلهم ليصم الآذان في فترات وجيزة ، ثم لا يلبث أن يتلاشى ويذوب .

حسين سرحان . . لا أقول إنه يريد أن يرى أثر عمله عند الآخرين من المتلقين ، كلا ، بل كان يحب أن يرى الأثر ، ولكن الأثر الذي حدده هو وأقنعه بأن يقدم عمله . وكثيرا ما صدم من جراء نظرته الواقعية تلك ، إذ إنه يقابل إما بهجوم هادر أو بمديح زائد زائف ، في الأولى من المغرضين ، وفي الأخرى من المتعاطفين المحبين .

اعتصام اختياري

فلما كانت الموازنة لديه قد اختلت ، وأصابها العوج عدة مرات ، آثر أن يلغي ــ ولو بشكل محدود ــ النظرة التي كان ينتظر أن تكون ، فلم يجد أفضل من أن يقدم العمل متى أراد ، وأن يؤجل ، أو أن (يصمت) وينطق عندما يجب النطق . وكان لاختلاف المقاييس الأثر الحقيقي الدافع إلى عدم الاكتراث ـ ولو أنه مطلوب ـ ولكن وجد أن الأصوب هو (الاعتصام) . وهذا الاعتصام الاختياري قد يقلل من توالي الأعمال ، حيث إن من يلجأ إلى الاعتصام لا بد أنه قد حطم قيود الالتزام العملي ، إذ إنه يلجأ إلى توقيته الذاتي ، حسب رغباته التي يتحقق ببعضها ، وأهمها أنه (حر) . وهذه الحرية ليست فوضوية أو هروبية ، وإنما هي من العوامل المساندة لأن تكون بمثابة حامي الأعمال الإبداعية من الابتذال والإسفاف . وهذا ما يطبع أعمال السرحان ـ شعرًا ونثرًا ــ بطابع الإتقان والبوح الصادق الصريح الذي ربما يصدم بالواقع بعنف ، ولكنه العنف المقبول نظرًا لصدقه ، وعدم تصنعه ، وثرائه في التوجه إلى الآخر بقوة خارقة تدعو إلى الذهول ، والوقوف أكثر وأكثر . وهكذا تقابل الأعمال المتميزة تبعًا لمواقف أصحابها ونظرتهم إلى أعمالهم من خلال أنفسهم ، حيث هي جزء لا يتجزأ من ذواتهم .

سطور محبة وتقدير

لا أريد أن أسترسل أكثر مما تقدم لكي أقدم هذه الكلمات عن الشاعر حسين سرحان ، التي أود من خلالها أن أؤطر نظرتي له من خلال معايشتي لأعماله ، بدءًا من أولى محاولاتي إلى اليوم ، فقد تكون ذكريات أو يوميات ، ولكن الأقرب إلى نفسي أنها سطور محبة وتقدير أسجلها عرفانًا لأديب كبير قام بدور ريادي في أدب هذه الأمة . وأنا كفرد ألتفت إلى ذلك الطود الأشم الذي أخذت أتوجس المهيع الصحيح الذي يقودني إليه لأنظر إليه عن قرب ، فسرت ولم أتنكب إلى أن استطعت أن أروي عطشي وأرضي طموحاتي .

ففي أواسط الستينيات الميلادية في هذا القرن كنت ألتمس الطريق إلى عالم الأدب والمعرفة والإبداع بعد أن أحسست بدوافع جادة نحو هذه الأشياء ، فأخذت أقرأ ، وهي الطريق الصحيح إلى ذلك . وبحكم البيئة فقد حظي الأدب بأكبر حيز ممكن فأخذت أقرأ وأستزيد ، فإذا ما مر بي اسم محمد حسن عواد ، ثم طاهر زمخشري ، حمزة شحاتة ، محمد حسين زيدان ، حمد الجاسر ، عبد الله بن خميس ، عبد العزيز الرفاعي ، ضياء الدين رجب ، أحمد إبراهيم الغزاوي ، أحمد قنديل ، وغيرهم ؛ أطل بين فينة وأخرى اسم حسين سرحان .

فإذا ما أطل بقصيدة وجدت أنها تلقى العناية إخراجًا ، مثل الآخرين ، وربما زاد ذلك كله (الشاعر الكبير حسين سرحان) .

«الشاعر الكبير» ؟ ! أخذت أتوقف عند كل قصيدة ـ إن وجدت ـ أو مقالة يردفها اسم السرحان ، ثم أعود لأقرأ بإمعان ، وإذا ما استعصى عليّ شيء استعنت بقريبي المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن داود ، وهو فقيه ولغوي (وقتها كان مديرًا لدار التوحيد) وكان يساعدني ويشاركني الإعجاب بالسرحان ـ شاعرًا ـ ويحتفظ لنفسه ببعض الأشياء التي عرفتها مؤخرًا ، نظرًا لمركزه ، ودائمًا ما تكون بعض الأشياء مثار دافع لي لأن أستقصيها ، ولا زلت ، حتى بعد الدواوين الثلاثة وما يتيسر من مقالات .

وأخذت أبحث عن العمل السرحاني ولكن الشح فيه كان ملاصقًا

حسين سرحان



للمرحلة، فإذا بأحد زملائي في الدراسة حسن حسن العبادي ـ شقيق الأستاذ علي حسن العبادي ـ يلغي ذلك الشح مؤقتا، ودون أن يدري، فقد وجدت لديه ملفًا كبيرًا يحمل قصاصات لمقالات عديدة وقصائد قليلة، وكنت أريد المقالات فهي التي ستنير الطريق للدخول إلى عالم السرحان الرحيب، والذي لا يتوصل إلى مداه، ولكن الفرحة غامرة، وكانت المقالات قد نشرت في صحف «الندوة» و «البلاد السعودية» و«أم القرى» و «قريش». ومع أن حسن العبادي ـ وهو صديقي العزيز ـ كان يرفض أن أصطحب الملف معي إلى منزلي، فقد اكتفى بأن يمنحني وقتًا بين العصر والمغرب لأقرأ ـ حيث إن المقالات هي من جمع الأستاذ علي وشقيقه د. عبد الله العبادي ـ ولم تكن هناك آلات للتصوير في تلك الأيام، فأخذت أنتسخ كتابة بعضًا من المقالات، وأكتفي بقراءة بعضها الآخر، وفعلاً وجدت أن السرحان من العملة النادرة في الأدب العربي.

أديب مطبوع صاحب عبارة فريدة متميزة، ومفردة ذات خصوصية دالة على فكر نير، وشاعرية تنبع من الشعر ذاته. وإذا بهاجسه الشعري ومقاله الفلسفي كثيرًا ما يتطابقان مع واقعه المعيش: احترام الذات والاعتزاز بها، الترفع عن السفاسف والمداهنة، التأمل في الحياة والناس. وكثيرًا ما يقال عنه مثل ذلك إما كتابة أو في مجالس الأدب.

قرأت قصيدته «لا أعايد»، ثم بعد ذلك كتب قصيدة أهداها إلى الشاعر الأستاذ محمد حسن فقي كان مطلعها:

(سوفوكليس) أين المال.. أين هو الندى؟
وأين طيورٌ غاب عنها سنيحها؟
وحتام نبقى في عذاب معذب
نبارحها دنيا.. ويبقى بريحها!

وكان من القصائد الأولى التي استطعت أن أنفذ إلى دواخلها دون واسطة سوى القصيدة التي رد بها الشاعر محمد حسن فقي على الشاعر، ومطلعها:

تطلبت من دنياك ما لا يبيحه
نداها.. ويمضي بالندى مستبيحها!
ترى ريحها تجري رخاءً لمائق
وتركد للحر السميدع.. ريحها!

ولما رأيت أن دينًا عليّ للسرحان تمثل في دفعي إلى محاولة الاعتماد على النفس واعتزازها، وقد سلكت طريق العمل الأدبي، فقد حاولت معارضة قصيدة له نشرت بعنوان (نجى العيد) على الوزن نفسه والروي. وقد اشتد (اعتصامه) إلى أن أخذ منه الأستاذ حمد الجاسر بعض القصائد ونشرها في ديوانه الأول «أجنحة بلا ريش»، وكنت قد كتبت قصيدة بعنوان «الكناري يحتضر» ـ تجدها منشورة مع هذا الموضوع ـ وبعثتها إليه، وكان أن أهداني نسخة من ديوانه «أجنحة بلا ريش» موقعة، وكانت هذه الهدية بمثابة إذن بأن أنطلق في عالم الشعر الذي أعشقه.

فأخذت أتابع السرحان طوال عملي الصحفي قارئًا أشعاره التي طلبت منه بإلحاح من قبل مقدّريه مثل الأستاذ علي حسن العبادي الأديب الشاعر، فأصدر طبعة ثانية من «أجنحة بلا ريش»، وطبع «الطائر الغريب»، وتلاها «الصوت والصدى» الذي قدم له الشاعر د. إبراهيم بن محمد العواجي، وكان لي شرف عملية الإيصال والتوصيل بين الشاعر والشاعر والديوان، وأخذت ألح في طلب الكتابة

”نثره شعر كذلك بمعانيه وتراكيبه“

منه مما هو محفوظ لديه، وأنا أنطلق من قناعات عدة بأن عنده ما يقدر على عطائه حتى ولو تقدم به العمر. وبالرغم من التهكم من الزعانف وأشباه المثقفين الذين لا يعرفون من السرحان سوى اسمه، فإنني أعاود الإلحاح وأنا أمسك بطرف ملف صغير جدًا كنت قد ضمنته عدة مقالات متفرقة، نشرت في أوقات متفاوتة، ولكن كلما مر بها الزمن وعدت إليها وجدت فيها الجديد. وهذا يحتاج مني إلى برهان، وسأبدأ بالعناوين التي جاءت نابضة وحية إلى الأبد وكانت: قبضات من آثار الأزمان، صورة تتضاءل على القرب، أسطورة ومعناها، المنهج المشروح إلى السأم من الروح، الحياة والنوم، ماذا كنا نقرأ قبل ثلاثين عامًا؟

فلسفته في الحياة

ومثل هذه العناوين كانت تتوج موضوعات ذات أبعاد فلسفية واجتماعية بأسلوب أدبي رفيع حتى يصل إلى درجة الإبداع، ففي إحدى المقالات يتحدث عن الحياة ـ وهو يتحدث عنها دائما ـ بقوله:

«منذ سنيات غير قصيرة، وأنا لم أطعم للنوم عرضًا، وقد استنكرت

نفسي بادئ ذي بدء، ثم وطّنت نفسي على ذلك. ووكلت أمرها إلى الله جل شأنه. وقد نصحني الأطباء الأصدقاء أن أتناول (المنومات) التي لا ضرر منها، فرفضت مؤثرًا النوم الطبيعي مهما تأخر على النوم المصطنع أو مهما أسرع.

بعد الفجر الذي أسمع أذانه كما أسمع أذان العشاء، تلم بي تهويمة، أو إغفاءة قصيرة. فما يكاد يذر الإشراق إلاَّ وأنا معه في سباق .. في سباق مع الزمن، ومع العمل، ومع النفس التي رذلت وتخلفت بعد أن جاوزت الثالثة والخمسين، أو تكاد، من عمر قد استوى عنده أن مد فيه .. أو لم يمد».

بعد هذه المقدمة يدخل في فلسفة حياته: «هذه الأعمار التي تتهافت عليها الناس ويتناضلون في طولها، ويتصارعون من أجلها وهم لم يساموا فيها الأقدار، ولم يروضوا فيها على الاختيار.

إنها تعطى لهم بلا مشيئة، وتسلب منهم بلا مشيئة .. وجل وعلا رب جميع كل المشيئات في يده .. وتذكرت من محفوظاتي القديمة التي لم يأكل الدهر عليها ولم يشرب لأنها ليست مما يؤكل بها أو يشرب، تذكرت أبياتا من الشعر أطافت بهذه المعاني .. وأشارت إليها على مختلف الصياغات بين شاعر وآخر».

وتمثل بأشعار لبيد العامري، والمعري، وابن هانئ الأندلسي شارحًا ومعلقًا ومفلسفًا، حول النوم والحياة التي لم يكلف بها ولم يجر وراء مباهجها وقد دانت له في أوقات كثيرة، ولكن إباءه كان الفيصل في ذلك، ولم يترك الحياة دون محاولة لمواجهتها بما تستحق من شجاعة دون هياب من موت لإيمانه بالنهاية الحقيقية لكل شيء. وحتى آخر سطر في آخر مقالة كتبها، وكذلك في قصيدته ذات الشهرة (الدودة الأخيرة) التي كانت محل أنظار الناقدين في الداخل والخارج.

سيبقى السرحان خالدًا (بأجنحته)، وسيبقى كله (ريش)، وكلمة (طائر) وارتباطها بهذه الكلمة؛ كل ذلك يبحث عن جواب فلسفي بعد قراءات متأنية ومكثفة لآثار السرحان الشعرية، والنثرية على الوجه الأخص، فهي أشعار كذلك بالمعاني والتراكيب، فقد قال في ختام قصيدته (رجع الصدى) التي أهداها للشاعر حسين عرب:

وهذا العيش مهزلة ... نُكاد بها ونحتسب
وما إن نشتكي لغبًا ... فدنيانا هي اللغب
لقد مات الذبيح ضحى ... فكيف تراه يضطرب؟

أعتقد جازمًا أنه يلزمنا أن ندرس الآثار السرحانية، ونكمل ما بدأه المرحوم أحمد عبد الله صالح المحسن في رسالة الماجستير، وأن نستمر في البحث والكتابة، فعالم السرحان عالم رحب وشامل يدعو إلى الوقوف عند كل عمل، صغيرًا كان أو كبيرًا.

الكناري يحتضر

شعر: سعد الحميدين

[مهداة مع الإعجاب إلى شاعرنا الكبير حسين سرحان*]

سأم ومصباح رديء الضوء والآهات تزأر
وحطام جسم ناحل فوق الأريكة قد تكسر
عينان في حجريهما غسق الحياة ضحى تكدر
ويدان ترتعشان في رفق كنسر قد تخدر
آه .. تفجر زفرة من عمق قلب لا يفطر
لسعته دنياه العنيدة بالسياط كمن تجبر
وكأنه قد قال: إني مثل (شمشون وعنتر)
أو قال: إني صنو (نابليون أو رومل وهتلر)
يا أنت يا دنياه رفقًا .. لا تسوميه بأكثر
لا تسحقيه وتقتليه، فما تجبر أو تكبر
هو شاعر نسج الزهور وشيد الكلمات — صوّر —
وبقلبه حبلت همومك يا حياة .. وما تحجر
نثر الزهور على الرصيف ولون الصخر المجدر
حفر الحقيقة في القلوب (بريشة) القلم المطهر
يتصيد النجمات في ليل من القار المخثر
ليبثّها كتلاً على درب الخلي إذا تعثر
رفقًا به، أوصيك بالفنان رفقا لو تهور
إن قال ما لم يعرف الإنسان .. إن جدد وفكر
أو قال: إن الليل طود والنهار كُثيِّب قزم وأحقر
فتمثلي لمقاله .. وحديثه يومًا سيظهر
وطبيعة الفنان في كل المواطن لا تؤطر

* كتبت هذه القصيدة سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

حسين سرحان



من أقوال السرحان وكتاباته

● أنـا امـرؤ أعتقـد أني على نصف عقل، إذا كان بعض النـاس يزهـون بعقول كاملـة ويزدادون عليها عقـولا أخرى، وهـم يؤمنون إيمانًـا تامًّـا بأن عقولهم كاملة، هل هنـاك من له عقل كامل. إذن لقد كان نبيًّـا. وإذا كان عاقلا جـدًّا مثل ابن سينا والفـارابي، فإنـه يكـون عنـدئذ مغـرورًا مفـرطًـا في الغرور، وهل العقل الإنساني كامل ؟

● لست أفهم للأدب معنى ولا أقيم لـه وزنا ما لـم تقو وشائجه بالحياة، ويدمج فيـه اندماجا كليـا حتى يتبطن أسرارهـا ويستعرض صـورهـا في أتم مـا تكون في الجلاء والـوضوح، وحينئـذ يكون الأدب قد أدى رسـالته السـامية كما يجب أن تـؤدى سالمة من شوائب السخف والغثاثة والتخليط.

● أكثـر من أربعمائة مليون، ومع ذلك هنـاك دولـة في فلسطين تكونت من القـاذورات اليهوديـة على مسمع ومبصر من مـلايين المسلمين أعـرابهم وأعجامهم، وأنه لمصداق عجيب باهر لقولـه عليه الصلاة والسـلام «غثاء كغثـاء السيل» من حديث مشهور.

● أنا أعتـز بنثري أكثر من شعـري، والخارطة الشعرية تحتاج إلى إعادة رسم بيد أمينة.

● والجريـدة لا تـؤدي رسـالتهـا وتجلـو صـدأ الأذهـان إلا إذا حـافظت على مبـدئهـا وتحررت من الشـوائب واختطت سبيلهـا في رزانـة وتعقل واستقامـة ولـم تقف موقف الطفل الغـرير كل من جاء لعب بـه واستهواه. والآن قـد دخلت «صوت الحجـاز» في طـور جـديـد، طـور التقـدم. فعلى محرريها الأفـاضـل أن يعتنـوا بـالـدقـة فيما ينشرون ويحرصوا على الإجادة فيما يختارون، فهـاتان المزيتان بلا ريب ممـا يكفل للجريدة رفعة مكـانتها ويحببها إلى قـرائهـا ويقيل من عثـارهـا ويـوسع من دائرة شهرتها.

● للأدب وقدة تلذع العقل، فتخل بتوازنه أو تكـاد، ولا سيما عنـدما يكـون الأديب في مـراحلـه الأولى التي لا بـد من اجتيـازهـا. وهـذه المراحل الأولى لازمـة، فإن كل شيء لا ينتهي إلى آخـره إلا مجتـازا بأولـه، وإلا فكيف يكـون له آخـر ؟ وقـد اجتـزت هـذه المراحل. وأنفـي من الـرغـام. وإن كنت ومـا أزال أعتقـد أني في أواخـر هـذه المراحل الأولى التي تجمـع دائما بين السخف والغثـاثـة والثقل. وقـد لا يسمـح أديب لنفسـه أن يعترف بذلك. ويـريد أن يقول ـ بـالفعل أو بالكلام ـ إنه أصبـح الآن في رأس الـذروة، ولكن ذلـك لا يعنيني، فإنـه ليس أحمق ولا أجهـل ممن يغـالط في الواقع الذي يكاد يفقـأ عينيه.

● للشهـرة ثـوب مثل ذيل الطـاووس بـراق اللـون لماع الأفـواف، كلما انعكسـت عليـه أشعـة الشمس ازداد ألقـا وجمالا، وللطـاووس ـ أو للمشهور مثـلا ـ ألـف عذر عنـدما ينظـر إلى ذيله ويثني عطفه، ويرجع الطرف مـرة بعد مرة إلى هذا الـذيل ـ أو الثوب ـ دون أن يمل رؤيتـه أو يشبع منها.

● مـا من شك في أن الإنسـان عنـدمـا يكثـر الاختلاط والامتـزاج بشيء معين، فإنه يكتسب مع الاستمـرار مشـابهة بـاطنـة أو ظـاهـرة من ذلك الشيء، وتبـدو عليـه سمات واضحـة بـالشكل أو خفية بالمعنى من كل ما يتـوفر عليه أو يمتزج به أو يصفيه وقته أو يبذل فيه جهـده، فالحداد مثلا ترى من ثيابه ووجهه صدأ الحديـد، فإن كان يتأنق في هنـدامـه بعض الشيء فستجـد آثارا حـديـديـة في عقليته أو في روحـه أو في سلوكه أو في عبـاراته على الأقل، والحمّار لطـول إلفـه للحمير وخـدمتـه لها واختلاطه بها لـن تعدم فيه شية حماريـة (عالية) في بعض مـا يبـدو منـه من حركـة أو سكنـة أو قـول قاصدًا أو غير قاصد.

قالوا عن السرحان بعد رحيله

□ تمضي الأيام وهي تطوي في جوفها كل حلو وجميل. هكـذا في غمرة الحياة مضى عنا الشـاعر الكبير الأستاذ حسين سرحان، وهـو أحد رجالات الأدب والشعـر الـرصين ممن رصدت بعض نماذج شعرهم في كتاب (وحي الصحراء).

هكـذا ترجل فـارس آخـر بعـد أن أبدع وغـرد وانتشى على أوتـار شعره الأثير لما يـزيـد عن ستين عاما.

عبد المقصود خوجة

□ كـان مـن الـرواد في أدبنـا الحديث، وإسهاماته كانت متميزة، وبقي في الساحة طويلاً يثـريها بشعـره ونقـده، وأقـول: مثل هـذا الأديب يعتبر بالنسبة للأمة خسارة.

ومن المؤسف أن هـؤلاء الـرواد الـذين كـانـوا أعـلامًـا في السـاحـة الأدبيـة لم تفـرد لهم دراسـة متعمقة. وربما تتاح لشبابنا الفرصة لدراسة هؤلاء الأعلام.

د. محمود زيني

□ إن وفاة الشاعر الكبير خلفت أثـرًا مأساويًّا في نفسي؛ لما يمتاز به حسين سرحان بعالم الإبداع العـربي، وقد خلف آثـارا إبـداعية وفكـرية أثْـرَتْ الساحة العربية.

والـراحل الكبير لم يختلف أحـد من النـاس الـذين عـرفـوه كمبـدع يلمس أحـاسيس النـاس ويسبر أغـوارهم، وتـرجم الحب بـأسمى معـانيـه وأضاف بعدًا جعل له خصيصة في النفوس.

عبد الله الشهيل

□ اهتمام الأستاذ السرحـان بالكتـب العصرية الحديثة ودواويـن الشعر من مصر ولبنان قـد جعل من ملكتـه الشعـريـة في بواكير قـول الشعـر هـذه الألوان والأطياف المتجددة والمرفرفة على ما قال من شعـر على طول حيـاتـه، وهي فيما صدر لـه من أجزاء ديوانه التي يحفظها الناس الآن له.

عبد الله بلخير

□ نقترح ونرجو من نادي مكـة المكرمة الثقافي الأدبي أن ينظم نـدوة أدبيـة عن الأستـاذ حسين سرحان ـــ يرحمه الله ـــ تتضمن ترجمة لحيـاته ونماذج من شعره، فهو علم من أعلام الأدب السعودي.

أحمد محمد جمال

□ الإبـداع في شعـر فقيـدنـا الأستـاذ حسين سرحان ـــ يرحمه الله ـ ظهـرت بشائره منـذ البواكير الأولى التي قدم فيها هذا الشعـر في مطلع شبابه في الخمسينيات الهجرية من القرن الماضي.

وهـذا النبـوغ المبكر يكـاد يكـون من صفـات المبدعين في الكتابة والشعر على الخصوص.

والـروافـد التي أمـدت حسين سرحـان والتي استقى منها في دواوين الأعـلام من شعراء العرب. فقـد كان يـرحمه الله كثير الاطـلاع والقراءة، وهـذا الاطلاع الواسع هو الذي أعطى موهبته القدوة من النماذج الشعـريـة الرائعـة التي انكب على قـراءتها وحفظ ما أعجبه منها.

محمد علي المغربي

□ لقـد تعـرفت شخصيـا على أعمال سرحـان منـذ سنـوات قـلائل، ولأنـنـي أنتمي إلى جيل أحدث بكثير مـن جيله، فقد أدهشنـي كثيرا مدى التواصل الـذي شعرت به معـه، والذي اطلع على مقـدمتي لكتـاب «ثقـافة الصحـراء» سيدرك أيـة أهمية احتلها سرحان بـالنسبة لي حين حاولت قراءة تاريخنا الإبداعي الحديث في المملكة، فقد وجدت في الكاتب الكبير جسرا واسع الخطـو بين أكثر من مرحلة في تطور المسيرة الثقافيـة والشعرية خصوصا لدينا، وجدت لديه عددا من المفاتيح التي لـم أفد حتى الآن من أكثرها وأرجو أن أفعل قريبا.

د. سعد البازعي

□ إن أهم مـا يميز شعر حسين سرحـان أنـه شعـر نـابع من تجارب ذاتية ويتميـز أيضـا بعـدم إقباله على كتـابة شعر المناسبات، وقـد جاء شعره جـزلاً قـوي العبـارة، ويستقي كلماتـه من سليقتـه وقراءته، ويغلب عليه النظرة التشاؤمية.

كما يتميـز شعر سرحـان بـالـوجدانيـات، إلى جـانب ذلك فإن شعـره يتميز بـالعمق في الفكـرة وظهور شخصيته واضحة على شعره. كما أنه يتميز بأنـه شاعـر سـاحر. وحسين سرحـان من أحسن كتاب المقالة في المملكة.

د. منصور الحازمي

نماذج من شعره:

عاشق الكواكب

يَسُرّني يَـا حَبيبي بَعضُ منزلـةٍ ... في قلبكَ العذبِ أو في رُوحكَ السَّامِي
تَقـولُ ذاكَ وتَـرجـو أَنْ أُصَدِّقَـهُ ... فيما تقـول، فـوا سحقًا لأحْـلامِي
لاَ. لَن أُصَـدِّقَ أَنْ يختـارَني قَمـرٌ ... ينجـابُ عنْ وَجَنَتَيْـهِ كلُّ إظـلامِ
تَنكَّبَ الجوَّ وَاعتـامَ الثَّـرى وَطَنًـا ... وصـارَ أقـربَ لي مِن رأس إبهامِي
حَسْبي بِـهِ في الفَضَـاءِ الـرَّحب منطَلَقًا ... يـذود بَـرْحَ الضَّنَى عن قلبي الـدَّامي
وحسبيَ النـورُ منـه أستمِـدُّ بِـهِ ... على تَكَبُّـدِ مـا أَلقـاهُ . . إلهامِي

☆ ☆ ☆

العُمْـرُ وَلَّى . . وخَيْرُ العُمْـرِ أَوَّلُـهُ ... فَمَا تَعَلُّلُ أَمثـالي بـأَوهـامِ ؟
لـو كنتُ أعـرفُ نفسي بعضَ معرفـةٍ ... لَـمَا وَأَدْتُ صِبـاهـا قبلَ أعـوامِ
وَلَـوْ عَلِمْـتُ بِنُعْمى منكَ تبعثهـا ... إليَّ بينَ تَبـاريحي وآلامِـي
لَعُـدْتُ واتَّـخَذَتْني رَوْضَـةٌ أُنُفٌ ... هَـزَارُهَـا الفـردُ في تـرجيع أنغامِي

☆ ☆ ☆

يَا رَوضةً جَمَعَتْ في الحُسْن ما اقْتَسَمَتْ ... منـه أيـادِي أقـاليم وأقـوَامِ
وَيَـا مُنَى النَّفسِ أَقضِي كـلَّ أُمْنِيَـةٍ ... من كلِّ نفسٍ وأعصِي مـا رمَى الـرَّامِي
أعـاذَكَ اللهُ من حُبّي فـإِنَّ لَـهُ ... نَـارًا تجودُ على الـذكـرى بـإضرامِ

وإلا فدعنا

إِذَا حَانَ منكَ المَوتُ يَومًا ـ فَوَدِّعِ ... وَلَـوْ بِـإِشَـارَاتِ المُلِيحِ بِـإِصبَعِ
وَقُلْ لَـهُمُ إنّي أروحُ لمَنْـزِلٍ ... يَشطُّ بِـهِ المَأْوَى إلى غَيْرِ مَـرجِعِ
فَمَا المَوْتُ مَـوتُ الجِسْمِ يَـا لَيتَ أَنَّـهُ ... كـذاك . . وَلكنْ مَا الـوطَـاءُ كَلَعْلَعِ
تَمُوتُ نُفُـوسُ القـوم قبلَ جُسُـومِهِمْ ... فَإِنْ شِئتَ فَاسْجُدْ ـ بعدَ ذَاكَ أَوْ ارْكَعِ
أَسَاحِيرُ لاَ تُـرْقَى، أَهَـاوِيلُ لاَ تُـرَى ... فَخُـذْ مِنْ رؤاهَـا ـ رُقْيَـةَ اليَـوم ـ أو دَعِ
فَيَـا مَنْ عَلَيْـهِ كُـلَّ يـومٍ سَحَـابَـةٌ ... يَحُوكُ عَلَيهَـا بُـرقُعًـا أيَّ بُرْقُـعِ
وَيَـا مَنْ عَلى البَرقِ المليحِ إِهَابُـهُ ... يُـمَزِّقُ عنـه القطـرَ في كلِّ مَـرتَعِ
إليكَ التَجَـأْنَـا، أو عَلَيْكَ اتّكَالُنَـا ... وَإِلاَّ فَـدَعْنَـا في خسـارةِ مَـرْبَعِ



حسين سرحان

قالوا عن السرحان إبان حياته

□ إن السرحان كان يحاول تقليد المازني في أسلوبه الساخر، ويقول عنه الجاسر إن شعره يتميز بصدق الإحساس وعمق الشعور ويلحقه بشعر أبي العلاء المعري والخيام، وإنه ابن الصحراء في كثير من أخيلته وتعبيراته إلا أنه واسع الاطلاع بدرجة عجيبة حقًا.

أحمد عبد الغفور العطار

□ إنه شاعر فحل مكتمل الأداة، مجدد من المدرسة الابتداعية التي لا تهيب الماضي، بل تقتحمه، يطوف بشعره آفاق الفكر، ولا يكاد يلم بالعاطفة إلا قليلا، لا يعيبه شيء غير أنه يؤثر العزلة والانطواء. والسرحان في طليعة شعرائنا المبرزين، وهو أحد زعماء المدرسة الابتداعية، وكاتب لبق من كتاب الطبقة الأولى، الذين يترفعون عن البهرج والزيف والتضليل.

عبد السلام طاهر الساسي

□ وجدت في شعر حسين حوافز ثلاثة أثرت في نفسي أبلغ الأثر لتتبع قراءة ما يكتب وخاصة ما كان شعرا:

أولا: صدق الإحساس وعمق الشعور، وأتبين هذا مما يحدثه في نفسي من أثر عند قراءة الشعر الذي ينظمه حسين.

ثانيا: عمق الصلة وقوتها بين الشاعر وحياة بيئته التي عاش فيها وانطبع بطابعها، وهي حياة الصحراء التي عاشت فيها. فحسين وإن كان من مواليد مكة المكرمة في عام ١٣٣٤ هـ إلا أنه ـ وهو ابن البادية ـ أمضى زهرة شبابه وريعانه وعهد كهولته، متنقلا في مرابعها ومراتعها، فبدت سمات تلك الصحراء بارزة في شعره في جزالته وصدق تعبيره وفي أسلوبه وفي استعماله كلمات يظنها قارئ شعره مما تعمق الشاعر في البحث عنها في معجمات اللغة، بل من عويص تلك الكلمات، وما هي ـ والحق يقال ـ سوى ما أوحت به الفطرة ووعته الذاكرة.

ثالثا: في شعر حسين ومضات تتصل من النفس في أعماقها، قلّ أن يدرك القارئ لها مثيلا إلا في شعر «المعري» وأضرابه ممن عمدوا إلى مخاطبة العقل مخاطبة نجدها في حياتنا التي ألفناها وعشناها قاسية وشاقة وبعيدة عن مألوفنا بعد هذا المألوف عن واقع الحياة.

حمد الجاسر

□ ولقد عرض الأستاذ السرحان في نقده إلى بعض مآخذ وردت في الكتاب، وإني لأشكره على ذلك، وأقدر له نقده النزيه، وإدراكه العميق، وأرى أن الطريقة التي يسلكها في نقده هي الطريقة السليمة المستقيمة، التي تعمد إلى ما في الأثر من مآخذ فتعرضه بصورة مهذبة بدلا من أن يعمد الناقد إلى شخصية المؤلف فيكيل لها ما شاء من تحامل وتشفٍّ.

عبد الله بن خميس

□ إن حسين سرحان في أعماله الأدبية يمثل الأصالة والتجديد المتعقل، ثم هو مفكر لم يسمح لفكره بالتحكم في فنه، بل استطاع أن يؤلف بين الفكر والفن في نحو متميز لا أغالي إذا قلت إنه جعل حسين سرحان فريدًا في محيطه.

وليس بصحيح أن قارئ شعر سرحان يحتاج فيه إلى استشارة المعجم إلا إذا كانت ثقافة هذا القارئ واهية الصلة باللغة، لا أقول واهية الصلة بالمعاجم بل بلغة التراث الفكري بعامة، والأدبي بخاصة، ومثل هؤلاء لا نُحكّم أذواقهم وقدراتهم في الأدب، وبخاصة الشعر لأنه فن راقٍ، له أهله وجمهوره الذي يخاطبه.

د. محمد بن سعد بن حسين

□وأما لغته فلم يأخذها من تجواله في الصحراء بين البادية مشافهة دون دراسة أو التقاط من المعجمات كما يزعم شيخنا أستاذ الجيل حمد الجاسر. ذلك أن لغة البادية قد فسدت منذ آماد وآباد، ولا يجوز لأديب عالم كالأستاذ سرحان أن يأخذ عامية البادية مشافهة دون دراسة أو التقاط من المعجمات. والبادية عاجزة عن إعطاء حسين سرحان لغة فصيحة كالتي نجدها في شعره ونثره.

□ وسواء تعمد السرحان الإغراب في اللغة أم لم يتعمده، فإن لغته ليست كلها من السهل الذي لا يحوج المثقف إلى قاموس. ولكنه لم يكن متقعرا يحشد عشرات الألفاظ الغريبة في صعيد واحد، وإنما كان يتخول قراءه باللفظ الغريب غير الحوشي، ويعمي على الغرابة أحيانا بصياغته الأدبية الممتعة وهذا صنيع يشكر عليه، لأنه يرتفع بمستوى الأدب عن اللغة العادية.

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

□ إن الفلالي يحتذي حذو على محمود طه في موسيقاه وصوره الغنائية، وعواد يتبع خطوات مدرسة أبولو، وأبي شادي خاصة، وفي شعر حسين سرحان صور من غنائية ناجي العذبة.

د. محمد عبد المنعم خفاجي

□ كنت ذات يوم أقرأ قصيدة لشاعرنا حسين سرحان يصف فيها فتاة اختطفها الموت، وهي في تفتح شبابها، فقال في بيت منها:

واستضحكت شفتاها ثم قلصها

جفاف ثغر له من قبل إرواء

ثم لم ألبث بعد مدة قليلة أن ذكرت قول المازني من قصيدته: «فتى في سياق الموت»:

قـــــد قلصت ثغـــــره منيتـــــه

كـأنـــه للحـــــام يتـــــسم

وحـدثت نفسي بأن السرحـان كـان على صلـة بإنتـاج المازني، حتى أخـذ يتمثله في هـذه الصورة الشعـرية. ولكن هذا لا يعني أن السرحـان كان فـاقدًا الشخصية في فنه، وإنما يعني فقط أن السرحان انحـاز ولو في بعض إنتاجه إلى التأثر بالثقافـة المصرية المعاصرة، وبإنتاج بعض أعلامها.

عبد الرحيم بكر

□ وللسرحـان نظرات أخـلاقيـة متعددة. وهـو يقبض على هـراوته دومـا ليلسع بها المغـرورين في كثير من مقالاتـه. ويظهـر ذلك واضحا من عنـاوين بعضهـا، مثل: «تيه الأدباء، وذيل الطـاووس». كما أنه ينهي مقالة: «جواب فات أوانه...» بالعودة إلى التوحـد الإنساني الحيواني، وما يصيب المخلوقات من غـرور قائلا: «فما أعجب أمـر هذا التراب وأعجب منـه هذه المخلـوقات التي تولدت في حمأته، ثم أخذت تدب فوقه في خيلاء وغرور.

محمد محمود عبد الرزاق

□ فشـاعـرنا يتصل بـالتراث ليصغي إلى التجـارب التي صاغها أسلافه اتصالاً تلقائيا دون أن يدري، استبطانا من أعماق اللاشعور، أو اتصالا عامدا عن طـريق التصفـح والتقليب والاطـلاع الهادف، ليضيف إليـه من مـزاجـه وشخصيته بعد أن يمر المعنى في نفسه، ويأخذ دورة الخلق والتركيب في ذهنه.

د. محمود محمد لبدة

أبـرز ما كُتب عنه في المجلات السعودية

شعـراء من السعوديـة: حسين سرحان (١٣٣٤ هـ ـ ...).
أبـو عبـــد الـرحمن بـن عقيل الظاهري
الفيصل
ع: ٤١، ذو القعـــدة ١٤٠٠ هـ، سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٨٠م.
ص: ٢١ ـ ٣٠.

وقفـة مـع شـاعـر سعـودي: الشاعر حسين عرب
عبد السلام طاهر الساسي
المجلة العربية
ع: ٥، شـوال ١٤٠١ هـــ، أغسطس ١٩٨١م.
ص: ٩٨ ـ ١٠١.

الشـاعـر حسين سرحـان من خلال تجربة شعرية
علي علي مصطفى صبح
المجلة العربية
ع: ٧، ذو الحجة ١٤٠١ هـ، أكتوبر ١٩٨١م.
ص: ٢٠ ـ ٢٤.

الاتجاه الطبيعي
محمد بن سعد بن حسين
الفيصل
ع: ٨٠، صفـر ١٤٠٤ هــ، نوفمبر ١٩٨٣م.
ص: ٧٣ ـ ٧٤.

الوصف في شعر حسين سرحان
وصفي حرب
المجلة العربية
ع: ٨٠، رمضان ١٤٠٤ هــ، يونيو ١٩٨٤م.
ص: ٢٦ ـ ٢٧.

عبـد السلام طـاهر السـاسي في موسوعته الأدبية
أحمد مصطفى حافظ
المجلة العربية
ع: ١١٠، ربيـع الأول ١٤٠٧ هـ، نوفمبر ١٩٨٦م.
ص: ٢٦ ـ ٢٨.

المجلـة العـربيـة تقتحم عـزلـة الشاعر حسين سرحان
سعود التويم
المجلة العربية
ع: ١١٤، رجب ١٤٠٧ هـ، مارس ١٩٨٧م.
ص: ٢٦ ـ ٢٧.

قراءة في كتـاب الشعر في البـلاد السعودية
محمد محمود قرانيا
ع: ١٢٠، محرم ١٤٠٨ هــ، سبتمبر ١٩٨٧م.
ص: ٢٦ ـ ٢٧.

الطائف في ذكرياتي
حسين بن سرحان

المنهل
ع: ٨ ـ ٩، رجب ـ شعبـان ١٣٦٠ هـ، يـونيـو ـ أغسطس ١٩٤١م.
ص: ٤٢ ـ ٤٤.

كلمة حول التأليف
إبراهيم سقاف
المنهل
ع: ٥، جمادى الأولى ١٣٦٦ هـ، أبريل ١٩٤٧م.
ص: ٢٣١.

ماذا قدم السرحان؟
عبد الرحمن الطيب الأنصاري
المنهل
ع: ٧، رجب ١٣٨٠هـــ، يناير ١٩٦٠م.
ص: ٤٨٧ ـ ٤٨٩.

أجنحـة بـلا ريش (عـرض لكتابه)
المنهل
ع: ٧، رجب ١٣٨٨هــ، أكتوبر ١٩٦٨م.
ص: ١٠٢٥ ـ ١٠٢٦.

مع الرفاعي الفنان
أحمد إبراهيم الغزاوي
المنهل
ع: جمادى الآخـرة ـ رجب ١٣٩٨هـ، مايو ـ يونيو ١٩٧٨م.
ص: ٥٢٨.

الطائر الغريب (عرض لكتابه)
المنهل
ع: ٣، ربيـع الآخـر ـ جمـادى الأولى ١٤٠٠هـ، أبريل ـ مايو ١٩٨٠م.
ص: ٣٣٢.

حسين سرحان



حسين سرحان

المنهل

ع : ٧، رجب ١٣٨٦ هـ، نوفمبر ١٩٦٦م.

ص : ٨٣٥.

وقفة مع حسين سرحان

محمد بن سعد بن حسين

الحرس الوطني

ع : ١٢٦، شعبان ١٤١٣ هـ، فبراير ١٩٩٣م.

ص : ٩٨ـ ١٠٠.

لوحات حسين سرحان التمثيلية

محمد محمود عبد الرازق

الفيصل

ع : ١٥١، محرم ١٤١٠ هـ، أغسطس ١٩٨٩م.

ص : ١٠٤ـ ١٠٦.

غرور الأدباء

محمد محمود عبد الرازق

الحرس الوطني

ع : ٤٨، صفر ١٤٠٧ هـ، أكتوبر ١٩٨٦م.

ص : ١١٦ـ ١١٧.

أدعياء الشعر

يحيى عبد الله المعلمي

المجلة العربية

ع : ١٨٧، شعبان ١٤١٣ هـ، يناير ـ فبراير ١٩٩٣م.

ص : ٢٣.

الصوت الأثيري حسين سرحان قراءة انطباعية في شعره(٢)

عبد الله بن سالم الحميد

الحرس الوطني

ع : ١٠١، رجب ١٤١١ هـ، فبراير ١٩٩١م.

ص : ١٠٢ـ ١٠٤.

من مقالات حسين سرحان

عبد الله الحيدري

ملف نادي الطائف الأدبي

ع : ٩ـ ١٠، صفر ١٤٠٨ هـ، أكتوبر ١٩٨٧م.

ص : ١٢١ـ ١٦٣.

الصوت الأثيري حسين سرحان قراءة انطباعية في شعره (١)

عبد الله بن سالم الحميد

الحرس الوطني

ع : ١٠٠، جمادى الآخرة ١٤١١ هـ، يناير ١٩٩١م.

ص : ١٤٦ـ ١٤٩.

المجلة العربية تزور الشاعر الكبير حسين سرحان وتخرجه من صمته

عبد الله بن متعب بن سميح

المجلة العربية

ع : ١٧٨، ذو القعدة ١٤١٢ هـ، مايو ـ يونيو ١٩٩٢م.

ص : ٥٤ـ ٥٥.

نادي جدة يكرم سرحان

الفيصل

ع : ١٧٢، شوال ١٤١١هـ، أبريل ١٩٩١م.

ص : ١٠.

من رواد الأدب السعودي : حسين سرحان

محمود محمد لبدة

القافلة

ع : ١١، ذو القعدة ١٤١١ هـ، مايو ١٩٩١م.

ص : ٤٢ـ ٤٥.

حسين سرحان والتواصل بين الإنسان والحيوان

محمد محمود عبد الرازق

الحرس الوطني

ع : ١١٥، رمضان ١٤١٢ هـ، مارس ١٩٩٢م.

ص : ١١٨ـ ١٢٠.

من مقالات حسين سرحان (كتاب وآراء)

محمد بن سعد بن حسين

دارة الملك عبد العزيز (الرياض)

ع : ١، شوال ١٤٠٠ هـ، سبتمبر ١٩٨٠م.

ص : ١٦٥ـ ١٨١.

الكتب التي تناولت السرحان أو أشارت إليه

محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير. وحي الصحراء : صفحة من الأدب العصري في الحجاز. القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. الشعر في البلاد السعودية في الغابر والحاضر : حسين سرحان، ابن خميس، القصيبي، الدامغ. الرياض، دار الأصالة والمعاصرة، ١٤٠٠ هـ.

أحمد عبد الله صالح المحسن. شعر حسين سرحان : دراسة نقدية (رسالة ماجستير). جدة، نادي جدة الأدبي الثقافي.

عبد السلام طاهر الساسي. الموسوعة الأدبية (أربعة أجزاء). مكة المكرمة، مطابع دار الثقافة، ١٣٩٥ هـ.

محمد الشامخ. النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية. الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣ هـ.

عبد الله خميس. من جهاد قلم في النقد. ١٤٠٢هـ.

محمد بن سعد بن حسين. كتب وآراء. الرياض، مطابع اليمامة، ١٤٠١ هـ.

عبد الرحيم بكر. الشعر الحديث في الحجاز. المدينة المنورة، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

عثمان الصالح الصوينع. حركة التجديد في الشعر السعودي المعاصر. ١٤٠٨ هـ.

عمر الطيب الساسي. الموجز في تاريخ الأدب السعودي. جدة، تهامة، ١٤٠٦ هـ.

محمد عبد المنعم خفاجي. من تاريخنا المعاصر.

الخليج العربي والخطر الآسيوي القادم

حسين قطبي
طوكيو - اليابان

يرى المراقبون أن قرار الصين بإصدار التشريع الخاص بإعلان حق سيادتها على الجزر المسماة سينكاكو (باليابانية) أو جزر دياو - يو - تاي (بالصينية)، والتي تبلغ مساحتها نحو ٢١٦٤٥كم٢ الواقعة في بحر شرق الصين (قرب تايوان وإلى الجنوب من اليابان)، يأتي بمثابة اختبار للروابط القائمة حاليا بين الصين واليابان. وكانت اللجنة الدائمة للمجلس الوطني الصيني قد وافقت على هذا التشريع في الخامس والعشرين من شهر فبراير/ شباط ١٩٩٢م.

وينص هذا التشريع الصيني على أن الجزر المذكورة تدخل ضمن الإقليم الصيني، وبهذا تسيطر الصين عليها وعلى نحو ٢٤ ميلا بحريا محيطا بالجزر - وبالطبع بالإضافة للأجواء الجوية، وما يحتويه قاع البحر من ثروات.

وتحاول اليابان والصين إقناع الأوساط الدولية، أن النزاع القائم بين الدولتين حول جزر «سينكاكو» هو أمر من أمور السيادة الوطنية، وبهذا يطالب كل طرف بفرض سيادته على الجزر، إلا أن الحقيقة تختلف كثيرا عن تلك الواجهة القانونية التي تزعمها الدولتان.

والواقع أن النزاع اقتصادي بالأساس، يلعب فيه القانون الدولي والسياسة الخارجية دورا تابعا إن لم يكن ثانويا.

ومصدر الاهتمام بجزر «سينكاكو» - وبمنطقة بحر شرق الصين بأكملها - أن التقارير الاقتصادية، والتي لا تزال تتداول بصفة سرية بين الدوائر المعنية - تشير إلى احتواء المياه الإقليمية لجزر «سينكاكو» على كميات ضخمة من احتياطيات البترول، تتراوح ما بين ١٠٠ - ٣٠٠ ألف مليون برميل.

ومن هنا جاءت المبادرة الصينية بإصدار القرار بإعلان السيادة الصينية على الجزر تأكيدا لمطالب الصين بالسيطرة على هذا المخزون الضخم من البترول، والذي يقع في منطقة صناعية رئيسة مهمة، يتزايد حجمها يوما بعد يوم، وفي منطقة جغرافية تحيط بها شعوب الصين وتايوان واليابان وكوريا الجنوبية وهونج كونج، وهو ما يجعله مصدرا بتروليا آمنا من التطورات السلبية، التي تؤثر أحيانا وبصورة مفاجئة على المناطق الحالية المنتجة للنفط، سواء أكانت هذه المناطق تقع في أمريكا اللاتينية أو الشرق الأوسط - وبخاصة الخليج العربي - وتزداد الأهمية النسبية لهذا المخزون النفطي إذا ما أضفنا إلى الصورة مناطق الإنتاج البترولي، في كل من روسيا والصين وأندونيسيا، حيث تتبلور إمكانية ظهور منطقتي الشرق الأقصى وروسيا، كقوى فاعلة على مسرح إنتاج البترول وتسعيره.

مواقف أطراف النزاع

وللتعرف على مدى حساسية هذا النزاع يبدو من المناسب التعرف بشيء من التفصيل على مواقف أطراف النزاع المتباينة، ودوافع كل منهم:

أولا: موقف الصين:

إذا ما اعترفت أطراف النزاع بحق الصين في

الخليج العربي والخطر الآسيوي القادم

السيادة على الجزر، فإن الصين سوف تسيطر على هذا الاحتياطي النفطي الهائل، مما سيؤكد دور الصين اقتصاديا وسياسيا ليس في آسيا وحدها، بل على مستوى العالم الصناعي ككل، كقوة جذب استثماري هائلة، وسوق ضخم تسانده قوة بشرية هائلة ٦١٦ ألف مليون نسمة، أو كدولة مصدرة للنفط قد تعادل أو تفوق بعض الدول الأعضاء في منظمة الأوبك ذاتها. أضف إلى كل ذلك ما تتمتع به الصين من موارد معدنية ضخمة، وهو الأمر الذي يعيد للأذهان احتمال عودة الصين كقوة اقتصادية رائدة - من دولة نامية إلى دولة ذات فائض بترولي - واحتمال تجدد دور الصين الحضاري الذي شهده التاريخ القديم، وفقد فاعليته مع تقدم الزمن، بالإضافة إلى احتمال عودة ظهور الصين كقوة دولية تناطح غرب أوربا وأمريكا الشمالية، خاصة بعد انهيار ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي.

ثانيا: موقف اليابان:

إذا ما تمكنت اليابان من إثبات دعواها فيما يختص بالسيادة على الجزر، فإن اليابان سوف تؤكد سيادتها على منطقة أخرى هي المياه الواقعة جنوب جزر أوكيناوا اليابانية، وعلى الجرف القاري لأوكيناوا، الذي ترفض الصين التفاوض بشأنه مع اليابان. هذا من الناحية الاستراتيجية.

أما من الناحية الاقتصادية، فإن اليابان سوف تضمن تأمين احتياجاتها السنوية من البترول، مع تصدير الفائض أو تخزينه مما يضمن لليابان زيادة العائد السنوي نتيجة زيادة عائدات تصدير النفط، أو توفير نفقات استيراده من الصين وأندونيسيا والخليج العربي لسنوات طويلة قادمة. وهذا كله يضمن دخول اليابان القرن الواحد والعشرين كدولة صناعية وبترولية من الدرجة الأولى، مما سيؤكد ثقل اليابان سياسيا واقتصاديا في عالم المستقبل كدولة رائدة في أي نظام سياسي عالمي جديد. وهو حلم ياباني قديم تنازلت عنه اليابان مؤقتا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأخيرة على يد القوات الأمريكية، وهي الحرب التي خاضتها اليابان وقتها لتأمين وارداتها — في المرحلة الأخيرة من الحرب - من المواد الخام ولا سيما البترول.

ومما يزيد من جاذبية هذا الحلم الياباني المتجدد، أن جزر «سينكاكو» يمكنها أن تحقق هذا الحلم بشكل أقل تكلفة أو أكثر عائدا، فالمخزون البترولي في الجزر يمثل احتياطيا يكفي لمدة تتراوح ما بين ٢٧٨ - ٨٣٣ عامًا تقريبًا، إذا ما قامت اليابان بإنتاج واستهلاك مليون برميل يوميا. ومع كل هذا الأمن الاقتصادي الذي ستتمتع به اليابان، لن تضطر اليابان لخوض حروب عسكرية من جديد مع قوات آسيوية أو أوربية - أمريكية لتأمين طرق وارداتها من النفط.

ثالثا: موقف كوريا الجنوبية:

حاولت كوريا الجنوبية - وهي أحد الأطراف التي تدّعي حق السيادة على الجزر - التفاوض مع القادة الصينيين بشأن الجزر، مدعية هذا الحق التاريخي في السيطرة على مقدرات الجزر. ولا ترغب كوريا الجنوبية في مناقشة هذا الأمر مع اليابان، كطرف ثالث يدعي حق السيادة على الجزر، وذلك للاعتبارات التاريخية التي تحكم العلاقات اليابانية - الكورية الجنوبية وما يحمله التاريخ من مآسي الاحتلال الياباني لشبه الجزيرة الكورية، والممارسات اليابانية القاسية ضد شعب كوريا حتى الحرب العالمية الثانية.

ومن ناحية أخرى، ترى كوريا الجنوبية أن أكثر من ٥٠ بالمائة من أوراق الحل تقع في يد الصين، التي يمكنها فرض سيادتها العسكرية - ولو قسرًا على الجزر - نظرًا لقوة الصين العسكرية، وقرب الجزر من تايوان — التي يعتبرها الكثيرون إقليمًا صينيًّا - بالإضافة إلى طبيعة النظام الشيوعي الحاكم في الصين، الذي لن يتوانى في استخدام الوسائل كافة لتحقيق أهدافه الخاصة بالسيطرة على الجزر، وما تحتويه من ثروات مهما كلفه هذا الأمر.

وكان الرد الصيني على محاولات التفاوض الكورية الجنوبية، أن الصين لا تعترف بكوريا الجنوبية دولة مستقلة ذات سيادة، تمثل شبه الجزيرة الكورية، وأن هذا الاعتراف ينسحب كلية إلى كوريا الشمالية التي تمثل - من وجهة نظر الصين - الحكومة الشرعية الوحيدة التي تمثل شبه الجزيرة الكورية.

رابعا: موقف تايوان:

ترى تايوان أن جزر سينكاكو تتبعها جغرافيًا، ومن ثم سياسيًّا، حيث إن الحق الأساسي في المطالبة بالسيطرة على الجزر، نظرًا للتقارب الجغرافي بين تايوان والجزر، وقد، سال لعاب قادة تايوان لسماع أنباء الاحتياطي البترولي المتوافر في تلك الجزر.

سيناريوهات الحل المحتملة

(١) من المتوقع - وفق هذا السيناريو - أن تقوم اليابان بإصدار قرار مماثل يصوت عليه البرلمان الياباني خلال العام الجاري (١٩٩٣م)، يقضي بحق سيادة اليابان على الجزر، وذلك من جهة، ولإثبات موقف اليابان من قضية السيادة على الجزر من جهة ثانية، وذلك قبل بداية تطبيق الأمم المتحدة للقانون الدولي الخاص بالبحار اعتبارا من العام الجاري، والذي من شأنه أن يقضي باعتبار جزر سينكاكو - التي لا يقطنها سكان بشكل فعلي ولا تتمتع بالاكتفاء الذاتي عملاً - جزرًا دولية، من حق كافة الأطراف ذات المصلحة، باستخدامها كمحطات إرشاد بحري وموانئ ومرافئ دولية، واستغلال واقتسام ثرواتها، وهو الأمر الذي سوف يتخذ صورة نزاع ياباني - صيني، وذلك باقتسام الإقليم البري للجزر، واقتسام الإنتاج البترولي في المياه الإقليمية لتلك الجزر، قبل أن يسمح القانون الدولي لباقي الأطراف التي تدّعي حق السيادة أيضا بالمشاركة فيها.

وعلى ضوء هذا الحل المحتمل، ترى اليابان أن هذا الحل قد يروق للدولتين — الصين واليابان - أكثر، نظرًا لاهتمام الصين مؤخرًا بتنمية ما يعرف بمناطق التنمية المشتركة (JDZ)، حيث ترغب في دعوة مختلف الدول المتقدمة تكنولوجيًّا للاستثمار في أقاليم معينة في الصين، وفق معاهدات ثنائية

مشتركة تسمح لحكومة الصين وحكومة الدولة المستثمرة باقتسام عوائد التنمية، التي تفرزها المنطقة المشتركة.

وعلى هذا، تشير مصادر علمية قريبة من متخذي القرار السياسي والاقتصادي في كل من حكومتي الصين واليابان بأن موقف الدولتين كما يلي:

أولا: ترى وزارة الخارجية الصينية أن الأمر غير قابل للنقاش، وأنها مسألة سيادة، ومن ثم لا يجب السماح أساسًا بالتفاوض حول إعطاء اليابان أو غيرها من الدول أية امتيازات في جزر سينكاكو، أو حتى اقتسام عوائد نفط تلك الجزر مع أية دولة أخرى.

وهذا هو أيضا موقف وزارة الخارجية اليابانية.

ثانيا: تشارك الأوساط الاقتصادية في الحكومة الصينية وجهة نظر وزارة التجارة الدولية والاقتصاد اليابانية (MITI)، في أنه يجب عملا اقتسام الجزر، وتنمية الاحتياطي النفطي، واستثماره مناصفة بين الدولتين.

وتؤيد الولايات المتحدة هذا التوافق المبدئي بين الدوائر الاقتصادية الصينية اليابانية، حيث تطمع الولايات المتحدة في أن تقوم به شركات البترول الأمريكية لاستثمار هذا النفط وإنتاجه، حتى تضمن الولايات المتحدة مستقبلاً بتروليًا مستقرًا على المستوى العالمي، ولا تتزعزع مكانتها الاقتصادية أو السياسية على المسرح العالمي.

وبالفعل هناك اتفاق مبدئي تم بين أطراف متعددة، يسمح لشركات البترول الأمريكية الكبرى بالمشاركة مع شركة الصين الوطنية لبترول أعالي البحار (ومقرها الصين)، مع شركة الصين للبترول (ومقرها تايوان) مع إحدى الشركات اليابانية للبترول في استكشاف البترول واستثماره في الجزر ومياهها الإقليمية.

(٢) أن يتم تقسيم الجزر والمياه الإقليمية بين أطراف النزاع كافة، كل حسب نفوذه السياسي وقدرته على الضغط على باقي الأطراف، لاقتسام الجزر واستكشاف النفط فيها وإنتاجه كل على حدة، وهو السيناريو الذي لا ترحب به كل الأطراف، ومن ثمّ قد يصعب تحققه عملاً حيث يفتح باب الصراع بين الدول المعنية، ويزيد من حدة التنافس الدولي بين اليابان وجاراتها الآسيويات في الأمدين القصير والطويل على السواء.

> ”○ تحرك سعودي نشط للاستثمار في شركات البترول اليابانية“

المستقبل الاقتصادي للخليج والاستثمارات السعودية

وبصرف النظر عن أي تصور للحل يمكن أن يتحقق في السنوات القليلة القادمة، فإن أي حل سوف يؤثر سلبًا على المكانة الاقتصادية والمالية للخليج العربي.

فباستثناء اليابان كمستورد رئيس لنفط الخليج سوف يبدو المستقبل الاقتصادي للخليج شاحبًا، وهو الأمر الذي يعزز من أهمية التحرك السعودي الأخير للاستثمار في شركات بترولية مشتركة مع الجانب الياباني، أو للاستثمار في أسهم يابانية. وهو الأمر الذي لا يشجعه اليابانيون على الإطلاق، تحت دعاوى شتي منها أن أسعار الأسهم اليابانية في بورصة طوكيو، هي أسعار مغالى فيها مما قد يتعارض مع المصالح السعودية، وهو الأمر الذي أشكك فيه بشدة. فلا يعقل أن الأوساط المالية اليابانية يعنيها سلامة محافظ الاستثمار السعودية نفسها.

ومن تلك الدعاوى اليابانية أيضًا أن عوائد الأسهم اليابانية ضعيفة للغاية، وهذا صحيح، ويرجع بالأساس لتقليد ياباني عريق، يقضي بأن الشركات المساهمة اليابانية ـ وغيرها من الشركات ـ هي شركات لمن يعمل بها وليست لمن يملك أسهمها، بمعنى أن يحصل العامل الياباني على مرتبات ومكافآت ضخمة تتناسب مع جهده، كحافز له على المزيد من الإنتاجية. أما المستثمر ـ حامل الأسهم ـ فليس له الحق في جني عوائد مالية ضخمة على أسهمه، موازية لما يجنيه العامل الياباني في الشركات نفسها، بل يكفي المستثمر فخرًا امتلاكه لهذه الأسهم كضمان ضد مخاطر التضخم، وانهيار أسواق المال الدولية حيث تتمتع الأسهم اليابانية باستقرار سعري تحسد عليه، مما يجعلها ضمانًا جيدًا للأموال المستثمرة. فمثلاً حين تعرضت أسواق المال الدولية في أكتوبر عام ١٩٨٧م لانهيار مالي ضخم، عرف بالإثنين الأسود، لم تفقد الأسهم اليابانية أكثر من ٢٥ بالمائة فقط من قيمتها، وهو ما يعد نسبيًا أقل خسارة شهدتها أية بورصة دولية في العالم وقتها.

ومن هنا، أرى أن الضغط السعودي للاستثمار في اليابان، وخصوصا في أسهم شركاتها البترولية، يعد تحركًا موفقًا للغاية، حيث يمكن للاستثمار السعودي أن يجني من أية عوائد يحققها قطاع البترول في اليابان مستقبلاً، سواء أكان مصدر هذه الأرباح هو البترول العربي في الخليج العربي ـ والمملكة العربية السعودية خاصة ـ أم كان مصدر هذه الربحية هو بترول جزر سينكاكو المتنازع عليها بين اليابان والصين وتايوان وكوريا الجنوبية في بحر شرق الصين.

من كتّاب العدد

● حسين إحسان قطبي

ـ من مواليد ١٩٦٠م.
ـ بكالوريوس في المحاسبة من جامعة القاهرة، ١٩٨٢م، ودبلوم في الأنظمة الاقتصادية والسياسية ـ ١٩٨٦م ـ وماجستير في الاقتصاد ـ ١٩٨٨م ـ من معهد الدراسات الأفريقية بالجامعة نفسها، ـ وماجستير في الإدارة الدولية ـ ١٩٩٠م ـ من الجامعة الدولية في اليابان.
ـ يحضر حاليا الدكتوراه في الاقتصاد في جامعة كيو ـ طوكيو ـ وموضوع الرسالة: «نظرية التخصيص وتجربة دول منظمة الآسيان».

اللغات السرّية والجماعات اليهودية

د. عبد الوهاب المسيري

يتصور معظم الناس أن اليهود يتحدثون العبرية ويجيدونها، وأن هذا هو حالهم عبر تاريخهم، وهذا أبعد ما يكون عن الواقع، فاليهود لم يتحدثوا العبرية إلا في فترة قصيرة للغاية قد لا تتجاوز خمسة قرون أو ستة من الاستقرار في كنعان (فلسطين) في ١٢٥٠ ق.م. حتى التهجير البابلي في ٥٨٧ ق.م. فاليهود العائدون من بابل كانوا يتحدثون الأرامية. بل وهناك نظرية تذهب إلى أن قبائل العبرانيين، حتى بعد الاستقرار في كنعان، كانت تتحدث لهجات كنعانية وسامية مختلفة. والعبرية لم تكن إلا إحدى هذه اللهجات (فالعبرانيون في مصر لم يكونوا قد اكتسبوا العبرية كلغة للحديث بعد).

وفي العصر الحديث نجد أنه بعد نهاية القرن التاسع عشر كانت الغالبية الساحقة ليهود العالم تتحدث اليديشية، وهي رطانة ألمانية دخلت عليها بعض الكلمات العبرية والأرامية والسلافية وكانت تكتب بحروف عبرية، ولم يكن يعرف العبرية سوى أقلية من أرستقراطية الحاخامات. وبموت اليديشية أصبحت لغة معظم يهود العالم هي الإنجليزية، إذ يعيش أكثر من نصف اليهود في بلاد تتحدث بالإنجليزية (الولايات المتحدة الأمريكية - كندا ــ أستراليا ــ نيوزيلندة ــ جنوب أفريقيا ــ إنجلترا). بل ويقال إن حركة النشر بالإنجليزية داخل إسرائيل تتزايد، إذ يرفض كثير من العلماء الإسرائيليين أن يكتبوا بالعبرية وحسب، إذ إن هذا يعني بالنسبة لهم الانقطاع عن بقية يهود العالم بأسره. فالصورة اللغوية بالنسبة لأعضاء الجماعات اليهودية ليست يسيرة، وهي مغايرة تماما للبديهيات التي نتصورها.

اللغات السرية

ومن الظواهر اللغوية التي تستحق الدراسة ما يسمى بظاهرة اللغات السرية. واللغات السرية هي امتداد لظاهرة نعرفها جميعا وهي ظاهرة تحدّث أعضاء أقلية وظيفية أو مهنية أو عرقية ما بلغة خاصة بها. فكان المماليك يتحدثون فيما بينهم الشركسية (أو إحدى اللغات التركية). ويتحدث الصينيون من أعضاء الجماعات الوظيفية التي تضطلع بدور التجارة والمال بلغتهم الصينية، وكان اليهود في شرق أوربا يتحدثون اليديشية (وقد أصبحت هي لغة الغش التجاري في أوربا، ولذا حرمت بعض الحكومات الأوربية استخدامها).

ويلاحظ أن بعض أعضاء النخبة الحاكمة المصرية قبل ثورة ١٩٥٢م كانوا يتحدثون التركية (أو العربية المطعمة بالتركية) كمظهر من مظاهر التميز والعزلة والانتماء للجماعة الوظيفية الحاكمة. وهذا هو مصدر النمط السائد في الكوميديات المصرية بعد ثورة ١٩٥٢م ــ المصري/ التركي المنتفخ الأوداج، المتعجرف الذي يتحدث هذه اللهجة كإحدى علامات التميز. ولكن يبدو أن التحدث بإحدى اللغات الأوربية بين أعضاء النخب الحاكمة والثقافية في العالم الثالث (والتي تحولت إلى ما يشبه الجماعة الوظيفية التي تخدم الاستعمار) قد أصبح هو الآخر رمز الانتماء للجماعة الوظيفية، فالمتحدث بهذه اللغة يبين كفاءته، وهو في الوقت ذاته يعزل نفسه عن الجماهير التي لا تتحدث سوى لغة

الـوطن. واللغــة من ثم هي وسيلــة من وسـائل الفصل بين الجماعـة وأعضــاء المجتمع المضيف، وأداة للتواصل بين أعضاء الجماعة. ولعل في إصرار الصهاينة على أن تكـون لغة الدولة الصهيـونية هي العبريـة (ليس الإنجليزيـة لغة القوى الإمبرياليـة العظمى، أو الإسبرانتو اللغة التي طـورها اليهودي الروسي زامنهوف على أمل أن تكون لغـة عالمية ولغة يتحـدث بها المستـوطـن الصهيـوني) لعل في ذلك إدراكـا من جـانبهم لطبيعـة الـدولـة الصهيـونيـة باعتبارها دولة وظيفية تلعب دورا تجاريا وقتاليا.

واللغات السرية من الأشكـال المتطرفة للغات الجماعات الوظيفية، فالعوالم والنشالون ـ على سبيل المثال ـ لهم لغاتهم السريـة، وهي في الغالب رطانة تركيبهـا هو تركيب اللغة الشـائعة في المجتمع، مع إضافة مفـردات لغوية لا يعرفهـا إلا عضو الجماعة الوظيفيـة. واللغة السريـة لها فائدة مبـاشرة إذ إنها تسهل عملية أداء الـوظيفة، وهي وظيفـة مشينة في العادة.

وقد استخـدم أعضاء الجماعات اليهوديـة هذه الآلية للتـواصل. وكانت لغاتهم السريـة تتكون في العـادة من جمل باللغـة المحلية تحتوي على كلمات عبرية تعـالج حسب قواعد اللغة المحليـة، فكلمة «أخل» مثـلا كلمة عبريـة بمعنى «أكل» فإن كـان المتحدث اليهـودي يتحدث الإنجليـزية فـإنه يعبر عن معنى أنه «قد أكل بالفعل» على النحو التالي: «هي هـاز أوريدي أخلـد» He has already akhaled. وهم لا يعبرون إلا عن الأجـزاء المهمـة من الأسماء أو الأفعال في الجملة. كما كانت تترجم أسماء الأماكن حرفيا إلى العبريـة فكلمة «نيويورك» مثلا في نحو: «ذهبت إلى نيويورك»، تصبح: آي ونْت تـو يـورك حـاداش» I went to york Hadash حيث جاءت كلمة «حاداش» بديلا عن «نيو» وهي الجزء الأول من كلمـة نيويورك ومعنـاها «جـديـد». **وكــان أعضـاء الجماعــة اليهـوديــة يستخدمون اللغة السرية لمناقشة الأمور التي تهمهم دون أن يفهم أحد من المحيطين بهم، خصـوصا في الأسـواق، مما كـان يسهل عملية الغش التجـاري والاحتيال، وكثيرا ما كان اللصـوص يتعلمون هذه**



اللغـات السـرّية ظاهـرة قديمة عـرفها المماليك وطـوّرها اليهـود

اللغـة لاستخـدامهـا بين النـاس دون أن يفهمهم أحد. ولذا، حينما قام موظف روسي بإعداد معجم عن لغـة اللصوص السرية في أواخـر القرن الثـامن عشر، ظهر أن كثيرا من الكلمات ذات جذور عبرية أو أصلها عبري. وقـد أخذ هـذا دليلا على اشتراك أعضاء الجماعة اليهودية وتورطهم في عالم الجريمة.

وفي الوقت الحاضر، يبدو أن كثيرا من القوادين والقــائمين على تجارة الــرقيق الأبيض في الغــرب يتحدثون لغـة سرية ذات أصول عبرية، وقـد يعود هـذا لــوجـود عـدد كبير من أعضــاء الجماعـات اليهودية في هذه المهنة المشينـة حتى ثلاثينيات هذا القـرن، وقـد أصبحت إسرائيل مصدرًا للبغـايا في أوربا في الوقت الحاضر.

الإسبرانتو

ومن الظـواهر اللغـوية الأخـرى التي تستحق التسجيل والمرتبطـة لا بـالجماعات اليهـوديـة ككل وإنما بأحد أعضائها هي لغة الإسبرانتو التي وضعها لـودفيك زامنهوف (١٨٥٩ ـ ١٩١٧م) وهـو من يهود اليديشية، ولد في بولندا ابنا لمدرس لغة. فكر أن يكتب نحوا للغة اليديشيـة ولكن بدأت تسيطر عليـه فكرة كتـابـة لغة عـالميـة، كما فكر أيضـا في تأسيس ديـانـة عـالميـة تسمى «الهليليـة» نسبـة إلى الحاخـام اليهودي هليل. وقـد كان أيضـا من بين أوائل أعضـاء جماعـة أحبــاء صهيـون. وفي عـام ١٨٨٧م، نشر زامنهوف مخططا للغته الدولية تحت اسم «الدكتـور إسبرانتو» (الدكتـور المؤمل أو الذي عنده أمـل)، وقد أصبحت كلمة «إسبرانتـو» اسم اللغـة التي وضعها. وهي لغـة يستنـد نحوهـا إلى التركيب النحوي في اللغات الأوربيـة. ولكن نحو الإسبرانتو يسير، إذ يتكون من ١٦ قاعدة ويخلو من أي شـواذ. وقـواعـد اشتقـاق الكلمات يسيرة، إذ يمكن توليد كل الكلمات المطلـوبة من عدد صغير من الكلمات الأساسية البـالغ ٩٩٠ كلمة وحسب (بـالقياس إلى نحـو ٢٠ ألف كلمة في كل لغـة). ومن ثم فمفرداتها كثيرة إلى ما لا نهاية لها، ولكن من السهل تـذكرهـا. وقـد فكـر زامنهـوف أن يجعل الإسبرانتو لغـة المستوطن الصهيـوني، لكن أليعازر بن يهودا كان قد بدأ عملية بعث العبرية.

وقد عقـد أول مؤتمر للإسبرانتـو في فرنسـا عام ١٩٠٥م، ثم عقـدت عـدة مـؤتمرات حتى الحرب العالمية الأولى. ومع أنه كـانت هناك عدة محاولات أخرى لتطوير لغات عالمية، فإن الإسبرانتو لا تزال هي أشهر هـذه اللغات. ويبدو أن زامنهـوف كان يدور في إطار فكر عصر الاستنارة الذي يعادي كل الخصوصيات حتى يظهـر الإنسان الطبيعي، ومن ثم فقد طور لغة عالمية محايدة هي الإسبرانتو وديانة عالمية محايدة هي الهليلية، ليساعد ذلك على ظهور إنسان عام محايد لا يتمتع بأيـة خصوصية قومية أو دينية.

مانع سعيد العتيبة بين ظمأ الشاعر وجنون الشعر!

د. يوسف نوفل

عاطفية الشعر أو الشعر العاطفي عند مانع سعيد العتيبة تقوم على أساس هو الصدق الفنّي، وأساسه هنا، ما نراه من تصوير فيض المشاعر، وقوتها، وموقف المحب، وعنفوانه.

ولن يذكرنا ذلك بمقولة ابن رشيق صاحب « العمدة » : « من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حَسَنٌ فيه »، إلا أن موقف الشاعر المعاصر هو الصدق الفني في الموقف أو في التجربة الشعرية، ولا يكون ذلك من باب : «عذوبة كذب الشعراء » أو « المبالغة » كما عبر القدماء، في حديثهم عن مبالغة الشاعر :

ذُبتُ من الشوق فلو زُجَّ بي ... في مقلة النائم لم ينتبهْ

ومبالغة الآخر :

كَفَى بجسمي نُحُولاً أنني رَجُلٌ ... لولا مخاطبتي إياك لم تَرَني

لا يكون موقف الشاعر المعاصر في تجربته الشعرية من باب « الكذب »، ولا « المبالغة ». بل يكون من باب صدق التجربة الشعرية كما سنرى في حديثنا عن التجربة الشعرية عند مانع سعيد العتيبة.

وقد يكون في مجالات تجربته الشعرية ما يسمى « التطهير »، وقد اهتم أرسطو بالتطهير catharsis في كتابه « فن الشعر » [١]، وشرحه، وكشف عنه بما يبعثه من رحمة وخوف، حتى ليرى أن النفس تجد « طبًّا وتطهيرًا » [٢] في مشاهدة المأساة.

وتطور ذلك في مجالات التحليل النفسي، حيث التسامي بالعاطفة عن طريق الجمال الفني الأدبي وقال، « لارو شفوكولد Rochefoucauld » : « تطفئ الريح القوية الشموع ولكنها تؤجج النار ».

يقول محمد غنيمي هلال [٣] :

« فلا يصح - إذن - تعميم وظيفة « التطهير » في الفن، بل يجب الاحتراس في تطبيقها على حسب الحالات والمواقف المختلفة، على أن التطهير صحيح في بعض الحالات، ويقصد به إلى تحرير النفس من الانفعالات، أو التسامي بها عن طريق فني لا ضرر فيه»، ويستشهد بحديث الكاتب القصصي الإنجليزي موجام Mougham عن مهنة الكاتب بأنها « نوع من التعادل، فعندما يشغل فكره شيء ما، كفكرة استغرق فيها، أو حزن لموت صديق، . . . أو جُرحتْ كبرياؤه، . . . يكفيه أن يعبر عما يفكر أو يشعر به بإرساله المداد الأسود على بِيضِ الصفحات، كي يصوغ منه موضوع قصة أو رسالة فينساه نسيانًا تامًّا».

رسالة الشعر وفيض الشعور

في معجم الشاعر تلمع كلمات : شَعَر، وشعور، ومشاعر، وفيض، وتطهير، ووجد، فالشعر عنده شعور معبِّر عن مشاعره كما نرى في (قصائد إلى الحبيب ٨٢، ٩١، ١١٨، ٢٧، ٣٤) :

هو ذا صوت فؤادي ... فاسمعيه يا فتاتي



الشعر إن لم يكن مرآة النفس منطلقًا منها ومتجهًا إليها يصبح كلمات هامدة لا حياة فيها

واشهـدي صـدق شعـوري   معْلَنـًا في عبراتـي
إنّما راعـي شعـورًا   للنفـوس الحائـرات

ويكون الشعر رسالة تحمل فيض مشاعره، وهي بحر دمائه في قصيدته: رسالة إلى الحبيب من (قصائد إلى الحبيب) ص ٤٤ ـ ٥١، حيث تدور القصيدة كلها حول أن الشعر رسالة تعبر عن مشاعره، بقوافيها، حتى يسمع الليلُ قصائده، وتكون قصائدهُ رثاءه، وتتكرر فكرة الرسالة في (نشيد الحبيب - ٧٩).

ويكون الشعر في ختام القصيدة معبِّرا عن الوفاء (الديوان نفسه ٦٠):

فأنـا الـوفيّ لمن أحب وشاهـدٌ   ما صُغْت من شعـرٍ لكم وقـوافِ

وفي ديوانه (نشيد الحب ٢٨، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٥، ٧٧، ١٢٦ـ ١٢٨، ١٢٩ ـ ١٣١، وفي أغان وأمان ١٣٦):

فانساب شعري كدمع العين منهمرا   يئن شوقـًا لمن في دربنـا سـاروا
أجـد القوافي دون فيـض مشاعـري   مهما سخَتْ في خصبهـا وغنـاهـا
وحـدي أبث الليل فيض مشاعـري   فتجيبني في صمتـه الأصـداء
وصنعت مـن آلام أيـام النـوى   شعـرًا ينـوء بنظمـه الشعـراء
يُبكي قلوبَ العـاشقين بصدقـه   ويضجّ من أحـزانـه الإلقـاء

وهكذا يصل بشعوره ومشاعره وفيضها إلى التطهر والتطهير:

سكن الحبيب اليـوم في أبيـاتـه   والسابقـون من الفـؤاد تبخّـروا
فكأنني مـا صغت شعـرًا قبلـه   أو ربّما شعـري القـديم تصـوُّر
عـانيت من أوزانـه وقيـوده   وكأنني في الصخـر أنقش أحفـر

حتى يقول:

الصمتُ في عينيك مثلُ قصيـدة   مـا قلتهـا قبـلا ولا تتكـرر

ولهذا يربط الشعر بالوجد:

تفجـر من معـانـاتي سـؤالي   إلى خلّي فهـل يصـل الجواب
ومعـذرة إذا مـا ثـار شعـري   فمن نـار الجوى هـذا العتـاب
وكـان الـدمع في الماضي شعـورا   تُـجَسِّد فيضَـه أبياتُ شعـري

وتدور قصيدة المناسبة من ديوان (الرسالة الأخيرة ٥ ـ ٩) حول القصيدة وبواعثهـا، وآفاقهـا الشعوريـة، في حـوار بينه وبينهـا نقتطف منهـا قولـه منذ مطلعها:

طلبت مني قصيـدةً   مِثلَ أحـلامـي سعيـده
قُلْتُ: غـابَ الشِّعـرُ عني   وأنَـا لَـنْ أَستعيـدَهْ
همستْ مـن غير وَعْـي   بانفعـالاتٍ شـديـده
أيُّهـا الشـاعِـرُ صَـارتْ   كـلّ أحلامـي بعيـدَهْ
كـان لي شِعْـرُك قلبـا   وأنـا كنتُ وَريـدَهْ
قـل إذن شعـر رثائـي   فـأنـا اليـومَ شهيـدَهْ
قلـت والحب يُغنّـي   في جراحـاتـي نشيـدَهْ
لم يمت شعـري ولكـن   طـوّق الحُسّـادُ جيـدَهْ
خنقـوا فيـه شعـوري   نَهَبُـوا حتى رصيـدَهْ

حتى يقول في (أمير الحب ١٢٥):

وخفـق قلبـي بـديـل   عـن مفـردات كلامـي

مانع سعيد العتيبة بين ظمأ الشاعر وجنون الشعر!

○ الشعر عند مانع العتيبة يعني الصدق الفني في الموقف أو في التجربة الشعرية

المشاعر نظمًا ونثرًا

هكذا يبرز معجم الشعور والمشاعر في شعر شاعرنا، وهي مشاعر تسلمه إلى كون الشعر رسالة.

فالشعر رسالة في (ليل طويل ٧٥):

يا فتاتي إنّ شعري في دجى الليل رسالهْ
لأناسٍ قد أضاعوا أمسِ مفهوم البسالهْ

وهو يرفض النفاق (٧٧):

لِنَصوغَ المدحَ شعرًا وأناشيدَ نِفَاق

ويتحدث في مقدمة (مجد الخضوع) عمّا سماه « قصة الحب الأزلي »، يقول:

« ومن خلال صراع الإنسان مع ذاته يبرز صراع الذات بين الحب والأنانية، وعندما ينتصر الحب على الإنسان، ويكون الخضوع مجدًا ».

ويقول في مقدمة (قصائد إلى الحبيب) (٤):

« والشعر إن لم يكن مرآة النفس منطلقًا منها ومتجهًا إليها يصبح ـ في رأيي ـ كلمات هامدة لا حياة فيها، والشعر يجب أن يكون مرآة صادقة لشعور الشاعر وأداته في التعبير عما يصطرع في قلبه من انفعالات ».

ويتحول الشعر عنده إلى رسالة (في قصائد إلى الحبيب ١١٠، ١١١).

قالت : وما دامت حكاية حبنا ... في جوِّ كلِّ العاشقين ترفرف
ستسافر الأشعار ما بين الورى ... وتُذَاعُ أسرارُ القلوب وتُكْشَف
فإذا شَداَ العشّاقُ في خطواتهم ... بجميلِ شعرٍ من فؤادي يُغْرَفُ
فتأكدي مِنْ عدلِهم في حكمهم ... ما حُكّم العُشّاقُ إلا أَنصفوا

ويقول في صدق الشعور (٥) أو جعله كالحلم، أو هو نبض وإحساس:

والله لم يكذب شعري ولا نظمي ... فإنّي شاعر والشِّعر حلم
يُرى في صَحْوة لا في سُبَات ... الشعر في خافقي نبضٌ و إحساسُ
وكيف يشرحُ نبضَ القلب قرطاسُ

وتدور صفات الشاعر (في محطات العمر ٣٦ ـ ٣٧) بين الظمأ والضنى في صفات هي:

الشاعر الظامئ ـ شاعر مُضْنىً ـ جنون الشعر.

وفي (أمير الحب ٤٣):

جُنّ شعري وأتاكم معلنا ... ثورةَ الشوق فهل نحن جُنِنّا

وفيض الشعور والمشاعر عند شاعرنا تؤكده ظاهرة عامة في دواوينه، هي تسمية الديوان باسم قصيدة من قصائده، كما نرى في الدواوين التالية:

ديوان: **أمير الحب**، حمل اسم القصيدة رقم ٤ ص ٢٩.

وديوان: **ضياع اليقين**، حمل اسم القصيدة رقم ٢٤ والأخيرة ص ١٣٧ باسم **ضاع مني يقيني**.

وديوان: **قصائد إلى الحبيب** حمل الاسم الشائع في قصائده كلها حيث يرد الحبيب في عنوان القصائد: مضافًا إليه، أو موصوفا، أو مجرورًا بإلى أو من أو مع، أو فاعلا.

وديوان: **نشيد الحب**، حمل اسم القصيدة رقم ١٣ ص ٧٤.

وشاع مضمون اسم ديوان: **خواطر وذكريات في الديوان** كله.

كانت قصائد ديوانه **(قصائد بترولية)** منشورة في دواوين سابقة، ومعظمها في **(محطات على طريق العمر)**، وبعضها في **(خواطر وذكريات)**.

وديوان: **الرسالة الأخيرة** حمل اسم القصيدة رقم ١٧ ص ١١٨.

وديوان: **مجد الخضوع** حمل اسم القصيدة رقم ١٧ ص ٨٦. وكان ديوانا **ليل طويل والمسيرة** مطولتين من مجزوء الرمل منوعتي القافية في شكل سداسيات وليستا ملحمة كما رأى الشاعر. وتضمن ديوان: **محطات على طريق العمر** ما يدل على اسمه وتكررت معظم قصائده في قصائد بترولية.

الهوامش

(١) أرسطو طاليس، فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة، وشروح الفارابي، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، القاهرة ١٩٥٣ وانظر شكري عياد، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م.

(٢) انظر للتفصيل، محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧ م، ص ٨٠ ومابعدها.

(٣) النقد الأدبي الحديث ص ٨٣.

(٤) وانظر مقدمة (أغنيات من بلادي) ـ وهو نبطي ـ حيث قصته مع الشعر، ونفهم منها أنه بدأ الكتابة منذ ١٩٥٦، حيث استهوته كتابة الشعر النبطي أيضا، وكتب المقدمة في ديسمبر ١٩٧٨.

(٥) أغان وأمان ٢٦، ٨٢.

خماسيات شعرية

شعر: زكي قنصل

شنَّ الــدعيُّ على قــريضي غــارةً ... شعــواءَ غــذّاها خيــالٌ قــاصرُ
فسكتُّ عنــه عفّـــةً وكرامـــةً ... أيخاف مثلي هــــــذره ويحاذرُ ؟
حــوّلتُ عنــه نــاظري وعـــذرتُــه ... لــو كــان يشفيــه سكــوتٌ عــاذرُ
من لا تحرّكــه العــواصف مــا عتتْ ... هيهــات يقصفــه خُــواءٌ عــابرُ
الحمــــد لله الكــــريم فإنني ... أيقنتُ بعــد الشك أني شــاعرُ

يــا من يــربّي بــالعصــا أولاده ... ســاءت عصاك مــربّيًا ومؤدبا
يتمـــرّد السنّـــورُ إن عــاملتَـــه ... بشراسـةٍ، وتثير فيــه العقــربا
البيتُ مـــدرسـةٌ تُحبُّ وتُشتهى ... مــا كــان راعيهــا رضيًّــا طيبا
فاسهرْ على ابنك واصلا حسناتـه ... وازجــرْه بــالحسنى إذا هــو أذنبا
مــا دمتَ تضربــه ضعيفًــا قـاصرًا ... جــازاك بــالأنكى قــويًّــا أغلبا

يــا حــاملين على القــديم يقــودهم ... وهْمٌ يمتُّ إلى العمــى وغــــرورُ
ليس الجديــدُ ركــاكــةً وسخــافـةً ... إن الجديـــد فصــاحـــةٌ وشعـــورُ
طلع الصبــاحُ على الــرُّبى فهـربتُم ... بــالله لِمْ لم يهربِ الشحـــرورُ
لا تحسبــوا التـــزمير يبني شهــرةً ... كم شهـــرةٍ أودى بها التـــزميرُ
لــو خلَّدَت لغــةُ الرطانة خــاملاً ... مــا مات شــاعركم وعــاش «جريـر»

هــــلاّ سكتَّ عن البخيل فليس في ... وسع الثمالــة أن تفيض غــديرا
سيّـــانِ في نظــــر الحيـــاة مقتّرٌ ... ومبـــذّرٌ يهبُ الألـــوفَ قـــريرا
كلٌّ يـــؤدّي في الـــوجــود رســالــةً ... إنّــا اختلفنــا منهجًــا ومصيرا
يمشي الفقيرُ إلى الغنيِّ بحــاجــةٍ ... ولـــربما احتـــاج الغنيُّ فقيرا
إني لأقـــرأ في الشتـــاء قصيــدةً ... غضبى يفسّرهــا الــربيعُ عبيرا

صداع العقول

الجدلُ والقِسمةُ الحاصِرة



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قال أبو عبد الرحمن: استعمل الجدل بمعنى المناظرة كما استعمله الإمام أبو محمد بن حزم لسببين:

أولهما: أن مَنْ فَرَّق بينهما جعل الجدل للمغالبة فقط، وليس هذا الجدل مطلبًا إسلاميًّا فيعبأ ابن حزم بالتقنين له، وإنما قنن للجدال بحق، وهذا معنى المناظرة.

وثانيهما: أن الجدل والمناظرة لفظان متواردان على معنيين يهدف إليهما المسلم، وهما: ابتغاء الحق بمطارحة التصورات والأحكام والبراهين، فهذا مناظرة، وهو ابتداء الجدل، فإذا اختلف لم يكن بيان الحق إلا بمزيد من التبادل ينتهي بقناعة أحدهما عن طريق برهان أو اعتراض مفحم، فالجدل ضرورة في المناظرة إذا حصل الاختلاف.

وكان ريحانة العلماء وحبر الأمة شيخ الإسلام ابن تيمية ذا نور وبصيرة بسبب تفضل الله عليه بالموهبة أولاً، ثم إعانة الله سبحانه إياه بالهداية والاستيلاء على شهوات النفس والصدق مع الله. فكان تصوره في الجملة صحيحًا وسيرته زكية، فلما اجتمع له الذكاء والزكاء كان فلاجا للباطل بالحق. لم ينقطع في مناظرة، وأسلم على يده عدد من أهل الملل، واهتدى على يده عدد من أهل النحل.

ولم يكن حافظًا فحسب كما هو الغالب في أهل عهده، ولم يكن مفكرًا فحسب كما هو الغالب في أئمة علم الكلام والأصول والفلسفة، وإنما كان حافظًا بقدر الحاجة مفكرًا إلى أقصى حد.

وفي خلال الشبيبة اليوم قلة قليلة جدًّا جدًّا تصلح أن تكون مشروعا لحفظٍ بقدر الحاجة، وفكر لا حد له. وبذلك يهدون ويهتدون بإذن الله، لأن هذا العصر الشرس أحوج ما يكون إلى الجدل المشروع.

ولا يقولن قائل لسنا بحاجة إلى الجدل بإطلاق، لأن السلف زاهدون في الجدل، فهذا سوء فهم لضرورات العصر وسعته. وبيان وجه سوء الفهم أن الغرض من الجدل دفع الشبهة الطارئة على الحق وتجليته، وليس الغرض منه تأسيس الحقيقة.

والسلف في أجيال مؤمنة عاملة، وجمهرة حاجتهم جمع ما تجب طاعته من النصوص الشرعية وخدمتها بالعلوم التي تثبت ورودها وتبين مفهومها وتحدده. وبعد ذلك فالدين كله عندهم معقول، فهو مؤسس بما لديهم من إيمان قوي، وما لا يعقلون علته وحكمته معقول، لأنه ابتلاء من حكيم عليم خبير.

إنهم ليسوا بحاجة إلى جدل يدفع الشبهة، فإن أحوجوا إلى الجدل أخذوا بقدر الحاجة.

قال أبو عبد الرحمن: وقد ذكرت في إحدى المناسبات أن السلف أقدر الناس على الجدل وأقواهم حجة، وضربت المثال بأجوبة أهل الحديث أيام الفتنة بمسألة خلق القرآن كجواب الكناني وأبي مسهر، مع أن شكي في كتاب الحيرة ثبوتا قوي جدًّا.

قال أبو عبد الرحمن: والجدل المشروع اليوم

فـرض كفايـة على الأعيان المثقفـة المتفوقـة من أهل العلم؛ لكثـرة الشبـه التي يغمـر بها أهل الكتـاب والإلحاد عقـول المسلمين، وقـد صـدرت عن طـواغيـت أمم تملك العلـم المادي اكتشـافـا واختراعـا، وتملك أشـد أسـاليب الفكـر كيـدًا وتضليلاً.

وهـذا الإرهـاب الفكـري استعـارتـه طـوائف المسلمين اليـوم في صراعـات نـاشبـة بينهـا، حتى صـار كل اختلاف بين المسلمين في صف وخـلاف أهل السنة والجماعة في صف.

لهذا وجب على الأفـذاذ من علماء السنـة والجماعة التسلح بـالجدل الصادر عن علم ومـوهبة فكرية وسيرة عطرة، ليكون الجدل هاديًا مهديًّا.

قـال أبـو عبد الـرحمن: والبـاعث على الجدل الاختلاف، وغـايته حمل كل واحـد من المتناظـرين أخاه على ما يعتقد أنه الحق، وإذن فلا بد من تيقظ كل واحد منهما إلى إلزامه أخـاه بنتيجة ما اتفقا على أنـه الحق إذا كـانت النتيجـة لازمـة، إذ الـلازم من الحق حق، وكذلك الإلزام بما لـزم من باطل، لترك الأصل الـذي صـدر عنـه الـلازم، لأن مـا أنتج الباطل بضرورة فهو باطل.

قال أبو عبد الـرحمن: وللإلزام في الجدل صور منهـا القسمة الحاصرة، والقسمـة عمـومًا جديـرة بدراسة تأصيلية، وأكتفي الآن بنموذجين:

الأول: في قـول الله تعـالى ﴿ثمانيـة أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكريـن حرم أم الأنثيين أمـا اشتملت عليـه أرحـام الأنثيين نبئـوني بعلم إن كنتم صـادقين. ومن الإبـل اثنين ومن البقـر اثنين قل آلـذكـرين حـرم أم الأنثيين أمـا اشتملت عليـه أرحـام الأنثيين أم كنتم شهـداء إذ وصـاكم الله بهذا فمن أظلـم ممن افترى على الله كذبًا ليضل النـاس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الأنعام ١٤٣ ـ ١٤٤.

قال أبـو عبد الرحمن: ووجـه الدلالـة من الآية الكريمـة أن الكفار لما حرمـوا ذكور الأنعـام تارة، وإناثها تارة حصرهم الله في أمرين لا يكون مصدر للأحكام تحليلاً وتحريمًا غيرهما، وهما: أن يكون في المحـرم خـاصية تقتضي التحـريم، فيكـون محرمـا لـذاته وتكـون وسـائلهم العلميـة البشرية مظهـرة لذلك.

والخطـاب الشرعي بـالتحـريم من الله خـالق الأنعام.

فأما الخاصية الذاتية فتكون من ظاهرتين:

أولاهما: الذكورة أو الأنوثة.

وأخـراهما: اشتمـال البطن عليهما، لأنهم قالوا: ﴿ما في بطون هذه الأنعـام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ الأنعام ١٣٩.

وقـد نص الله على هـاتين بقـولـه: ﴿قل آلذكـرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليـه أرحام الأنثيين﴾.

ومجال الحصر في هاتين أنهما محل دعواهم.

وأما الخطاب الشرعي فنص عليه بقوله: ﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾.

وكـانت النتيجـة أن حكمهم افتراء وإضـلال بغير علم. قـال أبـو عبـد الـرحمن: والقسمـة تتضمن معنى التحـدي، ووجهـه هـاهنـا أنـه لا مصدر لدعواهم من المصادر المعتبرة غير ما ذكر مما بطل تعلقهم، فمن ادعى سوى ذلك فليظهره.

وفيهـا الإلـزام بأن المخـالـف ذو دعـوى فحسب، لأن الأقسـام المحصورة لم يـوجد لـه فيها متعلق.

والقسمة تعتمـد على الثالث المرفـوع من جهة حصر المخـالف في أمـرين لا سبيـل إلى الجمع بينهما، وهما: الإلزام بأن يكون مـدعيا، أو الإلزام بالقول بعلم.

والغرض من القسمة في الآيـة الكريمة تبيان أن كل قسم مـن الأقسـام المحصـورة لا يـوصل إلى الدعوى.

وقـد بيّن السيوطـي في الإتقان وجـه الحصر في الآية. وقـد يراد من القسمـة استجرار المخـالف إلى البرهنـة دون الـدعـوى ــ مع العلم بعجـزه عن البرهـان ـ ليظهر له هو أنه على غير الحق.

فكأن القسمة تقول لـه: لا نعلـم لك برهانا، ولا شبهة، وكل مصدر لـدعواك حصر، فلم نجد لك فيه متعلقا، فإن كـان عندك شيء غير الدعوى المجردة والشبهة غير المعتبرة فأظهره.

والنمـوذج الثـاني من القسمـة الحاصرة: قـول ابن حـزم في الرد على السـوفسطـائية: «قـولكم: «إنه لا حقيقة للأشياء»: حق هو أم باطل؟

فإن قالـوا: هو حق، أثبتوا حقيقـة ما. وإن قالـوا: ليس هو حقًّـا، أقروا ببطلان قـولهم وكفوا خصمهم أمرهم».

قـال أبـو عبـد الـرحمن: الغـرض من هـذه القسمـة حمل المعـارض على الإذعـان للحق بـلازم كـلامـه أو سلـوك مـرتقـى صعب للتخلص من اللازم.

فالإذعـان للحق أن يقولوا: رجعنا في قـولنا: «لا حقيقـة للأشيـاء» لما يلـزمنـا من كـون دعوانـا ضمن الأشياء.

والمرتقى الوعـر أن يقولوا: لا حقيقة لـلأشياء إلا دعوانا أن لا حقيقة للأشياء.

قـال أبـو عبد الـرحمن: فيكـون هـذا تحكم، ويلزمهم حينئـذ البرهان على التخصيص. ومن ثم يكون الجدال مستأنفـا منصرفا إلى مـا يحتمل إيراده من شبهة.

الحرية في ميزان الإسلام

بقلم: د. عدنان علي النحوي

من أخطر القضايا التي ثارت في تاريخ الإنسان قضية الحرّية. إنها قضيّة أثارت الفلاسفة والمفكرين حتى ادَّعَوا لها محتوى ونماذج، وأثارت الشعوبَ حتى قامت من أجلها ثورات، وزعزعت نظمًا تهاوت تحت زحوف المظلومين. إنها قضية تملأ التاريخ البشريَّ بالأحداث والنظريات والصراع المستمر.

لقد كانت دعوى الحرّية من أهم شعارات الثورة الفرنسية. وارتبطت دعواها بشعارين آخرين هما الإخاء والمساواة. ولكنَّ الثورة الفرنسية لم تعرف الحرية ولا الإخاء ولا المساواة، ولا قدّمت من ذلك شيئًا غير الشعار تهتف به الحناجر وتُحفَر به النصب والأحجار، ثمَّ تُرتكب أبشع المظالم، فتتناثر الجماجم تحت المقاصل، وتتطاير الأشلاء عَبَثَ الظالمين، وتدور أوسع جرائم الأرض، ويُطوَى ذلك كله تحت أستار الدعاية الزّاهية والسلطة القاهرة. وتُطوى معه الشعارات التي نادى بها **فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م) وجان جاك روسو** (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) والتي مهّدت لقيام الثورة الفرنسية. وتُطوى بين أمواج الجريمة القيمُ التي بنتها النبوّة في تاريخ الإنسان الطويل.

وثورات أخرى كثيرة قامت لتصارع من أجل صورة من صور الحرية التي توهمتها، وتعاقبت الثورات في تاريخ الإنسان حتى يومنا هذا. ولكن الإنسان في الأرض اليوم ما زال يفقد الحرية الحقيقية وما زال بعضهم يجاهدون من أجلها.

لقد فشلت معظم هذه الجهود لأنها لم تطلب الحرّية بصورتها المتكاملة، وميزانها العادل، فاضطربت المقاييس وامتد الصراع.

ارتباط الحرية بالتوحيد والإيمان

إن النموذج الأمثل العادل للحرّية، النموذج المتكامل المتناسق، لم يدعُ له إلا الأنبياء والرسل، ولم يَحمله إلى الناس إلا رسالة الله إلى عباده وخلقه، ولم يطبقه في واقع الإنسان إلا الأنبياء وأصحابهم وحواريوهم الذين حملوا الرسالة من بعدهم، وصدقوا اللهَ في حملها دون أن يحرِّفوا أو يبدّلوا. ذلك لأن الحرِّية الطاهرة الصادقة مرتبطة كلّ الارتباط بالإيمان والتوحيد وأسسهما، مرتبطة برسالة الله إلى الناس، مغروسة في فطرة الإنسان السويّة التي فطره الله عليها، إذا لم تنحرف أو تتشوّه أو تفسد.

ولعل كلمة **عمر بن الخطاب** ـ رضي الله عنه ـ التي قالها **لعمرو بن العاص** رضي الله عنه، حين اعتدى ابنه محمد على أحد الناس وضربه بالسوط، ثم جعل عمر الرجلَ يأخذ حقَّه من ابن عمرو بن العاص فضربه بالدرة واستوفى واشتفى، لعل كلمة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يومَها ما زالت تدوِّي ملء العصور والأجيال، تعلّم الناس نموذجًا رائعًا من نماذج الحرِّية، نموذجًا جامعًا للكثير مما ذكرناه أعلاه. **قال عمر رضي الله عنه: «أيا عمرو! متى تَعبَّدتُم الناس وقد ولدتهم أُمهاتهم أَحرارًا»؟** (١)

إنها الفطرة التي فطرهم الله عليها، فولدتهم أُمهاتهم بها مع ما أَودع الله فيها من أسرار وقوى ورغبات. وكان أَهمَّ ما أَودع الله فطرة الإنسان الإيمانُ والتوحيدُ، ليرويا ويغذّيا جميع الطاقات والرغبات، فتظل تعمل متوازنة عادلة، فإذا اضطرب هذا الريُّ والغذاء، أو انقطعا، أو استُبدل بهما مصدر فاسد، انحرفت الفطرة واضطربت الموازنة وساء العطاء. فتصبح الشهوةُ فجورًا وعدوانًا، والحبُّ والموالاة وثنيةً وشركًا والحرِّيةُ أنانيّةً واستبدادًا والإخاءُ عصبيةً واستغلالاً.

من هنا تأخذ الحرية معناها الإيماني حين ترتبط في فطرة الإنسان بالإيمان والتوحيد، وتأخذ بعدَها الإنسانيَّ حين أودعها الله فطرة الإنسان، لتأخذ حقيقة هذا البعد وجوهره، من هنا ترتبط الحرّية بكل المعاني التي يتغنّى بها الناس والشعارات التي يرفعونها لتظل صادقة بها أمينة معها. ومن هنا تأخذ الحرّية معناها الكامل ومحتواها المتكامل والمترابط، وممارستها المتناسقة. فإذا انفصلت عن هذا المنبع الغنيّ الذي يرويها انقلبت فتنةً في الأرض وفسادًا، وانفصلت عن خصائصها ومقوّماتها، وأخذت خصائص جديدة من الشرِّ والانحراف والفتنة.

من هذا الارتباط بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن هذا الارتباط

بـالإيمان والتوحيـد، تكتسب الحرّيـةُ العادلـةُ، الحرّيـةُ الحقيقيةُ، الحرّيـةُ في الإسلام، خصـائص مهمة مؤثـرة في واقع الإنسان والشعوب على مـر العصور كلها، ومؤثرة كذلك في واقعنا اليوم نحن المسلمين.

المسؤولية والحساب

ومن أولى هذه الخصـائص وأهمها المسؤوليـة والحساب، فهاتـان الصفتان هما من خصائص الإيمان والتوحيد، وخصـائص كل سجيّة ترتبط بها. ولا بد هنـا أن نشير بإيجاز إلى أن الإيمان والتوحيـد يمثلان قضيّـة مفاصلـة وحسم لا مسـاومـة معهـا ولا تـراخ: ﴿إنـه لقـولٌ فصْلٌ. ومـا هـو بـالهَزْل﴾ الطـارق ١٣ـ١٤. ويمثلان قضية تكاليف في شتـى ميادين الحياة والتزام بها وجهاد لها في سبيل الله، وقضية مسؤولية وحساب.

فـلا حـريـة في نظـر الإسـلام دون مسـؤوليـة وحسـاب. فحين يعطي الله سبحانه وتعالى حرّية الاختيار للإنسـان، ويوفر لـه كلَّ أسباب ممارستها، فإنه لا يتركه مع حرِّيتـه هذه متفلّتا من مسؤوليـة اختياره. بل يجعل الله لكل اختيار يمضي إليـه الإنسان نتيجـة جليّـة وجزاء عـادلاً لا يستطيع أن يفـرّ منه أبـدًا. ويمضي هذا الجزاء في الدنيا على سنن لله ثابتة، علمنا الله بعضها في كتابه وسنة نبيه ﷺ وفي الآخرة إلى إحـدى نتيجتين ـ جنّـةٍ أو نـارٍ ـ لتمثل كل نتيجة منهما حصاد اختيـار الإنسان في الحياة الـدنيا. ونأخذ مثـلاً على ذلك في كتاب الله:

﴿وقل الحقُّ من ربكم فمن شاء فليـؤمن ومن شاء فليكفر إنّا أعتدنـا للظالمين نارًا أحـاط بهم سُرادِقُها وإن يستغيثـوا يُغاثوا بماءٍ كـالمهل يشْوِي الـوُجُوهَ بئسَ الشرابُ وساءتْ مـرتَفَقًا. إن الذين آمنـوا وعملوا الصالحات إنَّـا لا نضيعُ أجرَ من أحسن عملاً. أولئك لهم جناتُ عـدْنٍ تجري من تحتهمُ الأنهارُ يحلّون فيها من أساورَ من ذهب ويلبسـون ثيابًا خُضْرًا من سُنـدُسٍ وإسْتبْرقٍ متكئين فيها على الأرائك نعم الثوابُ وَحَسُنَتْ مُرتَفَقًا﴾ الكهف ٢٩ ـ ٣١.

﴿وقل الحقُّ من ربكمْ...﴾ هـذا هـو المنطلق. إعـلان الحق الـذي لا باطل معـه أبدًا، لأنه من عنـد الله، إعلانه والـدعوة إليه ﴿فمن شـاء فليؤمن ومن شاء فليكفـر...﴾ ثم تأتي فرصة الإنسان ليختـار على مسؤوليته الإيمان بالحق من عند الله كما يأمر الله، أو الكفرَ بـه. إنها مسؤولية الإنسان، فلا ينفع إيمان يدَّعيه الإنسان رهبة من سلطة دنيـوية، أو رغبة في عَرضٍ من الدنيا، أو نفاقًا يـزينه الشيطان لـه. لا بُدَّ أن يكون الإيمان قنـاعة تستقـرّ في القلب حتى تطمئن النفس بها. ولا يختار الإيمانَ بالحقِّ إلا الفطرةُ السليمةُ السويةُ التي لـم تنحرفْ بالمعـاصي والآثام والظلم والعدوان. فهذه الفطـرة السليمة، كما أشرنا إليها آنفًا، يهديها الله إلى صـدق الاختيار برحمته وفضله، وعفـوه وعدلـه، وأما من وقع في المعصية والهوى، والآثام والمظالم حتى انحرفت فطرته أو تشوّهت بما كسبت يـداه، وحتى غلبتـه الفتنـة وأغواه الشيطـان، حتى لـم يعـد يستحق الهداية من الله بما ظلم به نفسه، فإنه يختار عندئذ الكفر على سنن لله ماضية في خلقه، وحكمة لله غالبة، وعدالة له ماضية لا يظلم معها الله أحدًا.

﴿كذلك حَقَّتْ كلمةُ رَبِّـكَ على الـذين فسقـوا أنَّهم لا يؤمنون﴾ يـونس ٣٣. ولا تمضي هذه الحريـة في الاختيار كما عبّرت عنها الآيـة الكريمـة في سورة الكهف دون مسؤولية أو حسـاب. فتأتي الآية التي تليها ﴿إنّا أعتـدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقهـا﴾ فهذا جزاء الكافـرين الذين يموتـون على كفرٍ علّمه الله بهم. وأما مـن اختـار الإيمان فجـزاؤه جنـات عـــدن: ﴿إن الذيـن آمنـوا وعملـوا الصالحـات إنا لا نضيع أجـر من أحسن عمـلاً. أولئك لهم جنـات عـدن...﴾.

ولا تكون المسؤوليـة والحساب في الآخرة فحسب، ولكنها كـذلك في الدنيا حيث تمضي سنن الله الثـابتة العـادلـة على هؤلاء وهـؤلاء على حكمـة لله غالبـة وعـدالة مـاضية: ﴿أم حَسِبَ الـذين اجْتَرَحُوا السيئـاتِ أن نجعلَهُم كالـذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سواءً محياهم ومماتُهم ساءَ ما يحكمون﴾ الجاثيـة ٢١.

وربما يلتبس الأمـر على بعض الناس حين يـرون بعض آيات الله في ابتـلاء المؤمنين، فتغيب عن بالهم سنة الله في الابتـلاء ليمحّص الله بها عباده، وليميز بها الخبيث من الطيب، ولتقوم الحجة على كل إنسان يوم القيامة.

○ لا حـريـة في الإسـلام دون مسـؤوليـة وحساب

الحرية المزعومة

هـذه هي أولى الخصائص الإيمانيـة التي تتميـز بها الحرية في الإسـلام عن سائر المبادئ البشريـة والفلسفات المادية. كلٌّ يدّعي الحريـة ثم يصوغها بهواه على نمط مصالحه المادية وشهـواته المتفلتة. فالديمقراطيـة مثلاً أطلقت الحرّية الفـردية حتى لا يكـاد يكون لها ضـابط وموجّه. فـانفلتت الحرية الجنسيـة في أوحـال الجريمة والمعصيـة لا تـوقفها مسـؤولية في الـدنيـا ولا رهبة من عـذاب الآخرة. وعندما يطلقون حرية الدين كما يزعمون فإنهم في حقيقة أمرهم يقتلون الحريـة ويـدفنـونها. ذلك لأنهم خـدَّروا النـاس بـالشهـوة والمصـالح والجري اللاهث وراء الـدنيا؛ ليكـون هذا هو ميـزان الحياة ومقيـاس الحرية أو الظلم. فـجرَّدوا الإنسان بـذلك من جوهر قوته التي يفكر بها حـرًّا طليقًا. جرّدوه من سـلامة الفطـرة التي لـوّثتها العصبيـة وأحـاطت بها الجريمـة وخنقتها الأهـواء والشهوات الثائرة. فأنى لـلإنسان أن يفكر حرًّا؟ ثم صاغـوا لـه القوانين التي تدفعه إلى الانحـراف دفعًا، وهيؤوا لـه من وسائل الإعلام مـا يجعل الشهوة نارًا يلتهب بها دمه. ثمَّ حبسـوا الدين في الكنـائس هناك، لا يخرج للنـاس منه إلا ظنـون وأوهـــام، وأحقـاد وعصبيــات، لا علم معهـــا ولا بحث عن الحق ولا دراسة ولا تقـصّ. حبسوا الديـن في الكنائس لا يخرج منهـا إلا للدعايـة التي تحتاجهـا المصالح الشخصيـة المتصارعة، أو لإطـلاق حركـات التنصير خارج بـلادهم لتكـون مُـمهِّدة للجيـوش الـزاحفـة بظلمها وعـدوانها، أو لإطـلاق المستشرقين ليسوّغوا الضـلال، ويوقّروا التأويل الكاذب، ويـدخلوا التحريف الفاسـد، ويطلقوا الحجـة المريضة ثمَّ بعـد ذلك كله يستغلّـون السلطة والمال والإعلام لينصروا دينًا على دين، ومذهبًا على مذهب، ويطلقوا الحرّية المتفلّتة لهذا ويحجـروهـا على ذلك، فيتناقضـوا مع دعـوى يـزعمونها وزخـرف كـاذب يظهرونـه. حرّية كـاذبة مريضـة هذه التي يـدّعونها، وفتنة واسعـة يلهبون بها الأرض وينشرون بها الفساد.

الحرية في ميزان الإسلام

لا تستقيم الحرّية في ميزان الإسلام حين تفسد الفطرة، ويضطرب الإيمان والتوحيد، وتتفلّت المسؤولية والحساب تبعًا لذلك. فمن أهم خصائص الإيمان والتوحيد التكاليف والالتزام، لتُمثّل هذه التكاليف مع سائر خصائص الإيمان قضيّة «الأمانة» التي يحملها الإنسان في الحياة الدنيا، وليكون الالتزام والوفاء بها أساس الحرّية ومنطلقها وميدان ممارستها.

فإذا كانت التكاليف الربّانيّة والالتزام بها، وما ينشأ عن ذلك من مسؤولية وحساب، يمثل هذا كله بعض القواعد المهمة التي تقوم عليها الحرّية في ميزان الإسلام، والتي تنبثق من الإيمان والتوحيد، فإن هنالك قواعد مهمة أخرى للحرّية تنضمّ إلى القواعد السابق ذكرها.

المساواة أمام التكاليف

ومن أهم هذه القواعد مساواة الناس أمام التكاليف والالتزام والمسؤولية والحساب، لا يختلف في ذلك إنسان عن إنسان إلا بمقدار الوسع والطاقة والمسؤولية والأمانة. فإن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها كما نصَّ القرآن على ذلك. والوسع الذي نتحدث عنه هو «الوسع الصادق» الذي يضعه الله في عبده هذا أو ذاك فيحاسبه عليه، لا «الوسع الكاذب» الذي ترسخه الأهواء والأماني والأعذار. ﴿ولا نُكلّفُ نفسا إلا وسْعَها و لدينا كتابٌ ينطقُ بالحق وهم لا يُظلمون﴾ المؤمنون ٦٢.

وقاعدة أُخرى مهمة في الشمول والامتداد، فليست الحرية حرية الكلمة فقط، ولكنها حرية ممتدة في واقع المؤمن تقوم على الأسس السابقة في ميدان الفكر والسعي والكلمة وغيرها من الميادين، وهي حرية الفرد والجماعة والأمة، حرية ممتدة شاملة تضبطها وتوجهها القواعد السابقة كلها وخصائص الإيمان والتوحيد. فالإسلام الذي حرر الإنسان من داخله، وحرّر روحه وعقله وكيانه كله من الأغلال الباطلة والقيود الظالمة، أطلق الحرية في ميادين الحياة نديّة بالإيمان، غنيّة بالتوحيد لتهب الحياة الجمال الحق، ولتهب الإنسان المتعة الطاهرة الدائمة الممتدة.

النفس الآمنة

ومن القواعد المهمة للحرّية في ميزان الإسلام الأمن. الأمن الذي ينبع من داخل الإنسان، من ذاته، من إيمانه ويقينه، حتى إذا استقرَّ في نفس الإنسان انطلق إلى واقعه ومجتمعه، إلى ميادين الحياة، إلى الممارسة والتطبيق ليضيف الأمنُ إلى الحرّية جمالاً إلى جمال، ومتعة إلى متعة، وقوة إلى قوة.

فلا بد إذن أن تتوافر في واقع أية أمة خصائص الإيمان والتوحيد، ووسائل رعاية الفطرة وحمايتها، ليكون هذا كله هو أول حقٍّ من حقوق الإنسان. إنه حقٌّ أهملته الجمعيات والهيئات التي تنادي اليوم بحقوق الإنسان، وأهملته القوى الديمقراطية التي أطلقت الأهواء والشهوات لتنسلَّ خدرًا في العروق يشل قوى الإنسان ويسحق جوهره. ثم يقال له: أنت حرّ بعد أن كبّلوه وقيّدوه وخدّروه ورموه في هيب مضطرم. فمارسوا بذلك أسوأ أنواع الاستبداد والظلم في تاريخ الإنسان.

قد تُخنق الكلمة بتكميم الأفواه، أو في ظلمة السجون، أو تحت سياط القهر والتعذيب. وهذه جريمة كبيرة حين تكون الكلمة حقًّا وأمانة وبلاغًا وقوة، وصدقًا وعبادة وتقوى. ولكن خنق الكلمة في داخل الإنسان وهو طليق جريمة أكبر في حق الإنسان، لأنها تكون عندئذ جريمة تمتدّ في الأرض على غيبوبة وخدر، أو هلع وحذر، لا يكاد يحس بها الناس، أو يعتادونها فيألفونها، ويمضي المجرمون في طغيانهم وعتوّهم واستكبارهم، حتى يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

فالأمن الحقيقي الممتد من داخل الأنسان وذاته، إلى واقعه ومجتمعه، إلى نظامه و إدارته، إلى قوانينه وتشريعه، إلى سلطانه ونفوذه وقوته، هذا الأمن هو الذي تقوم عليه الحرية لتكون عبادة لله وطاعة، وجمالا في الحياة ومتعة.

واستمع إلى إبراهيم عليه السلام يُرسّخ هذه القاعدة العظيمة، قاعدة إيمان وتوحيد، وعبودية لله وطاعة في حياة البشرية كلها: ﴿ إني وجّهْتُ وجهيَ للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا من المشركين. وَحاجَّهُ قومُه قال

○ إنسان اليوم يفتقد الحرية لأنها لم تطلب بصورتها المتكاملة وميزانها العادل

أتحاجّونّي في الله وقد هدانِ ولا أخافُ ما تُشْركون به إلا أن يشاءَ ربي شيئًا وسِعَ ربي كُلَّ شَيْءٍ عِلمًا أفلا تَتَذَكَّرُون. وكيف أخافُ ما أشركتُمْ ولا تخافونَ أنّكُمْ أشركتُم بالله ما لم يُنَزِّل به عليكم سُلطانًا فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُم بظلم أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون. وتلك حُجّتنا آتيناها إبراهيمَ على قومِه نرفعُ درجاتٍ من نشاءُ إن ربَّك حكيمٌ عليمٌ ﴾ الأنعام ٧٩ ـ ٨٣.

ولا يستقرُّ الأمن في واقع الإنسان إلا إذا ساد العدل الحق على أساس ميزان الإيمان أيضًا:

﴿ إن الله يأمُركم أن تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها وإذا حكمْتُم بينَ النّاسِ أن تحكموا بالعدلِ إن الله نِعِمّا يعظُكم به إن الله كان سميعا بصيرًا﴾ النساء ٥٨. وكذلك **﴿ إن اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبَىٰ وينهَىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ يَعِظُكم لعلكم تَذَكَّرُون ﴾** النحل ٩٠.

ولا يترك الإسلام العدل والإحسان، والأمن وغير ذلك شعارات غير محددة، ولكنه يفصلها حتى تكون حجّة على الناس يوم القيامة، وحتى تكون ميزانًا دقيقًا أمينًا يستطيع الإنسان ممارسته في واقعه البشري.

هذه بعض قواعد الحرّية وركائزها في ميزان الإسلام. تنبع كلها من الإيمان والتوحيد المغروسين في فطرة الإنسان ليرويا الفطرة بجميع قدراتها وطاقاتها، حتى تتوازن هذه القدرات فتؤدي مهمتها التي خلق الله هذه القدرات لأدائها، وليكون عمل الإنسان وعطاؤه حينئذ عملاً صالحًا.

« الحريـة » اليـوم

هذه الحرّيـة، وكذلك ركائزها، اضطـربت في واقع المسلمين. اضطربت حين اضطـربت الفطرة واضطـرب تـوازنها، وحين امتـدّ الغزو والعـدوان على حياتنا وديارنا ينفث سموم الحضارة الغـربية تحت شعارات مزخرفة مضللة من «الحرّية» والإنسـانية والإخـاء والمساواة. فإذا الحرّيـة هي إرادة القـويّ الظالـم المعتدي يفرضها بالإغراء أو بالنار. وإذا الإنسانية والإخاء شعار يساوي الفقير بـالفقير ويـؤاخي المسحوق بـالمسحـوق، حتى يستطيع المعتـدي المستكبر أن ينهب ويترفّـه في فجـوره وظلمه. وإذا المساواة هي مساواة الرجـل بالمرأة لتنزل المرأة رخيصة بين يدي الشهوة، هيّنة راضيـة بالفجور، خلعت الحياء واللباس والعفاف الذي زيّنها الله به.

وظن شبابنـا المخدوعون أن هذه الحضـارة هي التي تقدّم للإنسان حـرّيته وأمنه وحقـوقه وطغى ضجيج الـدعايـة طويـلاً حتى انجرف في الفتنـة شباب ونساء وكهول، ومجتمعات، وأقطار شتى. ومضت قـرون على هذه الدعايات

○ الديمقراطية المزعومة أُطلقت الحرية الفردية فحررت الإنسان من جوهر قوته، ومن سلامة الفطرة

المضللـة. فإذا هي حـروب ممتـدّة في الأرض لا تهدأ، يـذهب الملايين من بني البشر قربـانًا لمصـالح العصابـات المجرمـة في الأرض. ولقد جـاءت السنوات الأخيرة بخاصـة تكشف زيف هـذه الحضارة وعمق بـؤسها وإجرامهـا في حق الإنســان، وتكشف أن الحرّيــة لم تكن أكثـر مـن حــرّيــة الجشع والنهب والاستغلال وانتهـاز الفرص، حتى سمـى نيكسون ــ رئيس الولايـات المتحدة سـابقـا ـ كتـابـه الأخير الـذي نشرت بعضـه جريـدة الشرق الأوسط «انتهـاز الفـرصـة»، وكتابـه الأسبق «نصر بـلا حـرب» يعلن فيه خُطـة الحرب البـاردة للقضـاء على أعداء أمـريكـا وتأمين مصالحهـا الخاصـة على حساب شعـوب الأرض وبخاصة شعوب العالم الثالث.

فإذا انهار الاتحاد السوفياتي وتفككت دولته ومـؤسساته وبطل سحره، فإن الغرب نفسـه انكشفت أوراقـه وبان زيفه، وأخـذت تنمو أزماته الخانقـة شيئا فشيئا، وبدأ الإنسـان هناك يشعر أنه لا يملك حرّيـة ولا يجد مساواة ولا يرى إخاء وإنما يرى نفسه إنسانًا مسحوقًا.

فما يسمى «بـالسـوق الحرّة» كـانت في الحقيقـة سـوق استغـلال وفسـاد. والمؤسسات الماليـة أصبحت متورطة بأنواع شتى من الجرائم والغش والـرشوة، وصفقات الأسلحة والمخدرات، وجرائم القتل والمؤمرات. وامتلأت الصحف في بريطـانيا وأمـريكا تتحـدث عن الجرائم اليوميـة في المجتمع بما تقشعـر منه الأبدان، وكذلك في غيرهما من أقطار الغرب «المتحضر».

في أمريكا عجـز متزايد في الميزانية، ركود اقتصـادي، زيادة العاطلين عن العمل حتى بلغوا « ٢٥ » مليون أمريكي سنة ١٩٩١م، تسريح عدد كبير من عمال المصانع، إغلاق شركات كبرى وإفلاسها، ازدياد عدد الذين يعانون من الفـاقـة والحاجـة. ثم أخـذت الصحف في بـريطـانيـا وأمـريكـا وغيرهما مثل واشنطن بوسـت، نيوزويك، الغارديـان، الإندبنـدنت وغيرها تعـرض خلال السنتين الماضيتين إحصاءات ودراسات عن هـذه المشكلات بصورة تثير الحيرة والقلق والفزع. ولا تختلف الحال في بـريطانيا، وربما كـانت بعض المشكلات عندهـا أشد إيـلامًا. وكـذلك أزمات تتصـاعد في ألمانيـا وفرنسا، وكـذلك في اليابان.

الجريمة هنـاك امتدت إلى الطفـل والطفلة، إلى المرأة والفتـاة إلى العجائز، إلى الكهـول والشيـوخ. وانتشرت حتى لـم يعد الشـارع آمنـا ولا الحديقـة ولا الفنـــدق ولا البيت ولا مكـان البيـع والشراء. لم يعـد الإنســان يجد الأمن ولا الحرّية، ولم يعد القـانون والسلطة ورجالها قادرين على تـوفير الحماية. الجريمة تكاد تكـون يومية تعـرضها الصحافـة والإذاعة والتلفاز. لقـد أصبحت الحرية هي حرية المجرم في اختيار ضحيته وفي اختيار وقت الجريمة ومكانها.

انفلتت ضوابط الحرّية انفـلاتًا واسعًا حتى إن فتاة تـدخل الانتخابات في إيطاليـا، فتكون حملـة دعايتها أن تعـرض جسمها العـاري على الجمهور. هي نالت حريتهـا لتفعل ذلك، والجمهور نال حرّيته لينظـر ويُسَمرّ ثم لينتخبها. هذه الفتاة هي «ليونـا ستالر» البلغارية الأصل والمسماة تشيتشولينا [٢].

تاريخ الحرية في أمـريكا عجيب مرعب على الرغم من إقامة تمثـال للحرية جـامـد من الصخـر لا حياة فيـه. حسبك أن تقـرأ كتـاب «الجذور Roots» للكاتب الأمريكي الـزنجي ألكس هالي « Alex Haley» لترى أبشع جريمة يرتكبهـا الأمريكان، حين يسرقـون الزنـوج المسلمين من أفريقيا، ويسـوقونهم عبيدًا تلهبهم السيـاط ليعملـوا في مزارع البيض هنـاك في أمـريكـا، فتُسحق إنسانيتهم وتنتهك أعـراضهم ويصبحون ملكا مباحًا لظلـم الأمريكي. ويمتد هذا الظلم قـرونًا في تـاريخ أمريكا لينفجـر الزنـوج مرّة بعد مـرّة، كان آخـرها حادثة لوس أنجلوس حين اعتـدى أربعة رجال مرور على سائق زنجي ارتكب مخالفة السرعة، فطرحوه أرضًا في الشارع وجلـدوه أمام الناس. هاوي تصوير مـرّ مصادفــة فصـوَّر الحادث كلـه، ورُفعـت القضيـة إلى القضـاء الأمـريكي لتنكشف حقيقة القضاء المزيّف ويسقط القنـاع، فيحكم القضاء ظلمًا بتبرئة رجـال المرور البيض وتثـور المدينة في أحـداث سريعـة. السائق الـزنجي فقـد حـرّيته وفقـد أمنه، وفقـد القضـاء الأمريكي العدالـة، **وضـاعت المسؤولية واضطـرب الحسـاب. كل ركـائز الحرّيــة منهـارة في المجتمع الأمـريكي، وفي مجتمع الحضارة الغربية كلها.**

محاكمة «وليم كندي سميث» والفتـاة التي اتهمته باغتصابها صـورة مفزعة أخـرى لانهيـار كل دعائم الحرّيـة والأمن وسـائر ركـائزها، وانهيـار العدالــة والطهارة في القضاء الغربي، لـم يبق من معـاني الحرّية إلا ممارسة الفاحشة على أوسع نطاق إجرامي.

في ميزان الله هذه جـرائم وكبائر، وفي ميزان الحضارة الغربية هـذه حرّية ! أصدر «مـركز الضحـايا الـوطني» ومركز الأبحـاث ومعالجة ضحـايا جـريمة الاغتصاب معلومات هائلة مريعـة : ٧٨ امرأة تغتصب كل ساعة في أمريكا. ٢٩٪ من حوادث الاغتصاب لفتيات دون الحادية عشرة » [٣]

الحرية في ميزان الإسلام

الإنسـان في الحضـارة الغـربيّـة مسحـوق ومخدَّر. وكل العلـوم الحديثـة والصناعة تحوّلت إلى أدوات تَسحق الإنسان وتُـخدِّر فيه إحساسه وقواه. و إذا نظـرت إلى المناهج السياسية في الحضـارة الغربيـة، لراعتك الحال وأفـزعتك، حيث تتضاءل الجرائم السـابق ذكرهـا أمام الجرائم السيـاسية التي تفني البشر بالآلاف، بل بعشرات الآلاف ومئات الآلاف، ثم تمتـدّ حتى تفنيه بالملايين.

المسلمـون والحرية الحقيقيـة

قرون طـويلة امتـدت والحضارة الغربيـة هي التي تقود الإنسـان، بعد أن انحسر الإسلام وزالت خلافته في الأرض. لقد كانت هذه القرون مجازر ومآسي ودمـوعا وحسرات تكـاد لا تـتـوقف. وفقـد الإنسان خـلالها جـوهـر حقوقـه وحـرِّيتـه. وأصبح الإسـلام اليـوم، كما كـان دائماً، حـاجـة البشريـة كلهـا، حاجتهم الملحة. لن ينقذ الإنسان اليوم إلا الإسـلام ليعيد له كرامته التي كرَّمه الله بها، وحقوقه التي سلبتهـا عصابات المجرمين، وحرِّيتـه التي قتلها الطغاة الظالمون.

إنها اليـوم مسؤوليـة المسلمين، كل مسلم صـادق، أن ينهض لبناء الأمـة الـواحـدة في الأرض لتقـدّم للبشريـة النمـوذج التطبيقي للحـرِّيـة والإخـاء والعدالـة، لتقدم للناس النظام العـالمي الحق الذي يحتاجه، وليسود الأرض شرع الله بدلاً من «**الشرعية الـدولية المزيفـة**»! **فشرع الله أعلى وأصدق وأوفى**. فهل ينهض المسلمون لهذا الواجب والأمانـة؟! إنها الأمانة التي وضعها الله في عنق الإنسـان المؤمن، في عنق الأمّة المسلمـة. إنها رسالـة الله ودعوتـه ودينه، يحمله الصادقون إلى الناس كافـة!

﴿ إنّـا عرضْنَـا الأمانـةَ على السمـواتِ والأرضِ والجبالِ فأبين أن يحملْنَهـا وأشفقْنَ منهـا وحمَلَها الإنسـانُ إنّـه كـان ظَلُومًا جَهُـولاً. ليعذّبَ اللهُ المنـافقين والمنـافقاتِ والمشركينَ والمشركـاتِ ويتُـوبَ اللهُ على المؤمنين والمؤمناتِ وكـان اللهُ غفورًا رحيمًا﴾ الأحزاب ٧٢، ٧٣.

لقد كان الإنسان ظلومًا حين ظلم نفسه فقصَّر عن حمل الأمانة التي أكرمه الله بها، وكان جهـولاً حين جهل عظمة الأمـانة وشرفهـا وخيرها، وحين جهل أنها ابتلاء من الله يميز به المنـافقين والمنافقات والمشركين والمشركات من المؤمنين والمؤمنات الذين صدقوا الله ما عاهدوه. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) على الطنطاوي ونـاجي الفنطـاوي - أخبـار عمر بيروت : دار الفكـر، ١٣٧٩هـ - ١٩٨٠م، الطبعة الثانية ص ١٥٦.

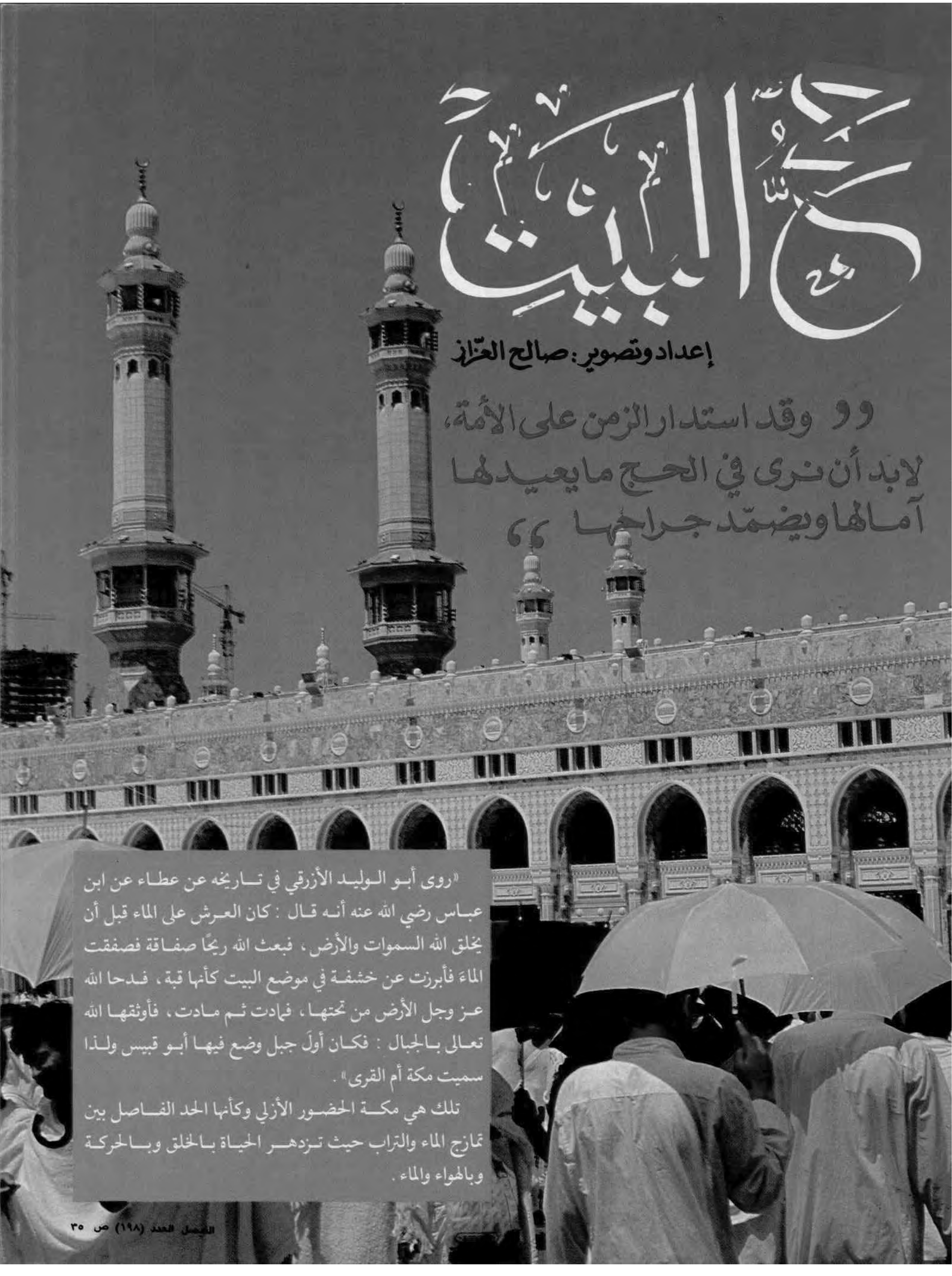
(٢) الوطن العربي. العدد - ٧٤٩ - في ٢٨/ ٦/ ١٩٩١م.

(٣) الحياة العدد ١٠٦٧٠ - في ٢٤/ ١٠/ ١٤١٢هـ - ٢٦/ ٤/ ١٩٩٢م.

رؤيا

شعر: سليمان هاشم جويد الرزاحي

بنتـــاه رؤيـــا في المنـــام أقصهـــا ... دأبت تعـاودني لـدى السحـرات
أمشي إلى البيت العـــزيـــز وأهلـــه ... ألقـاكِ يـا سلمى لـدى العتبـات
قـد طـال يـا أبـت البعـاد أمـا كفى؟ ... فأقـول : يـا بنتى لأمـر عـاتِ
شأن الحيـاة ومـا يطيبُ معـاشكم ... أوصيكم بـالصبر يـا فلـذاتي
فإذا بجـدك للصـلاة منـاديًـا ... فنهضت يـا بنتي لأمـر صـلاتي
فإذا الـدمـوع على الـوساد غـزيـرة ... وأعيش يـومي فـائض العَبَرات
أدعـو لكـم في كل نفـل أو صـلا ... اللهُ ربي سـدد الخطـوات
سلمى : بـإذن الله حلـو لقـائنـا ... سيكـون بعـد الحج بـالبركـات
بنتـــاه فـــرض الله حق واجب ... وبلـوغ هـذا غـايـة الغـايـات
ولكـم عليّ بـإذن ربي كلكـم ... مـا أجمل الـدعـواتِ في عـرفـات



حج البيت

إعداد وتصوير: صالح العزاز

« وقد استدار الزمن على الأمة، لابد أن نرى في الحج ما يعيد لها آمالها ويضمد جراحها »

«روى أبو الوليد الأزرقي في تاريخه عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض، فبعث الله ريحًا صفاقة فصفقت الماءَ فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الله عز وجل الأرض من تحتها، فمادت ثم مادت، فأوثقها الله تعالى بالجبال: فكان أولَ جبل وضع فيها أبو قبيس ولذا سميت مكة أم القرى».

تلك هي مكة الحضور الأزلي وكأنها الحد الفاصل بين تمازج الماء والتراب حيث تزدهر الحياة بالخلق وبالحركة وبالهواء والماء.



● وأنت تدخل إلى البيت العتيق لا بد أن تتعاقب تلك الصور التاريخية المضيئة، ولا بد أن تحضر في مشاعرك أصوات الرجال وسيرة أصحابها وتاريخهم، تتذكر حيث وُلدت البشرية من جديد على نور أشرق فأضاء كل أركان المعمورة. لا بد وأن تنصرف من بطحاء عرفة عند الغروب ترى هذه الخلائق بكل أجناسها ولغاتها تسير بوجل تحفها الوحدانية المطلقة. في تلك اللحظة لا بد أن ينتابك البكاء والخشوع وأنت تتأمل تلك الرسالة المحمدية التي جعلت من هذه السيرة فصولاً تاريخية تتابعُ بإيمان يتعمق وجذور ترسخ، كلما تعاهدتها الأيام تجذرت أكثر فأكثر. أي قوة يمكن أن تكفل ـ لهذا السيل الجارف من لغات وثقافات متنوعة ـ هذا الأدب في الانصراف وتحرّر القصد وتوفر حسن النية وصفاء اللحظة؟

إنه الحج، وإنها تلك اللحظة التي ودّع فيها خير البشر حياة البشر بعد أن كانت حجة الوداع المنهاج لكل من «شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

هناك كانت «القصواء» تبرك، وكان صاحبها يخطب بالناس، يقفون في ظله الوارف في القلوب أولاً: «كل مسلم أخ للمسلم لا يظلمه شيئا، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم، اللهم هل بلّغت» إنها حجة الوداع حيث استأنف التاريخ وعيه مرة أخرى على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

هذه مكة المكرمة جبال صمّاء، شديدة الحرارة، شديدة البرودة، لا تصلح مكانًا للنزهة ولا مطلبًا للرفاهية أو الترف ولكن لها في النفوس وقعًا وموقعًا يتجاوز بالنفس البشرية حدود عناوين الحياة البشرية، إلى

”مكة «وادٍ غير ذي زرع» لكن لها في النفوس وقعًا وموقعًا يتجاوز بالنفس البشرية حدود الحياة البشرية“



خصائص ومشاعر لا تُدرك إلا بالروح . وتتجسد هذه الصورة من خلال التدفق البشري من مشارب مختلفة وأجناس عدة تلتقي على صعيد واحد دون أي تمييز بين الأسود والأبيض والغني والفقير والعربي والأعجمي؛ موقف واحد ومطلب واحد ونظرة باتجاه السماء :

﴿الحجُّ أشهرٌ معلومَاتٌ ، فمن فرض فيهن الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوْقَ ولا جِدَال في الحج﴾ .

في كل عام منذ السنة العاشرة من الهجرة ، بل منذ ذلك الحين القديم في أغوار التاريخ البشري ﴿وإذبَوَّأْنا لإبراهيم مكان البيت﴾ ، منذ تلك اللحظة عندما كانت مكة مسكونة



بوحشة جبالها وعطش وديانها ، والبشريةُ تبحث عن مشروع يعيدها إلى طبيعتها وفطرتها في البحث عن صيغة تؤكد مشروع الجماعة في الأمة دون تمييز طبقي أو جنسي أو ثقافي . وكانت حجة الوداع المرسوم الأولي لتأسيس هذا المنهج الرباني على أرض المجتمعات البشرية ، ولعل مكة بوحشتها الطبيعية كانت المكان



المناسب لتأكيد لياقة الروح وسحرها .

﴿وأذِّنْ في الناس بالحج يأتُوكَ رجالاً وعلى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيْنَ من كل فَجٍّ عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلوماتٍ على ما رَزَقَهُمْ من بهيمة الأنعام ، فَكُلُوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثمَّ لْيقضوا تَفَثَهم وَلْيُوفُوْا نُذُوْرَهُم ، وَلْيَطَّوَّفوا بالبيت العتيق ، ذلك ومن يُعَظِّم حُرُمَاتِ الله فهو خير له عند ربه﴾ .



الحج : الأمل والغاية

● « لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ . . » ، تشعر أن وحدة الحناجر والمشاعر وهي منصرفة لهذا النداء في نغم واحد كأنها تعلن صلة الرحم بين الأرض والسماء ، كأنها زفاف البشرية



حج البيت

نحــو تطلعــات الأمل وطــلاق الشر. حيث تبــددت مع هــذا النداء الخالد وعليه وحشة الزمان والمكان.

﴿ذلك ومـن يُعظِّمْ شعــائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾.

مكــة : إنها همزة الــوصل بين المشرق والمغرب في الدين والعلم والثقافة والحضارة. ونحن اليوم حيث استدار الـزمن على الأمة الإسلامية وصارت إلى الشتات أقرب منها إلى الاجتماع، لا بد أن نرى في الحج - لما لـه من القدر والمكانة - ما يمكن أن يعيد آمالها ويضمد جراحها. لأن حقيقة الحج ليست في اجتماع الناس من أجل الطـواف حول الكعبة أو العبادة في البيت الحرام فحسب، وإنما تلك أيضا وسيلة لغـاية عظيمـة وهـي تأصيل وتأكيـد مشروع جماعة الأمة ووحدتها.

وقــد منّ الله على الأمــة الإسلامية بأن توافر لهذه البلاد من القوة والمكانة والوحدة ما يكفل لها صيانـة العهـد وحمل الأمانة والحفاظ على مقدسات الأمـة وروح كيـانها الحضـاري والسياسي.

● وفي صورة الحج من اليُسر والتمازج بين مختلف الأجناس ما يثير الأمل والتـأمل، وتصبح الصورة أكثر إثارة للروحانية وللخشــوع وأنت تتأمل تلك الآلاف المتراصة والمتـلاحقة من الـرُكّع السجـود حول الكعبة المشرفة والحمام من حولهم يطير في كل اتجاه وكأنه يعلن صورة من صور السـلام، كأنها التحيات الطيبات كما وصفها الـدكتور عبد العزيز كامل في مقالة له عن الحج، إذ يقول :

«رأيت الحرم كأنـه عين فـوّارة بـالـدعـاء، والمؤمنـون قطراتها المؤمنة، إنه المكان الذي ظل على مر القرون ليـلاً ونهارًا، صيفًا وشتاءً، تتصاعد منه الـدعوات، وتلتقي عنده القلـوب المنيبة إلى ربها، وتتنزَّل فيه رحمات الله.

ما أكرم ما ينزل من السماء.

وما أطهر ما يعرج إليها.

هذا هو محور النور والطُّهر في الكـون كلـه : طـرفـه في البيت الحرام وطرفه في السموات العلى.

والحج رحلتان : رحلة يفـد فيهـا المؤمنـون من ديـارهم إلى البيت العتيق، ورحلة إلى عرفات والمشعر الحرام ومنى، ثم عودة إلى مكة.

وكأن الكعبـة قلب العـالم الإسلامي، والمؤمنون قطرات الدم الحي، تفد إلى هذا القلب من كل فَجٍّ عميق، وهــذه هي الـدورة الـدموية الكبرى. فإذا طـافوا

وسَعَوا دفعتهم الكعبة إلى عرفات ومنى، وهذه هي الدورة الدموية الصغرى. رأيت فيها كأن عرفات ومنى رئتان تنقيان هذا الدم. ليعود في طواف الإفاضة إلى البيت العتيق، ليدفعه من جديد إلى ديار الإسلام.

الحج عرفة، وعرفة هي التنقية الداخلية الكبرى للمؤمنين. وفي منى يخلعون

الأشجار، تحرّكها نسائم المحبة فتخالها جنة وارفة، أشجارها من البشر وحفيفها دعوات، ونداها ملابس الإحرام ويطعمون البائس الفقير، ويعبّرون عمليًّا ــ برجم الشيطان ــ عن الطهر والنقاء فيتكامل الظاهر والباطن.

عرفات حقل الإسلام، المؤمنون بذور أرضه الطيبة. ورحمة الله غيثٌ يروي هذا النبات



المؤمن؛ فإذا بالأيدي ترتفع بالدعاء كأنها أغصان مباركات، وكأن الأصابع أوراق هذه دموع التوبة تسيل على الوجنات.

يقول الله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ ».

أعلام الحرم

● تقوم أعلام حدود الحرم







الحج في عام ١٣٤١هـ ـ ١٩٢٣م، لقطتان من مكة (الصورة العليا) ومنى (الصورة السفلى)

على خمس جهات تحيط بمكة من كل جهاتها فيوجد علمان عند الحديبية في طريق القادم من جدة إلى مكة وهما يقعان على بعد عشرين ميلاً من المسجد الحرام، وعلمان عند التنعيم في طريق القادم من المدينة المنورة إلى مكة

ويقعان على بعد ستة أميال من المسجد الحرام، وعلمان عند الجعرانة في طريق القادم من العراق ويقعان على مسافة ثلاثة عشر ميلا، وعلمان عند عرفة في طريق القادم من الطائف ويقعان على مسافة ثمانية عشر ميلا،



حج البيت

وعلمان في طريق القادم من اليمن ويقعان على بعد اثني عشر ميلا. وتحدد هذه الأعلام الحرم الذي جعله الله مثابةً للناس وآمنا، وحرّم التعرض لصيده وحيوانه داخل هذه الحدود.

بين مقام إبراهيم ودار الأرقم

● عندما وقفتُ أمام الكعبة المشرفة في حج العام الماضي ١٤١٢ هـ (١٩٩٢م) وصليت الركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام، جلستُ أتأمل في صورة الطواف وحركة الناس ورحتُ أتأمل كل شيء، نعم كل شيء، وإذا بستار الذاكرة ينفتح على مشهد آخر:

«دخل عمر بن الخطاب إلى نعيم بن عبد الله، وكان عمر في جاهليته وغطرسته ودار حوار سريع فقال له نعيم: «والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتقيم أمرهم؟»».

وكانت فاطمة أخت عمر وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما، فأسرع عمر وهو غاضب إلى بيت أخته، وعند الباب سمع عمر من يقرأ القرآن في الداخل، وفي سَورة غضبه اقتحم البيت وبَطَشَ بسعيد، وقامت فاطمة تحمي زوجها من بطش أخيها فأصيبت هي الأخرى وسالت دماؤها. وهاج الزوجان لما حلّ بهما وتحديا عمرَ معلنَيْنِ له إسلامهما. ولكن عمرَ وهو يرى ما حل بأخته والدم يسيل منها سألها أن تعطيه الصحيفة التي كانا يقرأن فيها، فلما قرأها اهتز ودخل الإيمان قلبه وخرج يريد محمدًا يعلن إليه إسلامه. فذهب إلى حيث كان يجتمع الرسول مع أصحابه في دار الأرقم ودقّ عليهم الباب، فقام إليه رجل ممن كانوا مع الرسول، فنظر: من الطارق؟ وعاد فزعًا يقول: «هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف»!

قال حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) مخاطبا النبي: فَأْذَنْ له، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه، وإن كان يريد شرًا قتلناه بسيفه»!

وأمر النبي ﷺ أن يؤذن لعمر. ولما دخل عمر أخذ النبي بمجمع ردائه وجذبه بقوة وقال له: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل



صورة من مكة في اتجاه المسعى وإلى اليمين الطريق إلى جدة (١٣٤١هـ - ١٩٢٣م)

«كل ما نزل عن المسجد الحرام يسمونه المسفلة وما ارتفع منه المعلاة» - المقدسي -



الله بك قارعة».

قال عمر: «يا رسول الله، جئتك لأومن بالله ورسوله» وكبّر محمد والمسلمون تكبيرة عرف منها أهل البيت أن عمر أسلم».

كان أحد فتوحات الإسلام في دار الأرقم! تلك حقيقة عظيمة، فقد أعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب. صحوت من ذاكرة التاريخ على موعد الطائرة الذي كان يقترب.

مكة والتاريخ

● لا شك أن موقع مكة من التاريخ موقع مهم جدا، ولقد أمدتنا سيرة إبراهيم عليه السلام ببداية تاريخ مكة القديم، ثم عادت مكة مزدهرة بالتاريخ والحضارة والعلم مرة أخرى بمولد النبي ﷺ وظهور الدعوة الإسلامية في مكة حيث توالت أهم وأعظم قصص التاريخ الإسلامي وملامحه هناك. وكان لاستقرار الدعوة وبزوغ فجر الإسلام من هناك دور عظيم في استقطاب مكة للتجار وطلاب العلم وربما حتى الجواسيس. فكان لمكة وللحج نصيب كبير من أدب الرحلات وكتابات المؤرخين. وقد ترك لنا المقدسي في القرن الرابع الهجري وصفًا لمكة قال فيه:

«مكة هي مصر هذا الإقليم، قد خطت حول الكعبة في شعب واد، رأيت لها ثلاثة نظائر، عمّان بالشام واصطخر بفارس، وقرية الحمراء بخراسان، بناؤها حجار سود ملس وبيض أيضا ويعلوها الآجر، كثيرة الأجنحة من خشب الساج وهي طبقات مبيضة نظيفة، حارّة في الصيف إلا أن ليلها طيب، قد رفع الله عنهم مؤونة الدفاع وأراحهم من كلف الاصطلاء، وكل ما نزل عن المسجد الحرام يسمونه المسفلة وما ارتفع منه المعلاة، وعرضها سعة الوادي والمسجد في ثلثي البلد إلى المسفلة والكعبة في وسطه وفيه طول باب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة طليت بالذهب قبال المشرق ...».

وقال عنها ابن جبير في القرن السادس الهجري:

«لأهل هذه الجهات الشرقية سيرة حسنة، ذلك لأنّا عاينّا شوارع مكة وأزقتها عشيّة الليلة التي ارتُقِبَ فيها الهلال، قد امتلأت هوادج مشدودة على الإبل، مكسوة بأنواع كساء الحرير وغيرها من ثياب الكتّان الرقيقة بحسب سعة أحوال أربابها ووفرهم، كلٌّ يتأنق بقدر استطاعته، فأخذوا في الخروج إلى





حج البيت

التنعيم، مئـات المعتمـــرين، فسـالت تلـك الهوادج في أبـاطح مكة، وشعـابها، والإبل قد زينت بأنـواع التـزيين، وأشعـرت بغير هـدى بقـلائد بـرّاقة المنظـر من الحريـــر وغيره، وربما فـــاضت الأستــــار التـي على الهوادج حتى تسحب أذيالها في الأرض . . . » .

وفي كتـاب «البحث عن الله» للإنجليزية الليدي إيفلين كوبلد تصف فيــه رحلتهـــا إلى الحج في الخمسينيات الهجرية/ الثلاثينيات الميلادية بهذه العبارات :

«كـانت قـوافل الحجـاج من جدة إلى مكـة خيطًا غير منقطع، والجمال تتهادى تحت الشقـادف، وكثيرًا مـــا تضيــق بها السبل على رحبها، وأما الطريق من جدة إلى مكـــة فليس فيهـــا غصن أخضر يلوح، ولا مرج نـاضر يفوح، ولا يكاد يقع بصر المسافر من الجانبين إلا على رمـــال محرقـــة تـــدخل الحشـــايـــا، ويجن الليل وهي حافظـة لحرارة النهار، وعلى آكـام وأهـاضيب أكثـرهـا من الحجـارة السوداء كأنها من بقايا البراكين.

لقـد طُفْتُ وسعيت في البيت وزرت الكعبة وطفت حـولها، وما كنت في هـذه اللحظـات غير ذَرَّة بين هـذه العـوالم العــديـدة التي كـانت تحيط بي، وتصلي وتطـوف وتـدعـو. جماعـات مختلفـــة من البشر تـولاهـا الابتهال، وغمـرهـا الخشـوع فَمِنْ بــاكٍ وَمِنْ مُصَلٍّ، وَمِنْ دَاعٍ وَمِـنْ رَافِعٍ رأســـه إلى السماء يُشْهِـد الله على زيـارتـه لبيته، وطوافه حول الكعبة.

وكـــان الحجيج كثيرًا عـــدده حـول الكعبـة وابن سعـود نفسـه يصـب الماء على أرضهـــــا وجدرانها، فحاولتُ أن أرى سيد الجزيـرة وهـو في عملـه هـذا فلم أوفق، إذ كـــان الحر شـــديـدًا، وأرض الحرم حارة لاذعة.

إن مكـة عبـارة عن واد ضيق ذي شعاب متعرجة. تحيط بذلك الـوادي جبـال جـرداء صخـريـة صمّاء، لا عشب فيهـا ولا مـاء، قاتمة اللـون كأنها بقـايا البراكين. إذا مشى عليهـــا المرء في هـــاجـــرة النهار ظنّ نفسه يدوس على بلاط فرن . . . » .

● تلك كـانت مـلامح الحج ومـلامح مكـة المكـرمـة. واليـوم يصبح الحديـث عن مكـــة وعن الحج كأنـــه قصـــة مـن قصص الخيال بسبب ' وافـر لذلك من سبل العصر وإمكـانات الـدولة.

إن قصـة مكـة الجديـدة والحج في هذا العهـد قصة أخـرى، لا ينفع معها إلا أن تكون أنت هناك !

المراجع

١ ـ عبـد القادر محمـد الجزيري. الـدرر الفـرائد المنظمــة في أخبـار الحاج وطـريق مكة المعظمـة. تحقيق حمد الجاسر. الـريـاض. دار اليمامة. ١٤٠٣ هـ.

٢ ـ محمـد الأزرقـي ورشـدي ملحس. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. بيروت. دار الثقافة. ١٣٩٩ هـ.

٣ ـ محمـد أحمد الفـاسي. شفـاء الغـرام بأخبـار البلـد الحرام. تحقيق عمـر تـدمـري. بيروت. دار الكتـاب العربي. ١٤٠٥ هـ.

٤ ـ عبـد العزيـز صقر الغـامدي. مكـة المكـرمة العـاصمة المقـدسة. مكـة المكرمة. ١٤٠٥ هـ.

٥ ـ إيفلين كـوبلـد وعمـر أبـو النصر. البحث عن الله. بيروت. المكتبـة الأهلية. ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٤م.

٦ ـ حمد الجاسر. أشهـر رحـلات الحج لبيت الله الحرام. الحرس الـوطني. ع ٩٤ ذو الحجـة ١٤١٠ هـ ـ تموز يوليو ١٩٩٠م.

٧ ـ عبد العزيـز كامل. في المسجد الحرام نجـوى وآمـال. العـربي. ع ٢٢٨. ذو القعدة ١٣٩٧ هـ تشرين الثاني نوفمبر ١٩٧٧م.

٨ ـ كيف حج رسـول الله ﷺ ؟ الـوعي الإسـلامي. ع ٢٥١. ذو القعـدة ١٤٠٥ هـ تموز يوليو ١٩٨٥م.

٩ ـ محمـد أبو صـوفـة. المسجـد الحرام والمسجـد الأقصى كما صـورهما ابن خلـــدون. أرض الإسراء ع ١٢٢. صفـــر ١٤٠٩ هــ تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٨.

١٠ ـ عبد الله عبـد الرحمن البسام. الحرم المكي وحدوده. العرب. ع ١ ـ ٢. رجب ـ شعبـــان ١٤٠١ هــ آذار، نيسان. مارس ـ أبريل ١٩٨١م

من كتّاب العدد



● صـالح عبـــد الله العزّاز

ـ من مواليـد القصيـــم ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م.

ـ صحافي ومصور فوتوغرافي.

ـ يعمل حـاليـا مـديـرا لإدارة الإعـلام والنشر في الغـرفة التجـاريـة الصناعيـة بالـرياض ورئيسـا لتحريـر مجلة «تجارة الرياض» الشهرية.

فيم الاختلاف حول "الأدب الإسلامي"؟

بقلم
د. إبراهيم عوضين

حظي مصطلح «الأدب الإسلامي» ـ من الدارسين والناقدين ـ بآراء كثيرة، قد يدنو بعضها من بعض، وقد يتباين بعضها مع بعض، بل قد يشتد التباين إلى درجة التقابل والتعارض، على ما وضح في آخر مؤتمر حضرته من مؤتمرات الأدب الإسلامي، الذي عقد بجامعة عين شمس في أواخر عام ١٩٩٢م.

ومما يشيع الاطمئنان، ويشجع على ولوج هذا الميدان، ما لاحظته من أن أكثر من تناولوا هذا الموضوع في تحاورهم أو كتاباتهم هم من المفكرين المخلصين، والعلماء الغيورين، والباحثين الجادين، الذين يسعون إلى الالتقاء على كلمة سواء.

محاور الاختلاف

وقد لاحظت أن هذا التباين والاختلاف يرجع إلى ما يثار من شبهات، وما يتوقع من محاذير وإشكاليات تكاد ـ على تعددها ـ لا تخرج عن ثلاثة محاور، هي: إشكالية تاريخية، وإشكالية فنية، وإشكالية غائية.

أما **الإشكالية التاريخية** فتبرز في تحفظ بعض الدارسين من مصطلح «الأدب الإسلامي»؛ لأنه ـ في تقديرهم ـ يثير إشكال التصادم مع بعض ما قرره مؤرخو الأدب، حيث يرى هؤلاء المتحفظون أن مصطلح «الأدب الإسلامي» يعني أدب مرحلة بذاتها، وهي مرحلة عصر صدر الإسلام، فهي التقسيم العصري الذي يطلق على أدبه «الأدب الإسلامي».

وهذا يعني أن مصطلح «الأدب الإسلامي» يثير إشكالية الخلط بين المقصود مما قرره مؤرخو الأدب حين قسموا الأدب تقسيما تاريخيا بحسب العصور، وبين المقصود مما يقرر اليوم تحت المصطلح ذاته. وأرى أن عذر هؤلاء المتحفظين واضح بيّن ـ وإن يكن غير مقبول ـ لأنهم أسلسوا قيادهم لذلك التقسيم الزماني، الذي اعتمد فيه على تقسيم الأدب بحسب العصور، بعد وصف كل عصر بأبرز ما يميزه؛ فكان هناك الأدب الجاهلي، والأدب الإسلامي، والأدب الأموي... إلخ تلك الأقسام.

ولو أمعنا النظر في هذا التقسيم لتبين لنا أن الوصف في كل قسم ليس وصفا للأدب، ولكن وصفا لموصوف محذوف هو (العصر)، فكلمة (الجاهلي) ليست وصفا للأدب؛ لأن أدب هذا العصر لا يمكن أن يشمله كله الوصف بالجاهلي، وإنما هو أدب العصر الجاهلي، على اختلاف توجهات أدبائه في منازعهم وأخلاقهم؛ فمن أدب هذا العصر ما يوصف بأن أدب جاهلي؛ لأن مضمونة يمثل معتقد الجاهليين في تفلتهم وشذوذهم عن التصور الإنساني الفطري. ومن أدب هذا العصر ما لا يمثل فوضى الجاهليين وتسيبهم، والشواهد على هذا وذاك أوضح من أن تحوج إلى إعادة ذكر.

وكلمة (الإسلامي) كذلك ليست وصفا للأدب؛ لأن أدب هذا العصر لا يمكن أن يشمله جميعه الوصف بالإسلامي، وإنما هو أدب عصر صدر الإسلام، الذي يمثل ما ماج بأدباء هذا العصر من منازع، وقيم، وأخلاق، سواء أولئك الذين يلتزمون في أدبهم الرؤية الإسلامية، ويسيرون فيه وراء التصور الإسلامي، بكل قيمة وأفكاره، ومبادئه، وإيماءاته؛ أو أولئك الذين لا يلتزمون في أدبهم تلك الرؤية، ولا هذا التصور.

فأدب عصر صدر الإسلام يتسع لاستيعاب شعر المشركين الذي ووجه به الإسلام ورسول الإسلام، إلى جانب شعر المسلمين الذين التزموا فيه بالإسلام، ونهضوا يبشرون بقيم الإسلام، ويذودون عنه.

وهذا يعني أننا أمام شبهة شكلية؛ لا يصح أن تثير أي تحفظ حول مصطلح «الأدب الإسلامي»، مادامت الأمور واضحة، والحدود بارزة ماثلة هكذا.

وما أظن أحدا ممن يهتم بدراسة الأدب بالذي يغيب عنه ذلك، أو يقع بسببه في مشكلات.

الأدب بمضمونه لا بجنسه

والإشكالية الفنية تبرز في تحفظ بعض الدارسين من «الأدب الإسلامي» تخلصا مما قد ينشأ عنه من ضبابية تحجب الرؤية الفنية؛ إذ يرون أن هذا الوصف يوسع مدلول الأدب الإسلامي، حتى يشمل أدب الأدباء غير المسلمين الذين تدفعهم رؤيتهم الإنسانية الفطرية إلى الالتزام ببعض القيم الإسلامية. كهذا الأديب الملحد الذي يأسى لما يصيب بعض الناس من ظلم وقهر، فيصور في أدبه بشاعة هذا الظلم، ويبرز آثاره المدمرة، أو ذلك الأديب النصراني الذي يرى في سفور المرأة انحدارا وردّة إنسانية بعد تحضر؛ فيبرز تلك الرؤية في قصيدة أو رواية. فإن مثل هذا الأدب وذاك ـ بما يتضمنه من قيم إسلامية ـ يكون داخلا في ضمن الأدب الإسلامي، بناء على ذلك الوصف.

فيم الاختلاف حول

"الأدب الإسلامي"؟

"الدعوة إلى الأدب الإسلامي ضرورة فنية استدعتها ظروف عصرنا واغترابنا عن الإسلام"

وفي المقابل، يرون أن هذا الوصف يضيّق مدلول الأدب الإسلامي؛ فلا يشمل أدب الأدباء المسلمين الذين تجاوزوا فيه قيم الإسلام وتصوراته، كغزليات عمر بن أبي ربيعة، وكخمريات أبي نواس، وكإلحاديات صلاح عبد الصبور وأحمد علي سعيد (أدونيس) وشطحاتهما، إلى غير ذلك مما شذ فيه بعض الشعراء المسلمين عن التصور الإسلامي، وخرجوا على أطر الإسلام.

فهذا — في رؤيتهم — يولّد ضبابا كثيفا يخيم على الرؤية الفنية؛ إذ كيف يضم الأدب الإسلامي عمل أديب غير مسلم، ويلفظ عمل أديب مسلم؟!

ولو أمعن هؤلاء وأولئك نظرهم المحايد لما وجدوا أثرًا لتلك الإشكالات والضبابيات.

فالإسلام ليس دين عصر بذاته، ولا دين أمة بعينها، وإنما هو دين الإنسانية الشامل بقيمه ومعتقداته كل العصور، وجميع الأمم؛ لأن الدين عند الله الإسلام، حتى إن إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام وصيا أبناءهما بأن لا يموتوا إلا وهم مسلمون، بعد أن أمر إبراهيمَ ربُّه بالإسلام: ﴿ إذ قال له ربُّه أسلِمْ، قالَ أسلمتُ لربِّ العالمين. ووصّى بها إبراهيمُ بَنيهِ ويعقوبُ يا بنيَّ إنّ الله اصْطَفَى لكُمُ الدِّينَ فلا تَموتنّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ البقرة ١٣١ - ١٣٢. وحتى إن ما جاء به محمد ﷺ إنما هو تصديق لما تقدمه به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ﴿ والذي أوْحَينا إليك من الكِتَاب هو الحقُّ مُصَدِّقًا لما بين يديْهِ، إن الله بعبادِهِ لخبيرٌ بصيرٌ ﴾ فاطر ٣١.

نعم. إن الإسلام هو دين عقيدة التوحيد، ودين القيم الإنسانية الخالصة. ﴿ فطرةَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها لا تبديلَ لِخَلْقِ الله، ذلك الدِّينُ القَيِّمُ، ولكنّ أكثَرَ الناس لا يَعْلَمُون ﴾ الروم ٣٠.

من هذا المنطلق الصريح الحاسم، لا يمكن أن نغفل عن أن كل فرد من أبناء آدم مخلوق على استواء الفطرة، ثم يأتي بعد ذلك مَنْ - أو ما - يشذّ به عن تلك الفطرة، فيميل عن التوازن الإسلامي يمنة أو يسرة.

فإذا استعاد هذا الأديب الشاذ توازنه في بعض المواقف، أو أمام بعض الحوادث، فصدر في معالجاته الفنية من أصوله الفطرية، كان على الناقد البصير المحايد أن يلحق بهذه المعالجة الفنية ما تستحق من الصفات، وإلا كان ناقدا جائرا، استبد به هواه، وسيطرت عليه عنصريته، فخرج على قانون الإسلام العادل الذي قرره الحكيم العليم في قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُونُوا قَوّامينَ للهِ شُهَداءَ بالقِسْطِ ولا يَجْرِمَنكم شَنَآنُ قومٍ على ألاّ تعْدِلوا، اعْدِلُوا هو أقربُ للتّقوى، واتّقوا اللهَ إنّ الله خبيرٌ بما تَعْمَلُون ﴾ المائدة ٨.

فتحييد الناقد لن يتحقق إلا إذا تجاوز الهوى، والنظرة العنصرية، وتوجه إلى العمل الفني في مضمونه وشكله، موقنًا أن الأديب الصادق، لن يقدم مضمونا لم يكن مستجيبا له لحظة إبداعه. أما ما كان عليه قبل ذلك، وما يكون عليه بعد ذلك، فلا شك في أنه خارج التقدير.

ومن ثم، يتبين أنني لا أدعو إلى قطع العمل الأدبي عن الأديب - فهما متلازمان - ولكني أقطع العمل الأدبي عن الأديب في بعض أحواله التي سبقت إبداعه أو لحقت به.

بل إنني أقر أن الأديب حين اتجه إلى الحدث بنظره الإنساني الخالص، لم يكن مستمرا على شذوذه الغالب في حياته، ولكن — في ذلك العمل بذاته - كان مستردا وعيه الإنساني، مستقيما على فطرته.

من ثمّ، لا يكون هناك إشكال، حين نصف بعض أشعار زهير بن أبي سلمى بأنها شعر إسلامي، وإن كان زهير قد مات على شركه، ولم يدرك بعث المصطفى ﷺ؛ لأننا نقوم هذا الشعر بذاته، وندرك أن زهيرا في لحظة صدور هذا الشعر عنه كان على استقامته الفطرية.

كما إننا - من هذا المنطلق الواقعي المحايد - لا نستطيع أن نغفل شذوذ واحد عن الإسلام وقيمه، بعد أن أعلن إسلامه، لمجرد أنه أعلن إسلامه؛ لأن ذلك يعني العنصرية العمياء؛ فإذا شذ أبو نواس في بعض شعره عن التصور الإسلامي، وخرج على قيم الإسلام، كان على الناقد الصادق العادل أن يخرج هذا الشعر عن الوصف بالإسلام، وإن كان أبو نواس - في عمومه - منتسبا إلى الإسلام؛ شأنه في ذلك شأن كل مسلم تجاوز في سلوكه قيم الإسلام؛ فالسرقة من المسلم - كالسرقة من غير المسلم - عمل غير إسلامي، وإن كنا لا نستطيع أن نخرج المسلم السارق من الإسلام، وقصارى ما نستطيع أن نصفه به أنه حين سرق لم يكن على إيمانه؛ فلا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.

ولكن لماذا اليوم؟

ولكن بعض هؤلاء المتحفظين من مصطلح «الأدب الإسلامي» يربطون بين الدعوة إلى الأدب الإسلامي، وبين الحركة العامة المتمثلة في تلك الصحوة الإسلامية، ويرون أن هذا وذاك من المردودات الانفعالية للضغط الأوربي الخانق علينا، ويستدلون على ذلك بخلو دراساتنا الأدبية التراثية — على مدى العصور السالفة - من هذا المصطلح.

ولو رجعنا النظر في تراثنا الأدبي، وقارناه بما عليه أدبنا المعاصر لوجدنا أن الإسلام كان هو إطار الصواب عند أسلافنا في شتى مجالات الحياة، وأن الخروج عن ذلك الإطار كان هو الشذوذ الذي يحوج إلى المراجعة والتنبيه.

أما في العصر الحديث ـ وبعد السيطرة الاستعمارية الصليبية العلمانية علينا ـ فقد انعكست القاعدة، وأصبح التصور الأوربي هو الإطار العام عندنا في شتى مجالات الحياة. فلم يكن بد من أن يوجد من يدعو إلى اليقظة، والعمل على التخلص من تلك الربقة المستبدة الجارفة.

من ثم، كانت الدعوة إلى «الأدب الإسلامي» ضرورة فنية استدعتها ظروف عصرنا حين فرض علينا المستعمرون الاغتراب عن الإسلام، حتى كاد هذا الاغتراب يصبح توجها عاما. بينما لم يجد أسلافنا ضرورة لمثل ذلك؛ لأن أحدا منهم لم يشعر بغربة مجتمعه عن الإسلام؛ فالغالبية العظمى يصدرون عن التصور الإسلامي، باستثناء بعض الأفراد، كانوا هم الذين اغتربوا عن الإسلام، فحاول إخوانهم أن يستعيدوهم إلى التوازن بالكشف عما في أعمالهم الأدبية وغير الأدبية من شذوذ وانحراف؛ كما رأينا في موقف سيدنا عمر من الحطيئة، محاولا أن يرده عن شذوذه، وكما صنع سيدنا عثمان مع ضابئ البرجمي حين هجا بني نهشل وأفحش في هجائه، فجاءت قولته المأثورة: «لو كان أحد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك»، وحبسه حتى مات في سجنه [1]؛ ولذلك قرر النقاد أن الله لم يُغْصَ بشعر أكثر مما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة [2]، ورأى الأصمعي أن شذوذ السيد الحميري عن القيم الإسلامية سبب كاف في تأخيره، فقال عنه: والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه في طبقته أحد [3].

وهكذا، يوضح النظر المتأني الفاحص أن لا محل للخلاف حول مصطلح «الأدب الإسلامي»، وأن هذا الخلاف ـ إن وجد ـ إنما هو نتاج العجلة في الحكم، والخلط في القضايا، الذي أثمرته بذور الفكر الاستعماري الصليبي الأوربي، في ظل ما أصابنا من ضعف ووهن في هذا العصر، إلى جوار ما حققه الأوربيون من انتصار في كثير من مجالات العلوم والكشوف والصناعات الحديثة.

الهوامش

(١) انظر القصة كاملة في طبقات فحول الشعراء حـ١ ص١٧٢ بتحقيق محمود شاكر.

(٢) الأغاني حـ١ ص ١٠٨ طبع دار كتب المصرية.

(٣) فحولة الشعراء للأصمعي ص ٥٢ بتحقيق خفاجي والزيني.

دوري الأدب

لا يكاد القارىء العادي في أية دولة عربية، يعرف أسماء الكتّاب والأدباء والشعراء في بقية دول العالم العربي، وإنها لعمري لمأساة أن يحفظ القارئ المصري أسماء العديد من كتاب الغرب، ولا يعرف أسماء أغلب الروائيين في تونس والجزائر والمغرب، وربّما يعرف اسمين أو ثلاثة من أدباء السعودية أو سوريا، مثلا، و الشيء نفسه للكتاب المصريين، أو الغالبية منهم، في محيط الدول العربية ككل!

إنني أذكر ذات يوم ـــ من أعوام عديدة ـ حين تقدمت بإحدى مجموعاتي القصصية في مسابقة جائزة الدولة التشجيعية، سألني المختص بقبول الكتب:

ـ إذا كنت قد استخدمت اللهجة العامية في كتابة قصص هذه المجموعة، فمن الأفضل ألا تشتركي من البداية!

أدهشني كلامه حقا، فما شأن اللغة في جودة القصص وفنّيتها؟، ورأى دهشتي فاستأنف يفسر لي:

ـ المجلس الأعلى للفنون والآداب لا يشجع على اتجاه كتابة الأدب بالعامية، ومن ثم يحجب جوائزه عمن يستخدمها. وذلك من منطلق حرصه على أن يقرأ آدابنا جميع إخواننا في الوطن العربي الكبير.

عند ذلك طمأنته بأنني أستخدم ـ دائما ـ اللغة العربية الفصحى، وخرجت وقد ازدهاني الفخر أن كتبي ستنتشر في العالم العربي أجمع، لأكتشف بعدها أنها أوهام نحاول أن نقولها لأنفسنا، ثم نصدقها بعد ذلك!

إننا إذا انتظرنا أن تقوم الحكومات ـ في أي من دولنا ـ بخطوة، فإن انتظارنا سوف يطول كثيرا، لذلك فالأمل كل الأمل في مجالسنا وجمعياتنا الأدبية لتتقدم الصفوف، وهناك الكثير مما يمكن عمله، فإذا كانت دول العالم تنظّم مسابقات دوري كرة القدم أو كرة السلة أو كرة اليد، إلى آخر هذه المسميات الكروية المتعددة بمستوياتها: العالمية، والإفريقية أو الآسيوية، والعربية ... إلخ، فلماذا إذن لا نقيم دوريا للآداب العربية الحديثة؟، مرة للرواية وأخرى للقصة القصيرة وثالثة للشعر، وهكذا، فيسافر وفد منتخب من أدباء كل دولة عربية إلى باقي دول العرب، بالتبادل، فتقام الندوات وتتبادل المعلومات والخبرات والمواهب، من خلال المدارس والاتجاهات في عالم الأدب، ندوات موسعة يحضرها أساتذة الجامعات وطلبتها، وجميع وسائل الإعلام، صحافة وإذاعة وتلفزيون، وتباع الكتب للطلبة بأسعار رخيصة، تشجيعا لهم على القراءة والبحث والمقارنة.

وثمة أمر آخر، وهو وضع خطة منظمة من أجل نشر بعض الكتب لمؤلفين عرب، في دول عربية أخرى، مع رصد العديد من الجوائز، على سبيل المثال ترصد المملكة العربية السعودية جوائز لأحسن كتاب لمؤلف سعودي صدر في كل من مصر وسوريا والكويت والإمارات والدول العربية كافة، وأيضا جوائز لأفضل كتاب لمؤلف من كل من هذه الدول المذكورة صدر في السعودية، وكذلك تفعل مصر نفس الشيء فتقدم نظيرا لهذه الجوائز، وأيضا باقي الدول العربية المهتمة بالآداب ولديها أدباء وكتاب مرموقون.

وكل هذه الجوائز يسبقها عمل دراسات نقدية في الجرائد والمجلات المتخصصة والصفحات الأدبية في المجلات والجرائد العامة، وكذلك استطلاعات للرأي من جانب القراء، لتقدم الجوائز لأصحاب الأعمال الأدبية الجيدة بعد ذلك في مهرجانات أدبية، مفتوحة للمتخصصين، والجمهور.

إحسان كمال ـ القاهرة

ذكريات ومشاهدات أندلسية

محمد محمد حامد منصور

في العام الميلادي الماضي ١٩٩٢م احتفلت أسبانيا بمرور خمسة قرون على خروج العرب من الأندلس، بعد أن أمضوا فيها ثمانية قرون (من سنة ٩٢هـ ـ ٨٩٧هـ ـ ٧١١م ـ ١٤٩٢م). ولا زلت أذكر تلك الأيام السعيدة التي قضيتها في ربوع الأندلس حيث أتيحت لي الفرصة عندما كنت أعمل أستاذا بجامعة ابن يوسف بمراكش بالمغرب ـ لزيارة أسبانيا عدة مرات.

ولا شك أنها ذكريات حبيبة غالية عاشها العرب، ومجدٌ خلّدهم، وعزة وشجاعة لا زالت إلى اليوم مضرب الأمثال، حيث قضى العرب أجمل أيامهم، وخلّد علماؤهم وشعراؤهم وفنانوهم أجمل ما تفتق عنه الذهن البشري وأروعه، وجادت به القرائح الإنسانية. فالأندلس بجمالها وروعتها وبهائها ـ بعد أن أحياها العرب ـ كانت مصدر وحي وإلهام لا حد له.

كيف سميت «الأندلس»؟

واسم «الأندلس» أطلق أصلا على جزء من «شبه جزيرة أيبريا»، وبالتحديد المنطقة الجنوبية التي تسمى بالجزيرة الخضراء Algaciras، عندما غزاها قبائل الوندال فسميت (فاندولسيا)، أي البلاد التي قدم الوندال منها إلى المغرب أمام الضغط القوطي المغربي سنة ٤٢٩هـ.

والطريق من المغرب إلى أسبانيا ميسّر بالطائرات أو البواخر عبر مضيق جبل طارق، إما من ميناء طنجة إلى جبل طارق أو من سبتة إلى الجزيرة، ولا يفوتني هنا أن أذكر أن مدينة سبتة ومدينة مليلية المغربيتين لا زالتا حتى الآن خاضعتين لأسبانيا، ولا يجوز دخولهما إلا بتأشيرة دخول أسبانية، وهناك مباحثات مغربية أسبانية من أجل استردادهما.

وعبر مضيق جبل طارق نقطع المسافة في ساعة من الزمن حيث يطالعنا الجبل الشامخ، وهنا يسبح بنا الخاطر، ونقف مع التاريخ، لتدور عجلته إلى الوراء، إلى سنة إحدى وتسعين هجرية حينما انتشر الإسلام في ربوع المعمورة، شرقا وغربا في عهد بني أمية، إذ اتجه نظر القائد «طارق بن زياد» والي طنجة إذ ذاك إلى فتح الأندلس، وشجعه على ذلك ما علمه من ضعف حكامها من القوط المتوحشين وانقسامهم.

ويقول المؤرخ سباستيان السلمنقي: إنه لما انهزم غيطشة أقام القوط «لذريق» ملكا، وكان طاغية فملأ الحسد أولاد غيطشة من أن يغصبهم لذريق مملكة أبيهم، فدبّروا أمرهم بمهارة وأرسلوا رسلا إلى أفريقية يرجون العرب المساعدة، وقدموا لهم سفنا عبروا عليها إلى أسبانيا ـ ويقال: إنّ مما شجع طارقًا أنه رأى في منامه رسول الله ﷺ يقول له: «تقدم يا طارق ويقوده إلى الأندلس» ـ فاستأذن موسى بن نصير والي شمال أفريقية في فتح الأندلس، ودخلها بعشرة آلاف مقاتل.

ونتخيله عند قمة جبل طارق بعد أن عبر المضيق وخطب في جنده: «أيها الناس أين المفر؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم، إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وَزَرَ لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عربانا، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين، والله تعالى وليّ أنجادكم، واعلموا أني أول مجيب لما دعوتكم إليه». وتقدم بعون الله فانتصر على جحافل لذريق التي تبلغ ستة أمثال جيش المسلمين في العدد والعدة. وخضعت الأندلس لحكم الإسلام عام ٩٢هـ، أي قبل مضي قرن على هجرة الرسول ﷺ.

وجبل طارق يبلغ ارتفاعه ٤٥٠ مترًا ـ وهو الآن قاعدة عسكرية بريطانية ـ وقرب قمته قلعة عسكرية أثرية على طراز عربي وبها برج مرئي، وأسفل الجبل تقع المدينة في مبان متدرجة فوق الجبل الذي تغطيه الخضرة وبها أسواق تجارية عامرة، ومعظم سكانها من الهند وباكستان والإنجليز وعلى مقربة من الجبل مدينة أسبانية صغيرة تسمى لالينيا.

ولكن ما هذا الصخب وتلك الموسيقى التي تصدح وهذه الشريات والأعلام؟! إنه الاحتفال «بالفستا» أي العيد، وهو أحد الأعياد الوطنية التي يحتفل بها في كل أنحاء أسبانيا طوال أشهر الصيف وذلك في ذكرى الثورة الوطنية الكبرى التي قام بها الوطنيون ضد الفوضويين الشيوعيين في ١٨ يوليو ١٩٣٦م، والتي استمرت ثلاث سنوات، قامت خلالها حرب أهلية طاحنة حصدت أكثر من مليون من الأهالي، وقتل كثير من رجال الدين ونهبت الكنائس والأديرة وحولت دور العبادة إلى حظائر.

وفي العيد تزدحم المدينة فلا تكاد تجد موطئ قدم، ويتجمهر الناس في



منظر عام من أشبيلية

«فردناند قتل في غرناطة ثلاثة ملايين مسلم»

الطرقات يمرحون ويرقصون، وتسير مواكب الفرسان والأمازونات بالزي التقليدي الوطني المزركش الجميل، حتى يصلوا إلى ساحة كبيرة ليقدموا رقصتهم الشعبية «الخوتا»، ولعلها تسمية مأخوذة من الكلمة العربية «الخطوة» - فيدورون حول أنفسهم في خفة ورشاقة ويتبادلون مواقعهم ويضربون الأرض بأقدامهم بإيقاع منتظم ويصفقون وحولهم الأهالي.

ويشمل الاحتفال «مصارعة الثيران» وهي تقام في ساحة كبيرة لا تخلو منها أي بلد في أسبانيا تشبه «الاستاد» الرياضي عندنا، ويتسع لأكثر من ثلاثين ألف متفرج. وتعتبر مصارعة الثيران اللعبة الشعبية المفضلة لديهم.

آثار عربية إسلامية في كل مكان

وفي مالقة حيث المباني شامخة والشوارع نظيفة والميادين تتوسطها الفوارات الجميلة والتماثيل البديعة والحدائق الغناء التي تمتد على طول الطريق، وتنتشر فيها أحواض يسبح فيها البط حرا طليقا، وأحواض بها أسماك بديعة مختلفة الألوان والأشكال، وتصطف على الجانبين مقاعد للجالسين تعلوها أقفاص بها طيور جميلة، وكذا أبراج الحمام الذي يتجمع حول الجالسين في هدوء وسلام.

وهناك «القصبة»، وهو قلعة عربية أثرية يصعد إليها في ممرات متعرجة تنتهي بمرتفع أعلاه قصر جميل حوله أشجار الفاكهة وأحواض الأزهار في تنسيق بديع. وبداخل القصر متحف للآثار الإغريقية والرومانية والعربية وصور للخلفاء. وبجوار القصر الكاتدرائية الكبرى وما بها من نقوش ذهبية بديعة، وقد كانت من قبل مسجدا وحولت إلى كنيسة ويطلق عليها «لوكاتدرائية دومسجيتا».

أما عروس الأندلس «غرناطة» فكان الوصول إليها بواسطة القطار في طريق جبلي ممهد يشق جبال نيفادا التي يبلغ ارتفاعها ١١٠٠٠ قدم، وتكسوها الثلوج وتتخللها الوديان التي تنحدر إليها المياه من انصهار الجليد في منظر رائع بديع وتغطيها أشجار الزيتون والبرتقال والكروم في نظام هندسي مدهش. كما تنتشر القرى الصغيرة متباعدة على جانبي الطريق.

وها هي غرناطة Granada التي كانت عاصمة بني الأحمر، واستمر بها المسلمون العرب قرنين من الزمان بعد سقوط قرطبة، فكانت آخر القلاع التي سقطت من أيدي العرب والتي كانت مدارسها مضرب المثل في العلم والمعرفة وبها مكتبة زاخرة بالكتب والمخطوطات العربية النادرة.

ونذكر هنا بحسرة ما لاقاه العرب من ذل حيثما حاصرها «فردناند» سبعة أشهر كاملة حتى أكل الناس بعضهم بعضا من شدة الجوع وبلغ عددُ مَنْ قُتِل منهم ثلاثة ملايين مسلم، وأخيرا سلمها أبو عبد الله وقالت له أمه - وهو ينزل من القلعة ليسلم مفاتيح البلدة لفردناند في يناير ١٤٩٢م الموافق سنة ٨٩٧هـ:

ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال

قالتها بعد ما ترك غرناطة في منطقة تسمى بزفرة العربي.

قصر الحمراء

أما ذا «الهمبرا» Alhambra - أي قصر الحمراء المشهور ذلك الأثر العربي

ذكريات ومشاهدات أندلسية

الفـريـد فيطل على مدينـة غـرنـاطـة بارتفـاع ١٥٠م ويحيط بـه سـور من جميع الجهات، ويعتبر قلعـة حربية كبيرة وهـو مبنى كبير متسع، يبهرك مـا فيه من نقوش بديعـة وفن إسلامي يعتبر من أروع وأجمل الآثار الفنية، زينـت جدرانه بالنقوش البديعة، يكسوها القيشـاني والفسيفساء، وقد نقشت بأعلاها بالخط الكـوفي (لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله، لا حـول ولا قـوة إلا بـالله، الملك لله الواحد القهار، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين، لا غالب إلا الله).

ومن العجيب أننـي رأيت بنفسي النقـوش في القصر الكبير في مـــدينـــة بروكسل، عـاصمة بلجيكا نقلـت على أنها نقوش زخرفيـة (لاغالب إلا الله). وأبدع ما في قصر الحمراء بهو السباع، إذ به اثنا عشر أسدًا تمج الماء من أفواهها في بركـة من الرخـام الأزرق مسدسة الشكل، وبـالبهو ١٢٨ عمـودا من المرمر يتوسطه حوض كان مملوءا بالزئبق.

وفي القصر بهو الريحان وحمامات السلطان والقاعات التي تزدان بالزخارف الملـونة والمذهبـة تكسوهـا الفسيفساء، وتعتبر من أروع مـا جاد بـه فن العمارة الأندلسي، وبالقصر مقاصير وأبهاء وشرفـات وحمامات وأفنية وبواكي، وتحيط بـه حديقـة غناء تغـرد بها الطيور، وتتـدفق بها الجداول، وعلى جانبيهـا مختلف أنواع الأشجار والأزهار، ونذكر هنا شعر ابن خفاجة الأندلسي :

يــــا أهل أنــــدلـس لله دركـم   مـــاء وظـل وأنهار وأشجـــــار

مـا جنـــة الخلــد إلا في دياركـــم   ولــو تخيرت هـــذي كنت أختـار

وعلاوة على ذلك وجد بالقصر سراديـب مظلمة تحت الأرض كانت سجنا للمنبوذين، ويحيط بالقصر قلعة محاطة بـالأخاديد من جميع الجهات كانت من أمنع الحصون التاريخية وبجوار قصر الحمراء يـوجد قصر شارلكان شيده شارل الخامس، به متحف تزينه لوحات لكبار الفنانين العالميين.

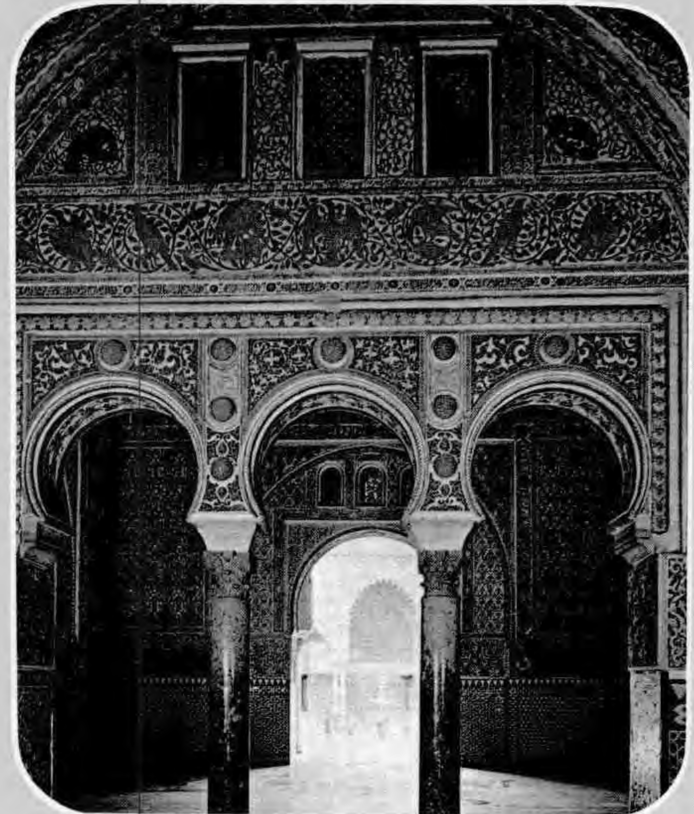
وبالقـرب من قصر الحمراء تـوجد «جينـالاريف» Generalife أي جنـة العـارف، وهي بحق جنة تعـد من أجمل حـدائق الدنيـا، بها أحـواض تزخـر بـالأسماك الملونـة، وقـد نسقت في مدرجـات بنظـام بـديع وتنساب الميـاه من جـداولها إلى المنحـدرات، وفي وسط الأحـــواض فـوارات تحيط بها شتى ألـوان الأزهـار والريـاحين وتمتـد على جوانبهـا الأرائك يغطيهـا كساء سنـدسي جميل وتظلها الخمائل وترفـرف عليها طيور الزينة في حـرية، ويطل عليها قصر جميل يسمى قصر الصيف به زخارف في غاية الإبداع والروعة والجمال.

وبالقرب من مـدينة غرناطة ضاحيـة جميلة هي «لا نخارون» التي من أهم المدن السياحية لما فيها من عيون معدنيـة تفيد في علاج كثير من الأمراض، وقد شيـد بها مبنى البـولانير وحـولـه العيـون، حيث خصـص لكل عين حـوض خـاص، كما بنيت حمامات للميـاه المعدنيـة الساخنـة والبخار وزودت بغـرف للعلاج الطبيعي.

وتواجه المبنى على قمة الجبل آثار قلعة عربية شامخة مسلط عليها الأضواء، ومما يسترعي الأنظار في هذه المدينة الصغيرة أن النساء يقمن بمعظم الأعمال من إدارة وخـدمة في المقـاهي والفنادق، بل وحمل أمتعـة المسـافرين وبيع شطـائر البطاطس الرفيعة على جوانب الطريق وتطريز المفارش وصنع السلال والزخارف التذكارية التي يقبل عليها الزوار.

مدريد.. مجريط

وآن لنا أن ننتقل إلى العـاصمـة «مـدريد» التي شيـدها عبد الرحمن الثـاني ـ وكانت تسمى «مجريط» ـ حيث المبـاني الحديثة والعمارات الشاهقة، والشوارع والميادين الكبيرة المتسعـة تنتشر بها التماثيل والفوارات، ويوجد بالعاصمة ٢٥ متحفا لمختلف أنـواع الفنون والصنـاعات والآثـار، من أشهرها متحف برادو الذي يعد من أروع المتاحف العالمية وأكثرها اتساعا، فيه أربعون صالة للعرض



قاعة السفراء في القصر ـ أشبيلية

تـزخر بما يـربـو عن أربعـة آلاف لوحـة من أروع مـا أنتجتـه أيدي الرسـامين العالميين، منها ما يمثل قصص الحكماء ومنها ما يصوّر مناظر تاريخية أو مشاهد طبيعية خلابة. ويتردد على هذا المتحف يوميا الكثيرون من هواة الرسم ليرسموا بعض لوحاته، ويقام في مدريد في كل عام معرض وطني للفنون الجميلة تظهر فيه اتجاهات حديثة في عالم الفن التشكيلي.

أمـا بستـان الـريتـور فيعدّ من أجمل الحدائق، بـه بـركـة مـائيـة تسبح بها الـدراجـات المائيــة لـراغبي النـزهـة، وتحيـط بها الخمائل والأشجـار من جميع الجهات، حيث اصطفت المقاعد، ويطل على البحيرة تمثال ألفونسو المشهور، وفي الجانب الآخر توجد حديقة كبيرة للحيوانات بها مجموعة فريدة من حيوانات العالم، ومزرعة لمختلف أنواع الدواجن والطيور، وبستان للأزهار والصبار.

” كانت قرطبة جوهرة العالم وضمت أربعمائة مسجد “

كما توجد في مدريد قصور أثرية أهمها قصر الشوق غرب العاصمة، وقد زينت جدرانه بالنقوش والكنوز وازدانت سقوفه بالثريات واصطفت على جوانبه التماثيل والتحف، وتحيط بالقصر حديقة غناء جميلة.

وقد أنشئ في مدريد سنة ١٩٥٠م معهد للدراسات الإسلامية العربية عندما كان الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي وزيرا للمعارف، وكانت



برج الذهب، بناه الموحدون في القرن الثالث عشر

مهمة المعهد الإشراف على دراسة المخطوطات العربية وتحقيقها وطبعها، والتي خلفها العرب المسلمون بأسبانيا، والتي تزخر بها مكتبة الاسكوريال المشهورة.

وفي مدينة «برشلونة» العاصمة الصناعية يقام سنويا معرض دولي للصناعات، وتكثر بها المصانع وتعتبر سوقا تجاريا مهماً وتكثر بها المتاحف والآثار العربية الخالدة مثل قصر الشعب المشهور وبها حديقة فوق الجبل.

أما مدينة أشبيلية فهي مدينة جميلة تتميز بشوارعها المتسعة ومبانيها الفاخرة، وأجمل ما فيها المسجد الجامع الذي شيده يعقوب المصور، ويتميز بمئذنته الفاخرة «الجيرالدا» التي امتازت بدقة الزخرفة وتناسق البنيان، ارتفاعها ثلاثون مترا، شيدت على نسق صومعة الكتبية بمسجد ابن يوسف بمراكش وصومعة حسان بالرباط بالمغرب.

ويقال: إنه عندما حاصرت جيوش قشتالة أشبيلية سنة ٦٤٣هـ ـ ١٢٤٦م ردد بعضهم فكرة هدم المسجد وتقويض المئذنة فقال الأمير ألفونسو: سأقطع رقابكم جميعا لو لمستم حجرا واحدا منها. وظلت الجيرالدا إلى يومنا هذا تنطق بروعة الفن الإسلامي، وقد حوّل المسجد إلى كاتدرائية سانتا ماريا (أي القديسة مريم) ويعد من أكبر كنائس العالم.

وبجوار الكاتدرائية يوجد «الكزار» (القصر)، وهو من أفخم القصور العربية، له أسوار كالحصون وأبواب هائلة يكسو جدرانه القيشاني والفسيفساء وبه مقصورة للنساء وأخرى للضيوف وتحيط به حديقة غناء بديعة تسمى حديقة التيه، بها طرقات ملتوية إذا دخلتها ضللت الطريق، وخلف القصر حديقتان إحداهما مرتفعة على ربوة والأخرى منخفضة في الوادي بوسطها حمام للسباحة. كما يوجد بالمدينة حديقة أخرى مشهورة تسمى حديقة ماريا لويز، ازدانت بالتحف القيمة والتماثيل البديعة كما يوجد برج الذهب في مواجهة الحصن القديم، وبه متحف كبير به آثار خالدة.

قرطبة وشهادة المؤرخين

وكانت خاتمة المطاف مدينة «قرطبة» التي كانت عاصمة الأندلس، والتي نزح إليها عبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش هاربا من دمشق سنة ١٣٨هـ عند سقوط الدولة الأموية، وأحيا الخلافة الأموية من جديد في الأندلس واستقلت عن الخلافة العباسية في الشرق.

وقد كانت قرطبة جوهرة العالم، وفي ذلك يقول المؤرخ الأمريكي المشهور الدكتور فكتور روبنسون: «كانت أوربا في ظلام حالك بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح، وكانت أوربا قذرة بينما سعدت قرطبة بألف حمام، وكانت أوربا تغطيها الهوام بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة، كانت أوربا غارقة في الوحل بينما كانت قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة، وكان أشراف أوربا لا يستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال قرطبة يذهبون إلى المدارس، وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة الشعر في الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة، وإنا لنحس بفضل العرب وعظم آثار مجدهم حينما نرى بأسبانيا الأراضي المهجورة القاحلة التي كانت أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار تزخر بما فيها من كروم وزيتون وسنابل القمح، وحينما نذكر تلك البلاد التي كانت في عصر العرب تموج بالعلم والعلماء».

وقد شيد في قرطبة ٤٠٠ مسجد أروعها المسجد الجامع الذي أنشأه عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٠هـ، والذي يعد من أكبر الآثار العربية الإسلامية في الأندلس، يزوره الآن ٢٥٠ ألف سائح في العام، وقد كان للمسجد واحد وعشرون بابا طليت بالنحاس الأصفر وثلاث وتسعون ومائتان وألف سارية، وزينت جدرانه بالفسيفساء، وقد كان المنبر مصنوعا من العاج والخشب الصندل والأبنوس ومرصعا بالأحجار الكريمة، ويقال: إنه كان في بيت منبره مصحف بخط الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأجمل ما في المسجد المحراب وهو باق على حاله حتى الآن تزينه الفسيفساء والزخرفة المذهبة.

بوابة الأسود ـ القصر ـ أشبيلية



”الألفاظ العربية دخلت اللغة الأسبانية وأكسبتها لهجة جديدة“

والمسجد يعلوه قبـاب أروعها قبة الضوء وبها ست عشرة نافـذة يدخل منها الضوء فتضيء جـوانب المسجد، ولما سقطت قـرطبة سنة ٦٣٤هـ ـ ١٢٣٦م) عرض على شارل الخامس أمر هدمـه لبناء كنيسة كبيرة فوافق، ولم يكن قد رأى المسجد، ولما مـر بقرطبة بعـد ذلك ورأى المسجد راعه مـا رأى من جلال الفن وعظمـة المعمار فقـال : لـو كنت قـد علمت مـا وصل إليـه ذلك لما كنت قـد سمحت بأن يمس هذا البنيان الضخم لأن ما بنيتمـوه موجود في كل مكان وما هدمتموه فريد في العالم.

وهنا يحضرني قـول المؤرخ فرانسيسكـو فلاسباسـان : لو نـزعنا الجص عن جدران كنائسنـا لألفينا تحته كتابـات مذهبة لاسم الله القـدسي محفورة بحروف كوفيـة، ولو خدشنا بـالأظافر بشرتنـا الأوربية الصفراء لبرز لنا تحتهـا لون بشرة العرب السمـراء، إن قوميتنا الغـربية هي العرض الظاهـر، أما القوميـة الشرقية فهي حقيقتنا الخالدة.

الأسبان والتقاليد العربية

إن أهم مـا يسترعي النظـر في طباع الأسبـان روحهم المرحـة وبعـدهم عن التحلل الخلقي ومناهضتهم للمبادئ الهدامة. والمرأة الأسبانية لها ملامح عربية وهي محتشمة في ملبسها معتـدلة في سلوكها، ولا تـزال متأثرة بالتقاليـد العربية الشرقية، فـلا يسمح للبنت بأن تخرج بمفردهـا وقد انتشر الحجاب في أسبـانيا حتى نهاية القرن السابع عشر، ويوجـد حتى الآن في أسبانيا من يلبس الحجاب من النساء. والرجل يغار على عرضه ويقتل في سبيله.

والنشاط الاجتماعي إجباري للمـرأة من سن ١٧ إلى ٣٥، حيث تتفرغ سنة كـاملـة للخـدمـة الاجتماعيـة في مستشفى أو التعليم وتأخـذ شهـادة على أنها اجتازت هذا الواجب الذي يعتبرونه مقدسا.

ويتميز الأسبان بـرقة الشعور وعزة النفس والميـل إلى الخير والقناعة والصبر وكلها طباع عربية أصيلة. وهم يقبلون على الحياة بمرح وهمة ونشاط مما يجعلهم يحتفظون بقوتهم وشبـابهم فترة طويلة، وهذا هـو السر في أن حكومتهم جعلت سن السبعين للإحالة إلى التقاعد.

وقـد دخلت الألفاظ العـربيـة اللغة الأسبـانية وأكسبتهـا لهجـة جديـدة، فدخلت أداة التعـريف (الـ) وكثيرا ما تسمع كلمات مثل : كيـه تال (أي كيف الحال)، وأدخـا الله (أي إن شـاء الله)، وأولييـه (يـا الله يـا الله)، والكـازار (القصر)، والجزيرة، وكلمات أخرى ذات أصول عـربية مثل : القرية، المدن، السـد، الـرياض، البركـة، السـاقيـة، اليـاسمين، الريحان، الـرز، السكـر، الزيت، الخروب، الترمس، اللوبيا . . . إلخ.

ضياع الأندلس

ودّعت تاريخنا في الأنـدلس وكأننا كنا في حلم جميل وددنـا لو لم نفق منه. تركنـا الأندلس التي ظلت طـوال ثمانية قـرون في حكم المسلمين وهي على حد قول المؤرخ الإنجليـزي الشهير «استانلي ليف بـول : هي مـركز للمدنيـة ومنبع للفنون والعلـوم ومثابة العلماء والطلاب ومصبـاح الهداية والنور فكانت مـدينة العـرب معجـزة من المعجـزات وآيـة مـن الآيـات. . . فقـد أنشئت المكتبـات والجامعات بقرطبة وغرناطة وطليطلة وأشبيلية ومرسية، كان الطلبة يفدون إليها من جميع أنحاء أوربا يتلقون العلم عن جهـابذة الأعلام من العرب المسلمين، وكـان يدرس بها فـروع العلم والمعرفـة كافـة من طب وفيزيـاء ورياضـة وفلك وتاريخ وأخلاق وسياسة إلى جانب علـوم الدين، ففي علوم الدين والقرآن نبغ أبو عمر وأبو القاسم الشاطبي وأبو الحسن القرطبي، وفي الفلسفة نبغ ابن رشد وابن حـزم وابن مـاجـه وابن طفيل، ومن المؤرخين ابن حيـان وعبـد الملك بن حبيب والـراعي، ومن العلماء أبـو مسلم المجـريطي الريـاضي الفلكي، وأبـو القـاسم الـزهـراوي أعظم أطبـاء عصره، وأبـو الطيـب خلف الجراح الـذائع الصيت، وابن البيطـار العـالم النبـاتي الشهير، وأبـو الحسن بن رائع الشهير «بزرياب» رائد الموسيقي، وعباس بن فرناس رائد الطيران. وقد خلفوا مجلدات وآثارا تشهد ببراعتهم في الهندسة والصناعة والزراعة والفنون والمعارف المختلفة، لا تـزال آثارهـا حتى اليوم مما جعلها من أهم المراكـز الثقافيـة في العالم وقبلـة السياح من جميع أنحاء العالم.

تركنا الأنـدلس ونحن مأخوذون بروعتها وسحـرها وجمالها وكلنا حسرة على هذا المجد الذي شيدناه ثم ضيعنـاه، وتذكرت قول المؤرخ الإنجليزي «هربرت فيشر» : «لقـد شُغِلَ العرب بفـردوسهم الـدنيوي الـذي صنعـوه بأنفسهم عن فـردوسهم الأخـروي الـذي جـاءوا مـن أجلـه وهـذا هـو الـذي أضـاع منهم الأندلس».

زينب فوّاز
أول عربية
تترجم لبنات جنسها

صفحات مجهولة في أدبنا الحديث:

"زينب فوّاز" (١٨٦٠-١٩١٤م)

محمد سيد بركة

زينب فوّاز أديبة وشاعرة ومؤرخة، لبنانية المولد، ألّمت بدمشق وتزوجت فيها، ثم فارقت زوجها إلى مصر فعاشت هناك إلى وفاتها. طلبت العلم على بعض الأعلام، ثم بدأت تنشر المقالات في مختلف الصحف، وكتبت بعض القصص، ووضعت كتابها الضخم في تراجم بنات جنسها من العربيات وغيرهن. وكان أسلوبها صورة لكتابة ذلك العصر المسجّعة، وشعرها أقرب إلى النظم منه إلى الشعر، غير أن كتابها «الدر المنثور. . .» موسوعة في بابه. وهي رائدة نساء عصرها في التصدي للأمور العامة والدعوة للإصلاح، مع المحافظة على آداب الإسلام من حجاب وما إليه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

وهي واحدة من الأعلام الذين حجب فكرهم عن الناس عدمُ اهتمام الدارسين بهم على الرغم من كونها رائدة من رواد النهضة النسائية في عالمنا العربي.

كانت «زينب فوّاز» أديبة، مؤرخة، من شهيرات الكاتبات، وشاعرة مبدعة، بارعة الأسلوب قادرة على الأداء على نحو يشهد بالتفوق [(١)].

يرى صاحب مجلة «العرفان» اللبنانية أنها أول من كتبت في الصحف في مصر من النساء [(٢)].

ويقال: إنه في أوائل سنة ١٩٠٠م لم يكن في مصر غير «عائشة التيمورية وزينب فوّاز» [(٣)] (أي من الأديبات).

وُلدت «زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي» في قلعة تبنين من أعمال جبل عامل بلبنان سنة ١٢٦٧ هـ/ ١٨٦٠م [(٤)].

ولما بلغت العاشرة من عمرها جاءت إلى الإسكندرية وشرعت تدرس القراءة والكتابة على الأستاذ «محمد شبلي»، ثم تلقت الصرف والبيان والعروض والتاريخ على الأستاذ «حسن حسني باشا الطويراني» صاحب جريدة النيل، ثم أخذت الإنشاء والنحو عن الأستاذ «محيي الدين النبهاني».

انتقلت «زينب فوّاز» إلى دمشق، فتزوجت بأديب نظمي الدمشقي ولكنهما افترقا بعد قليل، فعادت إلى القاهرة وتفرغت للكتابة، ففتحت لها صحف مصر والعالم العربي أبوابها: النيل، اللواء، رائد النيل، المؤيد، الأهالي، أنيس الجليس، مجلة الفتاة، لسان الحال، جريدة الشام.

وكانت تكتب في جرأة وفي حيوية، فلم تتوقف عن الكتابة منذ بدأت حتى قضت نحبها في ٢٠ من صفر ١٣٣٢ هـ/ ١٩ من كانون الثاني (يناير) ١٩١٤م ودفنت بالقاهرة [(٥)].

لم تدع زينب حدثا ولا موقفا يتصل بحرية المرأة ونهضتها دون أن تبدي فيه الرأي المبني على الدراسة والرؤية الثاقبة.

وأخذت تكتب في الدفاع عن حقوق المرأة ووجوب تعليمها والنهي عن العادات السيئة، وحضها على التقدم واكتساب المعارف وما يتعلق بفضائل أخلاق النساء وما لهنّ من التأثير في العالم الإنساني. .

«الدر المنثور في طبقات ربات الخدور»

هذا اسم كتاب من أهم مؤلفاتها، ويعد موسوعة قدمت فيه ترجمات لنحو «٤٢٦» امرأة من نابغات النساء بين عربية وأعجمية، وبلغ عدد صفحاته نحو «٥٥٢» صفحة من القطع الكبير، وطبع بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥م، وتوجد من هذا الكتاب نسخة واحدة بدار الكتب المصرية في انتظار من يبعثها من مرقدها قبل أن نفقدها. . فهل نجد من يتصدى لطبع هذا الكتاب الفريد؟!

صفحات مجهولة في أدبنا الحديث: "زينب فوّاز"

(١٨٦٠-١٩١٤م)

وقد بيّنت زينب فواز دوافع تأليف هذا الكتاب بقولها في المقدمة :

«إنه لما كان علم التاريخ أحسن العلوم، وأفضل المنطوق والمفهوم، كثرت رجاله، واتسع نطاقه، وانتشرت في الخافقين صحفه وأوراقه، لأن أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الأدب، وتفلسفوا في العلوم على كل لسان، وخاضوا في بحر تاريخ كل زمان، وكل متكلم منهم أفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار تاريخ المتقدمين، واختيار أهم المشهورين من السالفين، وبعضهم ألف المطولات في ذلك حتى احتاجت إلى اختصار. ولم أر في كل ذلك من تطرف، وأفرد لنصف العالم الإنساني بابا للغة العربية جمع فيه من اشتهرن بالفضائل وتنزهن عن الرذائل، مع أنهن نبغ منهن جملة سيدات، لهن من المؤلفات ما حاكين بها أعظم العلماء، وعارضن فحول الشعراء، فلحقتني الحمية والغيرة النوعية على تأليف سِفْرٍ يسفر عن محيا فضائل ذواتِ الفضائل من الأنسات والعقائل، وجمع شتات تراجمهن بقدر ما يصل إليه الإمكان، وإيراد أخبارهن من كل زمان ومكان. ولما كانت هذه الطريقة صعبة المسالك تعسر على كل سالك، خصوصا على من كانت مثلي ذات حجاب، ومتنقبة من المنعة بنقاب، فقد استعنت على هذا التأليف بما جاء في التواريخ العمومية والمجلات العلمية، ووضعته على الحروف الهجائية حتى ظهر غريبا في بابه، فسيحا في رحابه، وقد سميته : «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» وجعلته خدمة لبنات نوعي بعدما أفرغت في تنقيحه وسعي، متجنبةً كل ما يؤدي إلى الملل، مختصرة عن الأسانيد والعنعنة والأمكنة والأزمنة. وقد ابتدأت في تأليفه في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٠٩ هـ/ ٧ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٩١م وقد جمعته من كتب جمة تاريخية وأدبية . . » [٦].

وقد كتبتْ تحت عنوان الكتاب تقول :

كتابي تبدّى جنةً في قصورها	**تروّح روح الفكر حور التراجم**
خدمت به جنسي اللّطيف وإنه	**لأكْرَمُ ما يُهدى لغرّ الكرائم**

وقد استقبل العلماء والأدباء كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» بحفاوة بالغة، فقرظوه على صفحات المجلات والصحف التي كانت تصدر في ذلك الحين.

يقول الأديب محمد زهران الذي قام بطبع الكتاب على نفقته :

«من أمعن فكره ونظر بنبراس عقله علم جليا أنه من أهم ما يقتنى وأنفس ما يدخر نشر المنافع العمومية، والسعي وراء الخدمة الإنسانية، فإن بها يتحقق معنى الإنسان، ويكون قد ارتقى أوج الكمال، واستحق أن يلقب بالعضو النافع لجسم الهيئة الاجتماعية، فينال الذكر الحسن والثناء الجميل . . . ولما كان كتاب الست المصونة ربة اليراع البارع، وصاحبة الذهن اللامع، نادرة العصر وغرة جبين الدهر، زينب فوّاز، المسمى بالدر المنثور في طبقات ربات الخدور فائقًا في هذا الباب، فالتزمت بطبعه على نفقتي قياما بواجب الإنسانية، ومعاونة لحضرتها على البر، ورغبة في شهرة هذا الكتاب بين ذوي الألباب لاسيما ذوات الحجاب، عسى أن يسرن سيرها، وينسجن على منوالها، فإنه وايم الحق كتاب جليل قد اشتمل على حكم جليلة، ومزايا جزيلة، بها يهتدي إلى الرشد، وتستنير سماء العقل » [٧].

أما الأديبة «عائشة التيمورية» فتقول :

هذا هو الدرُّ الذي غوّاصه	**بعزيز آيات الثنا مشمول**
دُرٌّ كدُرِّيّ زهت أنواره	**يشهد بها المعقول والمنقول**
هَنُّوا ذوات الخِدْرِ بالفوزِ الذي	**يعلو على سُحُبِ البَهَا وَيَطُولُ**
طبقاتِ منشور بَريقُ ضيائها	**كشعاع شمسٍ بالسُّهَا موصولُ**
لله دَرُّ طباق زينب أصبحت	**بدرا له بين الأنام هلول**
فعلى العفيفات الثناءُ لفضلها	**ما جُدِّدتْ في العالمين فضول**

مؤلفاتها الأخرى

تعد «زينب فوّاز» من أوائل كاتبات القصة العربية الحديثة؛ فقد سبقت «لبيبة هاشم» في كتابة القصة فلها من القصص :

«حُسْن العواقب» و «الهوى والوفاء» و «الملك قورش» وفي مجال الإصلاح الاجتماعي ومحاربة البدع والخرافات وضعت كتاب : «كشف الإزار عن مُخَبَّآت الزار» و «الرسائل الزينبية»، وفيها هاجمت الزار ودعاته الذين ينتشرون تحت جلبات التقوى، متخذين كلمة التوحيد شعارًا لاقتناص أموال عباد الله، مستحوذين على عقول أولي السذاجة والبساطة. وهي لا تتناول هذه المسائل تناولا إنشائيا بل يذهب إلى حد المراجعات العلمية في حدودها المحدودة إذ ذاك.

وكانت تنوي أن تترجم للرجال في كتاب شبيه بكتابها الدر المنثور تحت عنوان «مدارك الكمال في تراجم الرجال» ولكن المرض حال دون إتمامها ذلك؛ حيث تقول في رسالتها إلى أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان :

«كثر المرض العصبي، وقد أتعبني هذا المرض جدا حتى إنني في مسافة تحرير هذا الجواب أتتني النوبة مرتين، وقد عطلتني عن إتمام تأليف كتاب (مدارك الكمال في تراجم الرجال) » [٩].

«زينب فوّاز» وحقوق المرأة

دخلت "زينب فوّاز" في مساجلات ومعارك فكرية مع الكُتّاب والكاتبات، فهي تقول للكاتبة «منى كوراني» :

«علينا أن لا نميل مع الهوى ولا نسير مع الغرض ولا ننطق إلا بالحقّ فغايتنا المنفعة العامة لبنات جنسنا، والقصد منه خدمة العلم والأدب، وهي خدمة نباهي بها مفتخرَات، ونجاري بها معتزّات، ولا تأخذنا في الحق لومةُ لائم، ولا نقول إلا بعد العلم والبحث في الأمور. فماذا عن المرأة لو شمرت عن ساعد الجد لتنشط النوع النسائي عوضا عن التعنيف والتبكيت والتنكيت؟ وإذا أقامت منا ذات غيرة ونشاط وحمية (تقصد نفسها) كتفنا يديها عن العمل وأوثقنا قدمي مساعيها عن المسيرة في طريق النجاح» [١٠].

وكانت تسخر من الكتاب الذين يقللون من شأن المرأة، فتكتب إلى الذي

سخر من توقيعها : «حاملة لواء العدل» حيث مضى يردد كلمة حاملة في مجال التهكم، قالت :

أولست رسطـاليس إن ذُكِـر الفـلاسفـة الأكـابـر
وأبـو حنيفـة سـاقـط في الـرأي حين تكـون حـاضر
وكـذاك إن ذكـر الخليـل فأنت نحـويّ وشـاعـر

كما اهتمت بمراسلة العاملات في مجال النهضة النسائية في كل مكان. واهتمت بالقسم النسائي في معرض شيكاغو وأرسلت إلى رئيسته كتابها الدر المنثور، وجرت بينهما مناقشة عن العوامل التي تمنعها من حضور المعرض، وهل دينها وهو الإسلام يحول دون ذلك ؟ فردت زينب بأن الإسلام ليس حائلا دون ذلك وأن تعاليمه تعطي للمرأة حقوقا لم تعطها لها أيّة حضارة عرفتها البشرية. كما نادت المصريين للتبرع في مجاعة الجزائر عام ١٨٩٢م كما ردت على مسيو هانوتو في هجومه على الإسلام.

شعرها

وكانت تقرض الشعر ولكنه قليل، وكان من الشعر التقليدي تستعيد به ذكريات صباها في قلعة تبنين في جبل عامل، تقول :

يـا أيها الصَّرحُ إن الـدمع منهمـر فهل تعيد لنا يـا دهـرُ مَنْ رحلوا
وهل بقي فيك من ينعي معي فئـة هم المقـاديم في يـوم الـوغى الأوّلُ
قـد كنتَ للدهـر نـوراً يستضاء بـه أخنى عليكَ البِلى يـا أيها الطلل

وتقول :

للشرق فضل في البريـة إنـه يأتي الـوجـود بكل حسنٍ معجب
والغـرب أظلم مـا يكـون لأننـا نشقى بغـرقـة شمسِنـا في المغـرب

ولها شعر في الغزل، ويقال : إن لها ديوان شعر فيه منظومات لها.

وكانت الصحف تتلقى كتاباتها بالتقدير والاحترام وتقدم لها بعبارات الترحيب.

هذا نموذج من نسائنا عاشت في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فهل لنسائنا وبناتنا أن يتأسين بمثل هذا النموذج الباهر ونحن في سنوات هذا القرن الأخيرة ؟!

أولا يدعو جهاد "زينب فوّاز" إلى إحياء ذكراها ومعاودة البحث في آثارها؟! بلى وإنها لدعوة حق.

الهوامش

١ ـ خير الدين الزركلي : الأعلام ـ جـ ٣ ـ ص٦٧ ـ الطبعة السابعة ـ مايو ١٩٨٦ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

عمر رضا كحالة : أعلام النساء ـ ص ٢ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

٢ ـ أنور الجندي : صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ـ ص ٣٥٨ ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩ م ـ مكتبة الأنجلو المصرية.

٣ ـ المرجع السابق ص ٣٥٨.

٤ ـ الزركلي وكحالة ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧، ص ٨٢.

٥ ـ المرجع السابق.

٦ ـ زينب فواز : الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ـ ص ٥ـ٦، الطبعة الأولى ـ ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م ـ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر.

٧ ـ المرجع السابق ص ٢.

٨ ـ المرجع السابق ص ٣٢٢.

٩ ـ أنور الجندي : مرجع سابق ـ ص ٣٤٩.

١٠ ـ عمر رضا كحالة : مرجع سابق ـ ص ٨٤، ٨٥.

يا ربُّ

شعر : رفعت عبدالوهاب المرصفي

يـاربُّ مـا لي في المدى إلاّكـا وأنـا المُتيّـمُ في رحـاب هَـواكـا
سكن اللسـان بـذكـر اِسمك وانتشى خفقُ الفـؤاد وذاب في نجـواكـا
والنفسُ عـاشت في نعيم صفـائهـا لمّا اطمأنتْ تحت عِـز سماكـا
ربّـاهُ. . . هـاجتْ في الحيـاة ظـلائمٌ فـامنُنْ علينـا من فيـوض ضِيَـاكـا
دربُ الـوجـودِ بغير هـدْيِكَ محنـةٌ كيف الحيـاةُ إذا الفـؤاد عصَـاكـا؟
إنّي ارتميت ببـاب عفْـوك لائذًا فـارفُقْ بقلبٍ لا يـروم سِـوَاكـا
عظمَتْ ذنـوبي واستبـاحت فِطْـرتى فـاحْمِل ثقـالى فـوق متْنِ حِماكـا
يـا ربُّ مـا لى بـالخلائِق حـاجـةٌ أنتَ الكـريم وفي الصّعـاب أراكـا
فـإذا غـرقـتُ فليس لي منْ مُنقـذٍ أنتَ المغيث إذا الغَـريق دعَـاكـا
إنّي اعتصمتُ بحِصْن عفـوك طـائعًـا فـافتَـحْ رِحَـاب العفـو كي ألقـاكـا

مستقبل الكتاب في عصر التلفاز

عيسى فتوح

كثيرًا ما يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال : هل يمكن أن نؤسس ثقافة حقيقية واسعة وخصبة بواسطة الأدوات الخطابية؟ وفي الجواب نقول : إن السينما والراديو والتلفزيون لا تكفي لبناء هذه الثقافة المنشودة، وستظل الكتابة والطباعة هما الأداة الوحيدة لنشر المعرفة.

إن انتقادنا للسينما والراديو والتلفزيون كأدوات للثقافة مردّه إلى ما في برامجها وطرقها الفنية من رداءة، لكننا لا يمكن أن نغفل في الوقت نفسه الأشياء الرائعة التي تقدمها الشاشة من حين لآخر، ويقوم بها ممثلون بارعون.

علّة الشاشة والراديو أنهما لا يعيدان ولا يكرران أي شيء يصدر عنهما، والنفس الإنسانية التي هي عرضة للشرود والذهول، لا يمكنها المتابعة الدقيقة، بل إنها في حاجة دائمة إلى الرجوع إلى الموضوع والعناصر، وإلى الحجج التي يتناولها العرض أو المناقشة، فالقارئ يقف من حين لآخر ليفكر ويستعيد ما قرأ مرة ثانية ورابعة وعاشرة، وهذه الطريقة لا تتفق وفنون الحركة.

عندما نسمع سيمفونية، أو نشاهد تمثيل مسرحية، لا نستطيع أن نعود إليها، في حين يمكّننا الكتاب من التفكير تفكيرًا ضروريًّا، فإذا كان الكتاب جيدًا، عدنا إلى قراءته من جديد، وأنعمنا النظر في تفاصيله.

صحيح أننا نشعر بالمتعة في الحفلة الموسيقية، أو في المسرح، إلا أن الكتاب يبقى الوسيلة المفضلة للثقافة الحقيقة.

قد نرجع إلى الكتاب بعد سماع الراديو، أو بعد مشاهدة الفيلم، ولكن هذا احتمال ضعيف، ذلك لأن طبيعة الراديو الجارفة التي تشبه تدفق النهر لا تساعد على التفكير، أي على الثقافة الحقيقية، فهو والسينما يقدمان أشياء مسرفة في الكثرة، لا نشعر معها برغبة في أن نحقق أو نختبر أو نحلل، بل ولا في أن نفهم، وإنما نأخذ منها خطفًا وكيفما اتفق، فتفوتنا أشياء وأشياء، وليس هذا منهج الثقافة التي تقوم على المتابعة والتقصي والتحقيق والتدقيق.

لعل العجائز والشيوخ هم أكثر الناس اهتمامًا بالراديو، لأنهم تخلّوا عن القراءة بسبب شحّ بصرهم، وضعف قدرتهم على الانتباه، ولأن سماع الراديو لا يتطلب منهم بذل أي جهد في الانتباه والفهم والتركيز.

أذكر أن جدتي فرحت جدًّا يوم أهديتها جهاز راديو صغيرًا، فصار رفيقها الدائم، ينام معها في الفراش، ويحمل لها في كل وقت أشياء لا حصر لها، فإذا شردت عما يصدر عنه من كلام، صرخت به : قف! ارجع قليلاً إلى مسافة! نعم! أعد ما قلت الآن! لكن الآلة الصمّاء ما كانت لتقف أو تعيد، لأنها تتدفق كالسيل العرم، وتفيض كالأنهار، وماذا تحمل الأنهار؟ أليس أخلاطًا غير متجانسة، نجد فيها عادة أشياء لا ترضي أذواقنا؟

القراءة معناها الاختيار، ومن يقرأ يجب أن يعرف كيف يختار ما يقرأ. ووظيفة الاختيار ـ كما يقول الدكتور جورج ديهاميل في كتابه «دفاع عن الأدب» ـ من أولى وظائفنا الطبيعية، فالكائن الحي حي لأنه يختار، ينتقي ما يصلح لأن يكون له غذاء، أي مادة لنمو جسمه.

لكي نستمع إلى حفلة موسيقية جيدة بالراديو، لا بد لنا أن نواجه ونتحمل الكثير من الضوضاء البغيضة أو المضحكة، والبسطاء من الناس ـــ الذين هم هواة الراديو الحقيقيون، والذين هم في حاجة للثقافة، والذين أخذوا يصدفون عن الكتاب ليكتفوا بالضوضاء فقط ـ هؤلاء لا يهتمون باختيار ما يسمعون، فكأنهم يفتحون الحنفية ـــ الراديو ـــ ليشربوا على بركة الله، فيعبئون كل شيء أخلاطًا : من موسيقي فاغنر، إلى تمثيلية إذاعية، إلى محاضرة في السياسة، إلى إعلانات تجارية، إلى دقات الساعة، إلى نشرات الأخبار، إلى الموجات الشاردة، إلى . . .

وبعد، فالكتاب صديق الوحدة، وأنيس العزلة والوحشة، وصديق الإنسان الذي لا يغش، ولا يخدع، ولا يتحوّل، ولا يميل. يغذي فينا الفردية المحررة، أما الراديو فعلى العكس، يخلق فينا روح القطيع، ويصرفنا عن الوحدة والخلوة الهادئة الممتعة، ولذلك يقول لنا الدكتور «ديهاميل» : استخدموا الراديو، ولكن لا تنسوا أن تحذروه، اعتزلوا كل يوم لتقرؤوا، ولتفكروا إن أردتم أن يجد كل منكم روحه وأن يقويّها، روحه التي لا تشبهها روح أخرى.

تأملات في العقل التجريبي

بقلم: د. محمود الذوادي

لقد تعددت مسميات الكائن الإنساني منذ مَقْدَمِهِ إلى هذا الوجود. وبالتأكيد فإن ظاهرة تعدد مسمياته سوف تستمر ما بَقِي الإنسان وما تزايدت اكتشافاته لمقدراته بسبب مغامراته الدائبة في هذا الكون الرحب والمثير. فمن أسمائه المتداوَلة والمميزة لطبيعته هي أن الإنسان حيوان عاقل، فالقرآن الكريم يؤكد أن التعقل «أو العقلانية» هي مقدرة فكرية يتميز بها الإنسان من سائر كائنات هذا العالم:

﴿ ولقد كَرَّمنا بَني آدَمَ وحملْنَاهُم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثيرٍ مِمَّن خلقنا تفضيلا﴾ الإسراء ٧٠. ومن ثَـمَّ تعددت مخاطبات القرآن التي تدعو الناس إلى التدبر في مظاهر هذا الكون بواسطة التأمل العقلي على الخصوص.

أما المفكرون المسلمون فيتمثل تمجيدهم للعقل في تركيزهم على أن أحكام العقل والشرع لا ينبغي أن تَتعارض.

وبخصوص أهمية العقل لفلاسفة الإغريق وفي طبيعتهم سقراط وأفلاطون وأرسطو فالأمر لا يحتاج إلى بيان. وجاء العصر الحديث ليرفع من مكانة العقل ويعزّز منزلته على مستويات عدة، حتى ليجوز أن نطلق عليه «عصر العقلنة المتزايدة» لمختلف شؤون الإنسان ومجتمعه.

العقل التجريبي والعصور الحديث

إن عملية «العقلنة» التي تسود العصر الحديث على الخصوص تعنِي قوةَ الإنسان الفكرية التي تستند في معرفتها إلى الحواس والتجربة، والتي تنكب أساسا على البحث عن العلاقات بين الحوادث لمعرفة أسبابها وشروطها. ولقد أطلق كل من ابن خلدون والمحدثين على هذا النوع من المعرفة مصطلح **العقل التجريبي**.

لا شك أن استنارة الكائن البشري بهدى العقل التجريبي قد أثبتت إيجابيتها على مر العصور بشأن تفاعل الإنسان خاصة مع الجانب المادي من هذا العالم. فما حققه الإنسان، والإنسان الغربي على وجه الخصوص، منذ عصر النهضة على مستوى الإنجازات الحضارية يعود بالدرجة الأولى إلى العقل التجريبي الذي تزايد احتكامه إليه. فقد كان هذا العقل بالتأكيد المنار لكل من الثورة الصناعية والثورة العلمية اللتين أحدثتا انقلابا جذريا على مستوى عالمي. وبالعقل التجريبي سوف تستمر في التقدم حركتا العلوم والتصنيع في عالمنا هذا.

ضيق رؤية العقل التجريبي

ومع ذلك فإن الاتكال على العقل التجريبي وحده هو عملية لا تخلو من مخاطر. ومن ثَـمَّ يمكن القول أن اللجوء إلى العقل التجريبي هي عملية ذات طبيعة جدلية. فقد أظهرت الدراسات للحضارات الإنسانية أن الاستناد إلى العقل وحده بشكل عام، والعقل التجريبي بالخصوص، طالما وجه مصير تطور تلك الحضارات وجهةً تغلب عليها المادة. وخير مثال على ذلك في العصر الحديث ملامح الحضارة الغربية التي توسع فيها تأثير العقلنة في ميادين شتى لم تشهدها أية حضارة أخرى سابقة. ولا ينبغي أن يكون اقتران استعمال سلطة العقل بانتشار المادية في تركيبة الحضارات أمرًا غريبًا، فالمجالات المادية من هذا الكون هي التي أثبت فيها العقل البشري أكبر تَفَوُّقَاتِهِ. أما محاولة الإنسان عقلنة بعض الميادين الأخرى كما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) فتبقى عملية فكرية مشكوكًا في إيجابياتها. ولقد نبه كل من الغزالي وابن خلدون إلى مغبة الاتكال على العقل فقط في هذه الأمور الغيبية (الميتافيزيقيا). ومن ثَـمَّ جاء هجومهما المعروف على ميتافيزيقيا الفلسفة. وبسبب ذلك أضاف ابن خلدون ما سماه **ببعد النفس** كمستوى ثان (بعد العقل التجريبي) يمكن أن يساعد الإنسان على تفسير ما لا يقدر على تفسيره البعد العقلي التجريبي. ويُعرّف صاحب المقدمة البعد النفسي «بالجوهر الروحاني المستعد بطبعه للانسلاخ من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الأوقات وفي لمحة من اللمحات» بهذه العملية النفسية الروحية يرى ابن خلدون أنه يمكن للإنسان أن يكسب على نحو من الأنحاء «المعارف العلمية الغيبية».

قضية المعرفة

لا شك أن العقل التجريبي هو أداة المعرفة العلمية في الحضارة الغربية المعاصرة على الخصوص. ويدّعي العقل التجريبي أنه يتسم بالموضوعية والحياد في بحوثه والنظريات والمفاهيم التي يتوصل إليها. ويبدو أن هذا غير ممكن. فلقد أثبتت البحوث الحديثة في طبيعة الظاهرة العلمية، وأجمع معظمها على أن التحيز أو عدم الدقة هي سماتُ القوانين والنظريات العلمية التي أنتجها العقل التجريبي. وأدى هذا التقييم للعقل التجريبي إلى تعديلات مهمة في مفهومه ودلالاته، فمبدأ الحتمية Determinism لم يَعُد يُؤخذ به حتى في العلوم المسماة بالدقيقة. وهكذا يميل العلماء أكثر فأكثر إلى الإيمان بمبدأ اللاحتمية Inderminism بدلا من مبدأ «الحتمية»، الأمر الذي سوف يُخَلِّصُ رؤية هذه العلوم من ضيق النظرة التي اتصفت بها عندما كان مبدأ الحتمية مبدأً يكاد يكون مقدسا. ولعل أكبر نقد يوجه إلى العقل التجريبي الغربي هو أنه يحصر ـ من جهة ـ المعرفة الإنسانية في تلك المعرفة

التي يحصل عليها عن طريق التجربة والحسّ.

ومن جهة أُخرى يضرب عرض الحائط بأي نوع آخر من المعارف الإنسانية. ومن ثَمَّ فمفهوم العقل التجريبي للعلم يختلف كثيرا عن المفهوم الإسلامي له فالمنظور الإسلامي للمعرفة العلمية متعدد المصادر. وطرائق النظرية الدلالية (لابستمولجية) الإسلامية تولي اهتمامًا لكل التجارب والواقع وتُشجع على استعمال العديد من الطرق، لا طريق واحد لدراسة الطبيعة. فمفهوم العلم في الإسلام يشمل تقريبا كل نوع من أنواع المعرفة: من المعرفة المبنية على الملاحظة المحضة إلى تلك التي تهتم بالفلسفة والغيبيات (الميتافيزيقيا). فالعلم في الإسلام يُمكن إذن اكتسابه عن طريق الوحي والعقل والملاحظة والحدس والعرف والتأملات النظرية الصرفة.

في السلوك الاجتماعي

إن مفهوم العقل التجريبي الذي ساد منطقة الحضارة الغربية منذ مجيء الثورتين العلمية والصناعية على الخصوص كان لا بد أن يؤثر في السلوك الفردي والجماعي للمجتمعات الغربية الحديثة.

إذ إن الكائن البشري وحدة: فكرٌ وسلوكٌ وعملٌ. فالتفكير العقلي التجريبي لا بد أن يكون له انعكاسات على الجانب النفسي والاجتماعي للفرد والجماعة.

فالعقل التجريبي، كإطار تفكير وفهم وتفسير مادي للظواهر، أفرز حضارة تغلب المادية على ملامحها. ولا ينبغي أن يكون ذلك الأمر عجيبًا، ومن ثَمَّ ففي رأينا لا يجوز الحديث عن أسباب سيطرة الماديات على تركيبة الحضارة الغربية دون التركيز على دور العقل التجريبي في ذلك. ويمكن اعتبار العقل التجريبي النَّسَقَ الفكري الذي لم تقتصر تأثيراته المادية على البحوث والقوانين والنظريات العلمية، وإنما امتدت وتمتد تأثيراته لتشمل المجتمع كلّه.

العقل التجريبي ورأس المال

إن العقل التجريبي ـ كما أشرنا سابقا ـ يستقي معرفته من المصادر المادية والمحسوسة ومن ثمّ فهو يُستَفَزُّ من أيّ شيء لا يوافق منطقه المادي مثل الأشياء العاطفية والمعنوية والروحية. فسلوك الإنسان الغربي إزاء المال والمكتسبات المادية بصفة عامة يبدو أنه تأثر إلى حدّ كبير بتصور العقل التجريبي، فرأس المال والمكاسب المادية أصبحت من أهم القيم التي تحرك الإنسان الغربي الحديث. فقد تمت وتتم تنشئة الأجيال الغربية على أن ما يحصل عليه الفرد من مكاسب هي ممتلكاته ينبغي استعمالها لحاجاته هو أولاً وقبل كل شيء، وهكذا نشأت من جهة **فكرة أنانية** كسب المال واستعماله، وتلاشى إلى حد كبير في الوقت نفسه **المعنى الجماعي** لاستغلال المال واستعماله من جهة أخرى.

كان يمكن لرأس المال أن يقوم بتلك الوظيفة (وظيفة التلاحم الاجتماعي) لو نُظِر إليه من طرف أفراد المجتمعات الغربية على أنه وسيلة لقضاء حاجات الأقارب والأصدقاء والمجتمع، لا وسيلة لقضاء حاجات «الأنا» فقط. لو استعمل المال وفقًا لهذه الروح الجماعية لأسهم في رفع مستوى التضامن الاجتماعي معنويا ولَزَادَ في حرارة التفاعل مع الآخرين. ولعل مثال

> ”التوازن بين الروح والمادة ينقذ البشرية من مزالق العقل التجريبي“

كبار السنّ في المجتمعات الغربية يترجم بطريقة بليغة مدى انعكاسات المفهوم **الأناني** للمال واستعماله. فكثير من هؤلاء لهم أرصدة مالية كبيرة في المصارف. وتراهم يقومون بكل الترتيبات والإجراءات مع المصارف لضمان أكبر نسبة من الربا سنويا. ورغم تراكم الأموال عندهم إلا أنه من النادر أن ترى أحدهم يدعو صديقًا أو أكثر لغداء أو عشاء، ولكن الغالب هو أن كل شخص يدفع ما يخصّه going Dutch بنفسه.

وكم يُفاجأ هؤلاء القوم عندما يقرؤون أو يسمعون أو يشاهدون خارج بلادهم الغنيَّة تصرفات تَغلب عليها روح استعمال المال الشخصي في سبيل الجماعة. فالأمثلة كثيرة في المجتمعات العربية لذلك الشخص الذي يدفع ـ رغم محدودية ماله ـ حساب أصدقائه كاملاً عند ذهابهم إلى المقهى العام مثلا. ويقوم الأصدقاء بدورهم في مناسبات أخرى بطريقة عفوية وتلقائية بالشيء نفسه. وهكذا تُعطي مثل هذه العملية التبادلية حركية للتضامن وحرارة للتواصل بين المشاركين في هذا التفاعل الاجتماعي وما يصحب ذلك من مشاعر إنسانية وعاطفية تزيد التلاحم وترفع من معنى الحياة بين كل الأطراف.

ولعلنا نتبين هنا الفرق بين العقل التجريبي الغربي من جهة والعقل الشرقي من جهة أخرى. فالأول، بسبب رؤيته المادية للأشياء أصبح لا يهتم كثيرًا بما هو غير مادي. فالروحانيات والعواطف والمشاعر ظَواهر يصعب الحديث عنها بقوالب مادية (أي تَكْمِيَّتُهَا) تقبلها روح العلم الغربي الحديث، ومن هنا جاء موقف عدم **المبالاة** أو حتى **نكران** وجود هذه الأشياء أساسا من طرف العلم التجريبي الحديث. أما العقل الشرقي فما زالت الروحانيات والعواطف والمشاعر تؤثر في تصوراته وتصرفاته رغم انتشار منطق العقل التجريبي الغربي خاصة بين الفئات الأكثر تأثرًا بالحضارة الغربية والشرق هو مهد الديانات والفلسفات الكبيرة التي عرفتها البشرية، وهي كلها نادت بأهمية القيم غير المادية كمرجع أساسي لاستقامة حياة الفرد وحياة المجتمع. والذين يخافون من مصير الحضارة الغربية المادية و«الأنانية» في الغرب والشرق إنما يرون في العقل الشرقي (الذي يؤمن بالروحانيات والماديات)النمط البديل الذي يُمكن أن يُوقِفَ انزلاق الحضارة الغربية وانزلاق الجنس البشري كله إلى كارثة الدمار والفناء.

«عقلنة» العلاقات الإنسانية

إن العقل التجريبي الغربي كنمط من التفكير والتصور الماديين لا بد أن يؤثر من قريب أو بعيد ـ كما رأينا أعلاه ـ في سلوك صاحب هذا العقل، لا بخصوص كيفية استعمال رأس المال فحسب، بل يكاد يشمل هذا التأثير كُلَّ جوانب الحياة. فتقبيل الوالدِ ولدَه الشاب، أو الصديق صديقه بعد غياب إنما يمثل سلوكا إنسانيا ذا طبيعة مشحونة بالمشاعر والعواطف النبيلة لم يفلت من قبضة العقل التجريبي، فقد عدّه مظهرا من مظاهر الشذوذ. ولاقت ظاهرة المصافحة هي

الأخـرى المصير نفسـه .

فهــذه القضــايــا التــي تمت إلى المشــاعــر الإنســانيــة ، أوثق الصـلات تُفصح عـن محاولـة الإنسان الغربي الحديث عزلَ نفسه **ماديا وعاطفيا** عن الآخـرين . ومن ثَــمَّ بـرزت ظـاهرة الأنـانيـة النرجسيـة التي صَاحَبَهَا ضمور في مستـوى حرارة درجة العـلاقات الإنسـانية والتضـامن الاجتماعي بين أفراد تلك المجتمعات وفئاتها .

ولعل نـــدرة ظــاهـــرة تقبيل الأطفـــال في المجتمعات الغربية الحديثة تكمل صورة «عَقْلَنَـةَ» حتى أبسط الأحـاسيس والاستجابـات الإنسانيـة العفـوية والبريئـة . وهكذا شمل قـانون «تبريـد» العـلاقـات الإنسـانيـة كل أصنـاف التفـاعـلات الاجتماعية بِغَضِّ النظـر عن عوامل سِنّ الشخص أو قرابته أو مكانتـه .

وقـد أدّى هـذا النمط الجديـد لتـزايـد الحيـاة «المعقلنة» في المجتمعات الصناعيـة إلى تشاؤم عالم الاجتماع الألماني مــاكس فيبر Max Weber في العشرينيـات من هـذا القـرن بخصـوص المستقبل الذي ينتظر هذه المجتمعات وأمثالها . وبعد مُضي عشرات السنين على وفـاة فيبــر نـرى أنَّ عمليـة «العقلنـة» قد ازدادت انتشـارًا وتصلّبـا في كثير من المجتمعــات الحديثـة بما فيهــا المجتمعــات غير الغـربية . وإذا كـانت بعض الأصوات في الغـرب والشرق بـدأت تبحث عن بديل للعقل التجـريبي الغربي ، عقل أكثـر توازنا بين المادة والـروح ، فقد ذهب بعضهم مثل الفيلســوف الفـرنسي روجيــه جارودي Roger Garaudy إلى اعتبار أن العقل الإسـلامي هُـو المثـال الـرئيس للتـوازن بين الـروح والمادة . وهـو في نظـر هــذا المفكـر العقل الـذي يُمكن أن ينقذ البشرية من مغبّــة العقل التجريبي الغـربي . وفي نظرنـا أن ذلك لن يتحقق دون تغيير جـذري في ميـزان القـوى على كل المستـويـات : الاقتصادية والتقنية والعلميـة والاجتماعية والثقافية بين الغـرب والشرق ؛ لأن الإطــار الفكـري لأيّــةِ حضــارة هــو جـزءٌ من كــل . ومن ثَــمَّ فإن تبـوُّأ العقل الإســلامي أو العقل الشرقي على العمــوم مكان العقل التجريبي الغــربي لا يبدو في الظروف الراهنــة أكثر من حلم ، وذلك رغم الحاجــة الملحة للبشرية لمثل ذلك العقل الذي تـوازن فيه الماديات والروحانيات .

قصة قصيرة

انتظار..!



«مهداة إلى كل طفل جائع !»

محمد عبيد محمد - مصر

تعلق فـم الطفل بثـــدي أمـــه يمتص اللاشيء ، يتركه ويعود إليه ، جدائل شعرها الخشن المضفور تدلت فـوق وجههـــا الأسـود ، تجاورت مع حلقة دائرية نحاسيـة بخرزات ملونة تتدلى من أنفها .

اصطدم بها طفل يطوق بساعديه آنية طعام فـارغة ، يتبعه آخر أصـابه قراع في رأسه صنع فراغًا مستديرًا بين شعـره القصير ، وثـالث تغطي كتفه العارية دمامل متقيحة .

انتظم أكبرهـم بين الـــواقفين ، وتراجع الصغيران عائدين إلى جدتهما العجوز ، جاء صوت واهن .

ـ متى نصل إلى كيس (جـوال) الأرز ؟ !

يترنح الرتل (الطابور) الطويل .

يحتج طفلهـا مـن اصطـــــدام المتزاحمين بـرأسه ، وينشغل بمنـاوشة طفلة قريبة !

تتأمل عجـوز حبات أرز فـازت بها ، تضغط بقوة على طبقها المصنوع من سعف النخيل وتمضي إلى موقدها المنتظر .

تتــزاحم الأيـدي كلما تنــاقص الكيس (الجوال) .

صوت أجش يأمرهم بالجلوس ، فيجلسون صاغرين !

يسيل لعـاب الأطفال ، يلعقـون أصــابعهـم استعــدادًا للـــوجبــة «الكسروية القيصرية» .

يتقدم الـرتل (الطابـور) الجالس على الأرض ببطء كسلحفاة !

يغـرس الطفل أسنانـه الحادة في حلمة الثدي ، تتوجع الأم ، وتسكت !

بسطت الشابة التي أمامها قطعة من ثـوب قديم لتحصل على مكيـال من الأرز ، يـــدفع الـرجـل الكيس (الجوال) ليملأ المكيال ، تأخذ نصفه راضيـــة وتمشي إلى حيث تتجمع أسر الــلاجئين غير مصدقــة أنها تحمل نصيب أسرتها ، تستعطف الأم الرجل لينفض لها مــا تبقى في قعــر الكيس وبين ثنــايــاه ، يستجيـب الــرجل الغـــريب بسرواله الأنيق وقميصــه الحريري !

وأصوات جالسين تلاحقه .

ـ أين نصيبنا ؟ !

ويأتي الجواب المر :

ـ انتظروا ، الكيـس في الـطـريق إليكم !

تولستوي
عملاق سبق عصره
بقلم: أنور جعفر

في منتصف القرن التاسع عشر ذاع اسم ليو تولستوي في الأوساط الأدبية الروسية في سانت بطرسبورج ودوى دويًّا هائلاً على إثر صدور أمر القيصر نيقولا الأول بترجمة قصصه عن سيباستيبول إلى اللغة الفرنسية وسحب كاتبها الضابط الشاب من الجبهة فورًا حفاظًا على عبقريته الفذة .

وما هي إلا أشهر قلائل حتى وصل تولستوي إلى العاصمة التي كانت متشوقة لرؤية ذلك الكاتب الشاب الذي أمر القيصر بسحبه من الجبهة فورًا ، فتلقاه تورجنيف الذي قال عن قصص سيباستيبول «كانت الدموع تنهمر من عيني وأنا أقرؤها» كما تلقاه نيكراسوف الشاعر الكبير وغيرهما من أدباء عصره بالحفاوة اللائقة بشاب متعدد المواهب ينتظره مستقبل مرموق في دنيا الأدب .



ولكن تولستوي الفلاح الأرستقراطي الذي أخذ يغشي الأوساط الأدبية والاجتماعية وهو يختال في بزته الأنيقة ، تحوطه هالة من المجد الحربي والصيت الأدبي الذائع ، لم يشعر - على عكس ما كان متوقعًا - بميل شديد نحو أدباء العاصمة ، إذ أثارته سطحيتهم الشديدة وعجرفتهم الوقحة ، وأغاظه نفاقهم اللزج ، لذا لم يستطع بحكم نشأته وطبيعته الصريحة الواضحة أن يقيم أي نوع من العلاقات الطيبة معهم ، ولا سيما **تورجنيف** الذي قال عنه يومًا بعد لقاء في أحد المنتديات الأدبية : « لم أقابل في حياتي أبدًا ما هو أكثر إرباكا من نظرة تولستوي الفضولية المتسائلة التي تصاحبها بضع كلمات لاذعة تدفع بالمرء إلى الجنون» .

لم تكن قصص تولستوي عن سيباستيبول التي أثارت تلك الموجة العاتية من الإطراء والإعجاب، وجلبت لكاتبها الشاب كل تلك الشهرة الواسعة هي أول أعماله الأدبية ، فقد سبقتها «**حكايات الطفولة** » عام ١٨٥٢م و«**حكايات الصبا**» عام ١٨٥٤م، التي نشرها في مجلة **سيفريمانيك** أي المعاصر، وكانت آنذاك من أشهر وأكبر المجلات الأدبية الروسية وكان يرأس تحريرها **نيكراسوف** الذي ما إن أخذ يطالع المخطوطات الذي وصلته من **القوقاز** بتوقيع شاب مجهول يدعى **ليونيقولايفيتش تولستوي** حتى اكتشف أن وراء سطور هذه الحكايات عبقرية فذة تستحق التقدير، فأمر بنشرها على الفور دون سابق معرفة بكاتبها ، وكانت نظرة صائبة في محلها ، إذ سرعان ما لفتت حكايات الطفولة ثم الصبا بعدها الأنظار إلى تولستوي، ونالت إعجاب النقاد

والقراء على السواء، بما حوته من وصف نفسي صادق لمشاعر الطفولة والصبا» . وبما تضمنته من آراء وتعليقات لاذعة لا تخلو من السخرية من المفاهيم التي كانت سائدة في بيئته وعصره.

ثم جاءت قصص سيباستيبول التي اعتنى فيها بوصف المدافعين عن المدينة المحاصرة وتحليل مشاعر أهلها وإبراز نواحي البطولة والشجاعة والبسالة فيهم، بلغة سلسلة قوية، وتصوير صادق أتّخذ بعُدَ فيه كل البعد عن ذلك التصوير الرومانسي الذي كان سائدًا في أدب تلك الفترة، لتؤكد للنقاد والقراء بل والأدباء أصالة تولستوي وموهبته الفريدة الفذة، ولتوطد دعائم شهرته الأدبية الصاعدة.

شخصيته

ولد ليو تولستوي في قصر منيف بفاخر الرياش وسط ضيعة مترامية الأطراف بمقاطعة **تولا** جنوبي **موسكو** عام ١٨٢٨م، وكان رابع الأبناء الخمسة لأميرة روسية وارثة رفيعة المقام وأب من النبلاء الروس يحمل لقب كونت.

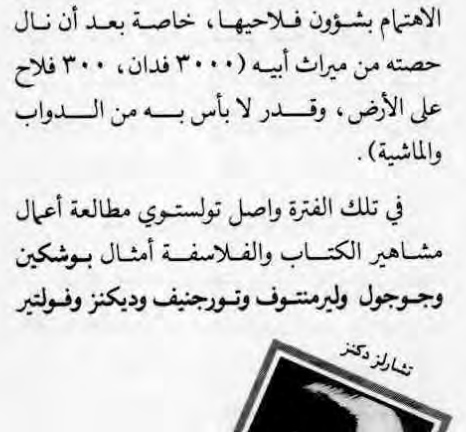
كان يمكن لهذا الفتى الذي ولد في فمه ملعقة من ذهب، منتميا إلى طبقة قلما أنجبت كُتابًا مرموقين، أن يركن لحياة الدعة والفراغ والكسل، ولكن تولستوي الذي كان قد فقد أبويه وهو دون التاسعة من عمره، فطن مبكرًا جدًا وبطريقة عملية إلى أن الحياة ما هي إلا سلسلة من الكوارث والنكبات وأنها يجب أن تواجه بالجد والصرامة.

والغريب في الأمر أن تولستوي كان في صغره من أشد التلاميذ تخلفًا في دراسته، غريب الأطوار، منطويًا على نفسه، محبًّا للعزلة، شغوفًا بالمطالعة الحرة، كارهًا لصحبة لداته وأقرانه أو اللعب معهم، وكثيرًا ما كان يُضبط منزويًا في أحد أركان القصر الكبير مع مجلد ضخم من مجلدات مكتبة والده « **ألف ليلة وليلة** » أو متفيئا ظل دوحة ضخمة مستسلمًا لأحلام اليقظة أو غارقًا في تأملاته وأفكاره الخاصة.

كان الباعث الأكبر على تعاسته تلك وغرابة أطواره إحساسه الدفين بدمامته، إذ كان ضئيل الجسم لا يلفت النظر، عيناه صغيرتان غائرتان، وجبينه منخفض، وأنفه ضخم محمر على الدوام، وأذناه كبيرتان، حتى إنه قال عن نفسه : «مرت بي لحظات اجتاحني فيها اليأس، تصورت أنه لا يمكن أن ينعم بالسعادة على وجه الأرض شخص له مثل هذا الأنف المفلطح، وهاتان الشفتان الغليظتان، وهاتان العينان الرماديتان الضيقتان اللتان أملكهما، وقد سألت الله أن يقوم بمعجزة فيجعلني وسيمًا، وكنت على استعداد لأن أتخلى عن كل ما أملكه وقتئذ وكل ما قد أملكه في المستقبل مقابل وجه وسيم» . ورغم كل هذا الإحساس الحاد بدمامته اعتبر تولستوي فترة الطفولة من أسعد فترات حياته، ووصفها بفترة «البراءة والسرور والحبور والشاعرية».

وفي عام ١٨٤٤ م التحق تولستوي **بجامعة قازان**، حاول في البداية دراسة اللغة العربية والتركية وآدابها، ثم تحول إلى القانون، ولكنه فشل في مواصلة الدراسة بالجامعة بعد أن أصابه الضيق من مناهجها وطلابها وأساتذتها فعاد إلى ضيعته دون أن ينال أي شهادة منها، وعكف على الاهتمام بشؤون فلاحيها، خاصة بعد أن نال حصته من ميراث أبيه (٣٠٠٠ فدان، ٣٠٠ فلاح على الأرض، وقدر لا بأس به من الدواب والماشية).

في تلك الفترة واصل تولستوي مطالعة أعمال مشاهير الكتاب والفلاسفة أمثال **بوشكين وجوجول وليرمنتوف وتورجنيف وديكنز وفولتير** **وغيرهم**، ثم اكتشف **جان جاك روسو** وأعجب به كل الإعجاب حتى إنه اتخذ من صورته قلادة علقها على صدره، وكان هذا الاكتشاف هو الدعامة الكبرى التي شجعته على مواجهة الحياة من جديد وأعادت إليه الاتزان النفسي الذي كان في أمس الحاجة إليه.



ثم تأتي بعد ذلك فترة أطلق فيها العنان لغرائزه، وهي الفترة التي كان فيها ثراؤه الواسع وشبابه الغض يزينان له الاغتراف من مسرات الحياة وملذاتها، والتي وصفها بأنها كانت حياة شريرة قذرة « كنت شابًا وكانت لي أهواء، وقد وقفت وحيدًا لا معين لي في طلب الفضيلة، وكنت كلما حاولت أن أعبر عن نزوع قلبي إلى الحياة الفاضلة، أقابل بالسخرية وضحك الزراية، ولكن حينما كنت أستسلم لأحط الأهواء كنت أشَجَّع وأمتدح، ولا أستطيع أن أستعيد ذكريات تلك السنوات دون أن يخالجني إحساس مؤلم بالاستفظاع والتقزز».

ويسافر تولستوي بصحبة شقيقه نيقولا الذي كان ضابطًا بالجيش في رحلة إلى القوقاز، وبمعونة شقيقه يتمكن من الالتحاق هو الأخير بالجيش، وتتيح له الجندية جولات ممتعة في ربوع تلك البقاع الساحرة، فتستيقظ نفسه ويثوب إلى رشده ويعكف على القراءة والكتابة، وقد استقر عزمه على أن يصبح كاتبًا . وبالفعل تمكن وهو في القوقاز من كتابة « **حكايات الطفولة والصبا** »، ودوّن العديد من الملاحظات التي كانت أساسًا لروايته « **القوزاق** ».

ومن القوقاز ينتقل تولستوي إلى شبه جزيرة القرم فيصل إلى سيباستيبول في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٨٥٤ م، وفي عام ١٨٥٥م تحاصر القوات **التركية** بمساندة إنجلترا **وفرنسا** المدينة حصارًا شديدًا، ويشهد تولستوي بعينيه ويلات الحرب، ويلمس الدمار والخراب ويذوق مرارة الحصار، ويقوم بأعمال في غاية **الخطورة** لمدة ستة أسابيع في خطوط النار الأمامية كان يتوقع خلالها الموت في كل لحظة، إلا أنها عين الفنان الراصدة وذاكرته الواعية المدققة كانتا تلتقطان الكثير كل يوم رغم الأخطار المحدقة به من كل جانب، وكانت هذه المشاهدات هي الدعامة الأساسية التي قامت عليها قصص سيباستيبول، ثم فيما بعد رائعته الفذة « **الحرب والسلام** ».

تولستوي الروائي

وفي سنة ١٨٥٧م استقال تولستوي من خدمة الجيش، وقام برحلة في السنة ذاتها إلى أوربا عاد منها ناقمًا مستهجنًا لمظاهر الحضارة الغربية

ويستقر تولستوي في قريته **ياسنايا بوليانا** وقبل منصبًا قضائيا أنشئ بمقتضى قانون تحرير



الرقيق، وأنشأ مدرسة لتعليم أبناء الفلاحين، وأصدر صحيفة يومية لترويج آرائه التربوية. وكانت روسيا آنذاك تتجاذبها تيارات فكرية متباينة، وكان تولستوي قد بلغ حدًّا من النضج مكّنه من التأمل في مسائل كثيرة كانت تشغل باله على الدوام، وكانت شهرته ككاتب راسخ القلم قد طوت أنحاء روسيا، فالناس في كل مكان تقرأ قصصه ورواياته «**القوزاق، صباح ملاك، بوليكوشكا**، علاوة على حكايات الطفولة والصبا وقصص سيباستيبول وغيرها». كما كانت تناقش معتقداته الإنسانية وأفكاره المتحررة بين مؤيد ومعارض، رغم أنه لم يكن قد توصل بعد إلى فكرة متكاملة تصلح لتنظيم المجتمع ككل، وتحقق ما يصبو إليه الإنسان من أمن وأمان واستقرار ورخاء، ولكنه كان مؤمنا كل الإيمان بأن الحب هو مشكاة الإنسان التي تضيء حياته وأنه بالحب يمكنه صنع المعجزات ثم فطن تولستوي إلى أن عليه أولاً أن يحقق لنفسه الاستقرار والسعادة، ففكر جديًّا في الزواج، وبعد تردد طويل وقع اختياره على ابنة أحد الأطباء وهي **صوفيا اندريفنابيرس**، وكان تولستوي في ذلك الوقت قد بلغ الرابعة والثلاثين من عمره بينما كانت عروسه في الثامنة عشرة. وبزواج تولستوي عام ١٨٦٢م بدأ عهد جديد من الاستقرار العائلي الذي مكنه من الإبداع الروائي الضخم «**الحرب والسلام**» و«**آنا كارنينا**».

الحرب والسلام

كان تولستوي في السادسة والثلاثين من عمره عندما شرع في كتابة ملحمته الكبرى «الحرب والسلام» التي انتهى منها بعد ست سنوات كاملة، زار خلالها أماكن المعارك وقرأ كل ما كتب عن حروب نابليون، فجاءت تحفة أدبية فذة وصفها بعضهم بإلياذة روسيا لما فيها من ملاحم بطولية ومآسٍ تراجيدية مفجعة، ولحجمها المفرط في الطول.

كتب تولستوي روايته «الحرب والسلام» بأسلوب قوي متدفق هادر صريح خالٍ من الزخرف «إن كذبة واحدة في الفن كفيلة بأن تفسد كل شيء». لذا اتصفت بالحيوية الغامرة التي لا تسمح بتسرب الملل أو الفتور إلى نفس القارئ، وقد حشد تولستوي في روايته عددًا كبير من الشخصيات حتى إنه يمكن القول إن البطل الحقيقي في الرواية هو الشعب الروسي بأجمعه وليس شخصًا بعينه أو مجموعة من الشخصيات.

بعد الحرب والسلام كتب تولستوي رائعته الثانية «آنا كارنينا»، التي جاءت صورة شديدة التركيز والوضوح لواقع روسيا في سبعينيات القرن التاسع عشر، وصفها **دستويفسكي** بقوله: «إنها صورة صادقة انطوى في داخلها كل ما هو مهم في مشكلاتنا الروسية الجارية» السياسية والاجتماعية، كما لو كانت مجتمعة في نقطة واحدة».

هل كان فيلسوفًا زاهدًا؟

إن كل وصف لتولستوي عدا أنه كاتب وصف مجانب للصواب، فتولستوي ليس داعية وإن حاول أن يكونه، وليس مبشرًا أو فيلسوفا، إنه فنان حقيقي فقط، وعندما حاول أن يلبس أقنعة غير قناع الفن فشل، يتضح ذلك بجلاء من كتاباته التي حاول فيها أن يكون مبشرًا أو فيلسوفًا. ويتضح ذلك من النظر إلى ما بقي من تولستوي بعد هذا الزمن الطويل.

لقد مرت حياة تولستوي بعد انتهائه من **رواية «آنا كارنينا»** بمرحلتين، ساد الأولى الشعورُ اللاذع باليأس والقنوط، وكانت هزة روحية شديدة أسلمته إلى لحظات من الحيرة والشلل والضياع والكآبة. والثانية هي التي حاول فيها أن يصوغ أفكاره في مذهب متكامل يهدف إلى عدم العنف والمقاومة السلبية للظلم وفعل الصواب والخير وحب البشر أجمعين.

وقد روى تولستوي أحاسيسه كاملة في كتابه «**اعتراف**» ١٨٨٢م، ثم في «**مذكرات مجنون**» عام ١٨٨٤م. وأوضح فكره في كتابه «**هذا ما أومن به**».

ورافق تحوله هذا إنتاج غزير في «**الأب سيرجيوس**» «**البطاقة المزورة**» «**حاجي مراد**» وبعض المسرحيات مثل «**سلطان الظلام**» و «**ثمار التنوير**».

ولكن وسط هذا الإنتاج جاءت «البعث» كمنشور ملتهب يندد بالنظام الاجتماعي القائم ويهاجم التعسف والاستبداد القيصري.

كان تولستوي قد أصبح شخصية عالمية، داخل روسيا وخارجها، ويقرن تولستوي الفكر بالعمل، فيرتدي زي الفلاحين ويشاركهم أعمالهم وأطعمتهم ويهجر تناول اللحوم، ويزاول بعض الأعمال اليدوية ويبدأ الشقاق بينه وبين زوجته وأولاده، وتزداد بمرور الأيام المشاحنات بينه وبين زوجته، ويأخذ أولاده في مضايقته ووضع العراقيل أمامه لإجباره على التراجع عن أفكاره المتحررة، ولا يحتمل تولستوي المزيد فيهرب تحت جنح الظلام ترافقه ابنته ألكسندرا وطبيبه الخاص في رحلة بالقطار بلا غاية، ولا تحتمل صحته مشاق السفر ويصاب بالتهاب رئوي حاد.

وفي إحدى محطات السكك الحديدية، في قرية صغيرة «**استابوفو**» يلفظ تولستوي آخر أنفاسه بغرفة ناظر محطتها في الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠م.

ويطير الخبر إلى جميع أنحاء روسيا وإلى عواصم العالم، وتحتشد المحطة القروية الصغيرة خلال أربع وعشرين ساعة بممثلي الحكومة والصحافة المحلية والعالمية، وينقل تولستوي وسط وهج الشهرة الهائلة إلى قريته «**ياسنايا بولنايا**» ليدفن هناك تحت تلك الدوحة الوارفة الظلال التي كثيرًا ما كان يجلس تحتها متأملاً أحوال البشر.

المراجع

(١) د. مكارم الغمري ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر عالم المعرفة ـ الكويت ـ العدد ٤٠.

(٢) سومرست موم ـ عشر روايات خالدة ـ ترجمة سيد جاد وسعيد عبد المحسن ـ المعارف ـ القاهرة.

(٣) جورج لوكاش ـ دراسات في الواقعية الأوربية ـ ترجمة أمير إسكندر ـ القاهرة.

(٤) تولستوي ـ الطفولة والصبا ـ الحرب والسلم ـ الأعمال الكاملة.

(٥) علي أدهم ـ الحرب والسلام لتولستوي ـ تراث الإنسانية ـ القاهرة.

أدب الطفولة رؤية مستقبلية

د. صابر عبد الدايم

إن الاهتمام بأدب الطفولة في مجتمعنا العربي والإسلامي يجب أن لا ينفصل عن الاهتمام بتكوين الطفل وتنشئته تكوينا صحيحا في ظل الأصول الإسلامية والمفاهيم الأخلاقية التي حدّدها الإسلام؛ حتى ينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبع بأنفاس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهيأ لمعايشة واقع الحياة الإسلامية «سلوكًا وتعليما وتربية ومشاركة مسؤولة في ميادين الحياة العملية»، وكل كتابة للأطفال لا تنطلق من هذا المنظور فهي كتابة تفتقد الرؤية الصحيحة، وتكتفي بالتسلية الوقتية للطفل، ولا تعنى بصنع مستقبله ومستقبل أمته.

وحين نتأمل موقف الإسلام من الطفولة نعثر على ملامح الرؤية المستقبلية لا لأدب الطفل فقط، ولكن لحياة هذا الطفل المستقبلية بكل أبعادها ومكوناتها النفسية والشعورية والعقلية والحسية التي تنمي في الإنسان القدرات والمهارات المرتبطة بحركة الحياة.

فقد اهتم الإسلام بتكوين الطفل وعُنِيَ بمستقبله حتى وهو جنين. حيث حرم الإسلام إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه، ويعاقب من يسقطه بدفع الدية الشرعية وتسمى «الغرة».

وقد حكم الله عز وجل على القاتل بالخسران والسفه والضلال فقال سبحانه:

﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سَفَهًا بغير علمٍ وحرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلّوا وما كانوا مُهتدين ﴾ الأنعام ١٤٠.

وقال سبحانه: ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ نحنُ نرزقهم وإياكم إنّ قتلهم كان خِطئًا كبيرًا ﴾ الإسراء ٣١.

وقد هيأ التشريع الإسلامي للجنين كل سبل الرعاية والعناية، وهيّأ مَنْ حوله للحفاظ على هذه الحقوق يقول تعالى:

﴿ وإنْ كُنّ أُولَاتِ حَمْلٍ فأنفقوا عليهنّ حتّى يَضَعْنَ حَمْلَهنّ ﴾ الطلاق ٦.

ورعاية من الدين الإسلامي للجنين نجد أن الحق سبحانه وتعالى وضع عن «الحبلى» الفرائض والقربات إذا كان في هذه الطاعات إضرار للجنين أو الطفل بعد الولادة، فوضع عن الحبلى والمرضع الصوم ـ ولو كان صوم فريضة ـ إن كان ذلك يؤذي الجنين أو الطفل أو الأم، وجعل قضاءه بعد زوال السبب؛ وينبه المصطفى ــ عليه السلام ــ إلى ضرورة الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة؛ حرصًا على مستقبل الطفل ونشأته فيقول عليه السلام: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس»، فهل هناك حرص على مستقبل الطفل وحياته أعظم من هذا التوجيه النبوي الراشد [١].

وعناية من الإسلام بمستقبل الطفل أمر الآباء بحسن رعاية أبنائهم، والقيام على تربيتهم وفق مفاهيم الإسلام؛ وأرشد الآباء إلى ضرورة إكساب الطفل المهارات والقدرات التي تجعل منه رجلا قويا ثابتا متزنا في مستقبله وفي عهد الشباب والفتوة، وكان المصطفى ـ عليه السلام ـ هو القدوة والنموذج في ذلك، حيث كانت طفولته في صورتها المضيئة إعدادًا لمستقبل حافل بالمسؤوليات الجسام، وللقيام بأعباء الدعوة الإسلامية، فقد أرسل إلى البادية ليتلقى اللغة العربية صافية من الشوائب واللكنات والتحريف، ويتعود على حياة الصحراء وما فيها من كفاح وتقشف وتحمل، ويتشرب تقاليدها التي تبرز قيم التآلف والمحبة والكرم، والصبر والشجاعة والجرأة، وحيث ينعكس امتداد الصحراء ورحابتها والانطلاق فيها على نفس الإنسان، وحيث يكون لكل فرد دور بناء يقوم لخدمة نفسه ومجتمعه.

ويقول «عمر بن الخطاب» علموا أولادكم السباحة والفروسية، وارووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر. ووصية «عمر» تؤكد على تنمية الذوق الأدبي والمهارات اللغوية عند الأبناء، وهذه رؤية مستقبلية لارتباط الأطفال بلغة أمتهم وتراثها، ويحرص «الفاروق عمر» على منهج الانتقاء والاختيار فيما يُرْوى للطفل المسلم (الأمثال السائرة النافعة والمفيدة والممتعة، وكذلك الشعر الحسن التربوي والأخلاقي).

ويقول هشام بن عبد الملك لمعلم ولده:

«وأول ما أوصيك به، أن تأخذه بكتاب الله، ثم أروه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من «صالح شعرهم»، وبصّر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي».

والمنهج التربوي السديد، والرؤية المستقبلية المستنيرة في هذه الوصية الرائعة تقوم على عدة أسس؛ لتكوين مستقبل الطفل المسلم نفسيا وجسديا وعقليا وشعوريا، وأدبيا وهي:

أ ـ الاتكاء على التعاليم القرآنية في المنهج السلوكي للطفل، وهذا ليس اختيارًا، ولكنه ضرورة وواجب، والنص يؤكد ذلك «أن يأخذه بكتاب الله» والأخذ هو «الإلزام بالأمر»، والقرآن دستور المسلمين، وسرّ حضارة الأمة. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على العناية بالولد ورعايته، وآيات أخر تذكر لفظ الطفل صراحة، وتنبه إلى ضرورة التكوين المستقبلي للطفل، فقد أقسم الله تعالى «بالولد والوالد» في سورة البلد، وذكر الطفل في سورة النور وسورة الحج، ومنّ على الناس أن أمدّهم بالبنين في أربع سور مباركات وهي الإسراء،

أدب الطفولة رؤية مستقبلية

والمؤمنون، ونوح والمدثر، وعدّ الأبناء زينة الحياة «الدنيا» في سورة الكهف، وهم «قرة أعين» في سورتي الفرقان والقصص»(٢).

ب ـ تقويم لسان الطفل وتبصيره بتراث العرب المضيء، والنافع المفيد من الشعر العربي وهذا مدخل صحيح لتربية ملكة التذوق الأدبي عند الناشئة وأطفال المسلمين.

جـ ـ الترحل والتنقل ومشاهدة الآثار، والاختلاط بأصحاب الخبرات الثقافية والعمرانية والتربوية من أسس أدب الطفولة، ومن أسس التكوين الوجداني المستقبلي للطفل إذ يقول «هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده : ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من «صالح شعرهم».

د ـ الحرص على التربية الدينية السوية، والسلوك الإسلامي السديد، وهذا المنهج يكون في ظل مراعاة سن الطفل، ومدركاته وحاجاته، وإشارة هشام بن عبد الملك ولفتته التربوية الدقيقة تبدو بجلاء وذكاء في قوله «وبصّر بطرف من الحلال والحرام، والخطب والمغازي».

فالهدف ليس التلقين ولكن «التبصير، والتوعية.

ومن وسائل التيسير وأدواته، «الخطب والمغازي» وهما مدخلان قويان للدخول إلى مستقبل أدب الأطفال، أبناء الإسلام، وعلماء المستقبل وقادته، ويمكن أن تُعرض خطب الأقدمين الآن في صور مشوّقة مشروحة مصحوبة بما يلائم العصر وما جد فيه من ظروف وملابسات، وكذلك أخبار «المغازي» والفتوحات الإسلامية، على امتداد التاريخ الإسلامي المشرق المجيد الزاخر بالبطولات الفريدة، رجالاً ونساء وأطفالاً.

هذا التصور السديد، وهذا الاهتمام الرشيد بالتكوين الكلي للطفل في مبادئ ديننا الحنيف، وفي ضوء سلوك علمائنا وأولي الأمر وتوجيهاتهم في الدولة الإسلامية يجعلنا أمام تأملات وتساؤلات كثيرة تحيط بواقعنا الأدبي بعامة، وبواقع أدب الطفل بخاصة في حركتنا الأدبية المعاصرة.

ولنتساءل ونحن نبحث عن ملامح مستقبلية لأدب الطفل :

أولا : كيف نكتب للطفل الآن ؟ وما سلبيات الظاهرة ؟ وما إيجابياتها ؟ وما الوسائل والأدوات المقترحة لتجاوز الأزمة :

ويندرج تحت هذا التساؤل عدة ظواهر وممارسات لا بد من إثارتها، ومعالجتها في ميدان الكتابة للطفل أو عن الطفل، وهي :

أ ـ ظاهرة قصص الأطفال بين الواقع الجميل والخيال العابث !

ب ـ ظاهرة قصص التاريخ ومحاولات تشويه الذاكرة !

جـ ـ ظاهرة قصص الخيال العلمي وحتمية تقريب الحقائق العلمية وتعميقها بأسلوب واقعي مشوّق بعيد عن الإسفاف والابتذال.

د ـ البرامج التليفزيونية وخطورة ألعاب الكرتون على التكوين الإدراكي للطفل.

ثانيا : التراث العربي والإسلامي وخصوصيته في تنمية المهارات الأدبية لدى الطفل مع ضرورة الاطلاع على جهود الأمم الأخرى في مجال ثقافة الطفل وأدب الأطفال، وهذا التراث حافل بالمادة الغزيرة التي تثري عالم الطفولة، وتسمو بخيال الأطفال وتجمل واقعهم، وتصبح بديلا عن الألعاب الكرتونية القائمة على الحيل والخُدع، والتي لا تؤدي إلا دور التسلية والمتعة الوقتية، وتسحر قلوب وعقول الأطفال بلا أية ثمرة واقعية تربوية توجههم إلى السلوك الإيجابي في الحياة، وإنما تدرب الأطفال على العنف، وعلى الحيل الخادعة، والميول العدوانية، وتتنوع هذه المادة التراثية ـ كما يقول د. نجيب الكيلاني ـ وعلى كتاب أدب الطفل أن يصوغوا من هذه المادة التراثية ما يرونه ملائما من وسائل التعبير، والمشاهد الدرامية، والبرامج الإذاعية والتليفزيونية، وهذه المادة تتكون من المنابع التراثية التي تتشكل من فيوضاتها حضارة الأمة العربية والإسلامية ؛ وهي :

١ ـ قصص الأخبار والمغازي والمثل وحكايات الأبرار والصالحين، قصص واقعي تاريخيّ، ووصية «هشام بن عبد الملك» لمؤدب ولده تشير إلى ذلك المصدر المهم.

٢ ـ ما ورد في القرآن الكريم من قصص وأمثال، وتقديم هذه القصص يتم في إطار الالتزام بالمفاهيم الإسلامية، والبعد عن التفاصيل التي لا سند لها من التاريخ، والتي حفلت بها الأناجيل، وجاءت في نصوص «التوراة» وهي نصوص بينها وبين النص الصحيح مسافات وزيادات وإضافات.

٣ ـ ما ورد في الأحاديث النبوية من قصص، وهو يحمل المغزى الإصلاحي، والتكوين الاجتماعي والنفسي.

٤ ـ قصص الفتوحات الإسلامية، وقصص الشعوب الأخرى ـ غير العربية ـ التي تم فتحها ونشر الإسلام فيها، والقصص الشعبي.

٥ ـ قصص الأسفار والتجار والرحلات.

٦ ـ بعض قصص الجن والملائكة والسحر، وتعرض في أسلوب تربوي يبصر الطفل بهذه العوالم، وينزع من نفسه الخوف التقليدي، ويطرد عنه تراكمات الأشباح والأساطير التي ترسبت في الذاكرة الجماعية والشعبية من حكايات وخرافات.

٧ ـ قصص على ألسنة الحيوانات والطيور، بل والحشرات أيضًا.

٨ ـ الأناشيد والأغاني والأشعار، ويمكن تأليف ما يناسب الطفل في مراحل عمره المختلفة، لغة، وفكرًا، وإيقاعًا وخيالاً، وسلوكًا.

٩ ـ تقديم ما يناسب الطفل من الحكم والأمثال والخطب.

١٠ ـ تقديم ما يناسب الطفل من الألغاز المفيدة «شعرًا ونثرًا»(٣).

ثالثا : التكوين الوجداني والعقلاني للطفل . . كيف ؟ وما الوسيلة إلى ذلك ؟

وهذا التكوين الذي يمثل أهم ملمح من ملامح مستقبل أدب الطفولة تتضافر في الحفاظ عليه، والإعلاء من صرحه، وتعميق قضاياه المحاور الآتية .

أ ـ ضرورة حفظ الأطفال للقرآن الكريم في سني عمرهم الأولى من سن «الرابعة» عن طريق «التلقين» أو سماع تسجيلات القراء .

ب ـ إعادة كتابة سير علماء الإسلام وقادته القدامى والمعاصرين في صيغة ميسّرة تلتزم بحقائق التاريخ، وتصب في قالب أدبي مشوّق .

جـ ـ تقديم منجزات علماء العربية والإسلام في مجال العلوم التجريبية، إلى جوار منجزات علماء الغرب والشرق في العصر الحديث . في أسلوب ميسّر، ولغة أدبية حوارية مشرقة .

د ـ إنشاء أقسام لأدب الطفل بكليات الآداب والتربية، واللغات والترجمة، واللغة العربية .

هـ ـ إنشاء مجلة متخصصة تُعْنى بأدب الطفل تنظيرا وتطبيقا ؛ لأن معظم المجلات الموجودة في الساحة بمنأى عن الصيغة الأدبية الحقيقية لأدب الطفل، وكثير منها يعتمد على الترجمة والاقتباس والتعريب، ويلجأ إلى الصبغة التجارية .

و ـ متابعة وتقويم البرامج الإذاعية والتليفزيونية التي تقدم للأطفال في جميع الدول العربية والإسلامية عن طريق هيئة متخصصة في هذا المجال تكون في كل بلد .

ز ـ متابعة ما يُنشر بالصحافة اليومية وكذلك المجلات والدوريات موجّهًا للطفل عنه، وله، ومنه، وتقويم هذا النتاج وتعديل مساره والتنبيه إلى خطورة الفاسد منه .

حـ ـ المناهج الدراسية في مراحل التعليم الأولى : الحضانة والابتدائي، والإعدادي، عليها العبء العلمي والتربوي والنفسي للتكوين الفكري والأدبي والعلمي للطفل والشاب المسلم .

وهذا يتطلب إخلاص خبراء التربية، ومشاركة كبار المبدعين لهم في تقديم المنهج الملائم بعيدا عن ترجمة النظريات والطرق والمناهج التي صيغت في بيئات لا تتفق مع مكوناتنا الروحية والنفسية والاجتماعية ؛ ويبقى الطفل جوهرة الواقع وكنز المستقبل، وهو هبة من الله العلي القدير، وأمانة في أعناقنا، حملناها طواعية وحبًّا، والمحافظة عليها واجب ديني، وخلق إنساني، وتمسك بالوجود المثمر المعطاء .

الهوامش

(١) انظر : الإسلام والطفل، د . عبد الرزاق حسين ـ إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(٢) الطفولة والأمية، د . أحمد زلط ـ سلسلة اقرأ عدد ٥٧٧ دار المعارف القاهرة .

(٣) انظر : أدب الأطفال في ضوء الإسلام، د . نجيب الكيلاني .

الشخصية الإسلامية



يعترض الشباب المسلم اليوم صراع فكري، ووجهات نظر متباينة، كالمستيقظ من النوم الذي انتبه ليجد الناس قد سبقوه، ويريد اللحاق بهم، فهم يريدون إثبات وجودهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، ويريدون الاعتزاز بهويتهم الإسلامية، ولذا يلمس المتابع لأحوال الشباب الإسلامي في كل مكان تصارع الأفكار عندهم، وسرعتهم في الاستجابة لأمور قد تضرّ بهم، وبعملهم الحماسيّ في كثير من المسائل .

ولذا يجدر بهم أن يتجملوا بالحكمة، عند بدء خطواتهم العملية ويتحلوا بالصبر في دعوتهم، بحيث يستقون من سيرة رسول الله ﷺ المثل الأعلى في العمل، ويترسّمون خطاه في المسيرة الإسلامية : لينًا وحكمة، وصبرًا وبعد نظر .

فقد مكث ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو برفق ولين، ويتحمل بصبر وأناة . من أجل تأصيل الدين، وتمكين العقيدة . ومستمرًّا في أداء الصلاة وتلاوة القرآن بين ظهراني المشركين، ممتثلاً للصبر وداعيًا أصحابه إلى حسن التحمل والتعلم، كل هذا من أجل تقوية النفوس، وتنمية الشخصية الإسلامية، لكي تستعد لتحمل رسالة الإسلام، وقيادة شعوب الأرض، وهذه المدة هي أكثر من نصف مدة مكثه في الدعوة كلها .

وبعد أن ازداد عدد المسلمين، وقويت القاعدة المستجيبة، وازداد عناد المكابرين وأذاهم للفئة المسلمة، أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، حيث هيأ الله لهم قاعدة تنطلق منها دولة الإسلام، فاجتمع فيها المسلمون من أنحاء الجزيرة، وهم الذين تأصلت فيهم الدعوة خلال ثلاثة عشر عامًا، وتمكنت من أذهانهم مفاهيم الإسلام، وتعمقوا في دلالة شرائعه . مستعينين بالصبر والصلاة وفق أمر الله تعالى .

ولذا فرض الجهاد في المدينة، وبدأ الحوار الفكري مع اليهود، والمجادلة بالتي هي أحسن، وقويت الشخصية الإسلامية : علمًا وفكرًا وفهمًا واستعدادًا للعمل .

لكن الإسلام الذي يجب أن يتفهم الشباب مبادئه ومنهجه، ويتعمقوا في تعاليمه ودلالة شرائعه يبني العقول أولاً، ويوصل التعليمات، ثم يدعو إلى العمل، ويدعو للألفة والمحبة، ويفتح الصدر للجاهل لتعليمه والغافل لتنبيهه .

د . محمد بن سعد الشويعر

د. سوسة اعتنق الإسلام عبر بوابة التاريخ



د. أحمد نسيم سوسة

قادته دراسة الفلسفة والتاريخ إلى إمعان العقل في معتقداته اليهودية الباطلة، استجابة لنداء الفطرة في داخله، وبعدما كان أهله يعدونه لأن يصير أحد المنافحين عن الحركة الصهيونية وأسطورة «شعب الله المختار» وأرض الميعاد، صار أحد أبرز الذي كشفوا تناقضات التلمود وتحريف التوراة.

إنه المؤرخ العلامة والبحاثة العراقي الدكتور أحمد نسيم سوسة، الذي شاءت إرادة الخالق - عز وجل - أن يولد لأبوين ينتميان إلى عائلة يهودية أسلم جزء منها، إلا أن نداء الحق في داخله شرح صدره للإسلام فانضمّ إلى قافلة الإيمان.

بدأ ميل د. **أحمد نسيم سوسة** إلى الدين الإسلامي حين كان يدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت، إذ شرع - للمرة الأولى - في مطالعة القرآن الكريم، فامتلكت كلمات الله التامات فؤاده، وسرت في عروقه سريان الدماء في الشرايين، وأدرك حين قرأه **لماذا يشعر اليهودي والنصراني بالارتياب نحو العديد من آيات التوراة والأناجيل، فيما لا يرتاب المسلم لحظة في القرآن الكريم**، فكل من التوراة والأناجيل كُتب في عصور تالية لنبوة موسى وعيسى عليهما السلام، وحرّف الأحبار والرهبان ما نـزّل على هذين النبيين الكريمين من كلمات، بل وتبدلت التوراة وكذا الإنجيل في أكثر من عصر، فيما احتفظ القرآن الكريم بكلماته دون تحريف أو تبديل، وصدق الله تعالى إذ يقول: **﴿ إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا لهُ لـحَافظُون ﴾** الحجر ٩.

اتجاهه لقراءة القرآن

ويحكي د. سوسة في كتابه **«في طريقي إلى الإسلام»** كيف اتجه بقلبه وفكره إلى تلاوة كتاب الله، وحقيقة الشغف الذي تملكه وهو يتلو كلمات الله التامات، يقول: **«كنت أطرب لتلاوة آيات القرآن، وكثيراً ما كنت انزوي في مصيفي تحت ظل الأشجار وعلى سفح جبال لبنان فأمكث هناك ساعات طوالا أترنم بقراءته بأعلى صوتي»**.

وعلى الرغم من انبهار د. سوسة بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، واهتمامه بالاطلاع على تفسيره إبّان فترة دراسته في بيروت إلا أنه لم يفكر جديًّا في اعتناق الإسلام إلا بعد أن قضى سنوات في أمريكا وقرأ فلسفات الأديان وتوغل في الموضوعات التاريخية والاجتماعية.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية ـ آنذاك ـ تحيا الفترة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية وتموج بالحياة الديمقراطية في أجلى بيان، وأتاح هذا الجو **للدكتور سوسة** أن يتوسع في اطلاعه ولم يصعب عليه أن يكتشف حقيقة التاريخ الزائف الذي دوّنه اليهود لأنفسهم محاولين إثبات نسب وصلة كاذبتين بأقوام وأراضٍ لم يعرفوهما بهدف تحقيق رغبات دنيوية ونزعات دينية.

كذبة أرض الميعاد

وتأمل كيف انطلت هذه الخديعة على العالم فصدقها باحثون كثر أيدوا حق اليهود في العودة إلى أرض الميعاد متناسين أن تلك الأرض مأهولة بسكانها الذين لم يكن لهم أدنى ذنب في تشتت اليهود وكراهية الغرب لهم.

لم تكن دولة الكيان الصهيوني قد قامت بعد

ـ آنـذاك ـ إلا أن إرهاصـات قيامها كـانت تلوح في الأفق بما لاقتـه الادعـاءات الصهيـونيـة من تأييـد نصارى أوربا وأمريكا، وشيوعيي شرق أوربا بهدف حصـار الـدين الإسـلامي وزرع إسفين في قلب بلدانه. ورغم أن الاكتشافات الأثرية الحديثة وكذا البحـوث التـاريخيـة قـد أثبتـت زيف ادعـاءات الصهيـونية، إلا أن قسمًا كبيرًا مـن الرأي العـام في الغرب اقتنع بها بعد أن أوردها الباحثون على النحو الذي يرضي الصهاينة تملقًـا لهم من ناحية ورغبة في التخلص من شرورهم من ناحية أخرى.

الإسلام دعوة إلى البحث

وواصل د. **سوسة** في الوقت ذاتـه قراءة القرآن الكريم، شدته إلى هذه القراءة الفطرة الصحيحة في داخلـه، ولأنـه دارس فلسفـة فقـد **أعجبته دعوة الإسلام إلى التأمل والبحث وإعمال العقل، وما قرره من مبـدأ الأخوة في الله والمسـاواة بين البشر، فوجـد نفسه غير غريب عن آيات الله المنزلة، واطمئن قلبه حين لمس أن الاستدلال العلمي يؤيـد ميله الفطري إلى الإسلام.**

وتزوج د. سـوسة من سيـدة أمريكيـة أنجب منها ولـدًا أسماه «**جميلاً**» وعـاش مع زوجته وولـده معيشة راضيـة لا يكدرها سـوى تأرجحه بين اتخاذ قراره بإعـلان إسلامـه، أو الامتناع عن هـذا القرار الذي قد يسبب له الكثير مـن المتاعب، خاصة أن تلك الحقبة شهدت نموا متـزايدًا لأعداد الملحدين واللادينيين الـذين كانوا يرون أن الالتـزام الديني لا يتنـاسب مع حريـة العصر، فكيف والدين الـذي يصبو إليه هو الإسلام الذي يتعامل معه الغرب من أفق ضيـق تعـود جـذوره إلى عصـور الحروب الصليبية؟

دهشة الأصدقاء

قال له أحد أصدقائه حين لمس رغبته في اعتناق الإسلام: «إني لأشعر بخطورة رغبتك هذه لا سيما أنها جاءت في القرن العشرين القرن الذي طغت فيه المادة وسـادت فيـه الملمـوسـات وهي بنت فكـر شخصي عـاش في بيئـة أمـريكيـة وأنـه من حملـة الدكتوراه».

لم تثن هذه المعارضة د. سوسة عن المضي قدمًا نحو اتخاذ قـراره المصيري، فسافـر إلى مصر حيث درس الأديـان في الأزهـر وتـوسع في دراسـاتـه الإسـلاميـة، ومـا لبـث أن حسم التردد وأعلن إسلامه.

كرّس د. أحمد نسيم سـوسة علمه بعـد إشهار إسلامه للدفاع عن الإسلام والرد على منتقديه، كما كـرّس جهـده لتقـديم الأدلـة على فضل الحضـارة العربيـة بعامة وحضـارة وادي الرافدين بخـاصة، وكتب في هذا الصدد عدة كتب نذكر منها: كتابه «**في طريقي إلى الإسلام**» السابق الذكر، و«**فيضانات بغداد في التاريخ**» و«**العرب واليهود في التاريخ**».

كذلـك ركز د. سـوسة في مـؤلفاتـه على تفنيد ادعاءات الحركـة الصهيونية، العـالمية من النـاحية التاريخية، ولما كان يدرك أن هذه الادعاءات تستند أساسًا إلى نصـوص زائفة دسوها دسًّا في التوراة أو العهـد القـديم كما يسميها النصـارى، فقـد اهتم بتوضيح تحريف التـوراة، مؤكـدًا أن ما هو مـوجود حاليًا من نصوص توراتية من صنع الأحبار، مشيرًا إلى أهمية أن يعمد الباحث التاريخي حين يتناول هذا الموضوع إلى تفهم **تـاريخ التوراة على حقيقتـه كيف ومتى دُوِّنَت؟ ومن قام بتدوينها؟** إلى غير ذلك من الاستفسـارات التي تعين البـاحث على استجـلاء الحق.

”

أعجبتـــه دعوة الإسلام إلى التـأمـل وإعمال العقل

“

وخـلال الفترة التي سبقت إشهـار إسـلامـه مرضت زوجته الأمريكية وأم ولده «جميل» فاضطرت رغم حبها وإخـلاصها لـه إلى أن تطلب العودة إلى أهلها، فسرحها سراحًا جميلاً، وعادت مصطحبة معها ابنها، ولم يلبث د. سوسة أن تزوج مرة أخرى بعد إسلامه من فتاة تنتمي إلى أسرة مسلمة متدينة، وسطع نجمه حيث **اختير عام ١٩٤٩م عضوًا في المجمع العلمي العراقي** تقديرًا لما قام به من دراسات أثرت مجال البحوث التاريخية والحضارية، كما كان عضوًا **في المجـامع اللغـوية في كل من: القـاهـرة ودمشق وعمان**.

وتتلمذ على يديه العديد من الباحثين العراقيين والعرب، ومن بينهم ابنته من زوجته الثانية **الدكتورة عالية أحمد سـوسة** عضو اتحاد المؤرخين العـرب، التي سارت على درب أبيها مقتفيةآثاره ونالت درجة الـدكتـوراه في التـاريخ من جـامعـة الســوربـون الفرنسية.

٢٩ مؤلفًا

لقـد كان لإسهـامـات د. سـوسة ودراسـاتـه التاريخية والفكرية بعد إسلامه كبير الأثر في إيضاح جـوانب كثيرة من تـاريخ منطقتنـا العربيـة، وأثـر العرب في الحضارة الإنسانية بعامة، ويذكر للرجل دائمًا تحذيره الدائم من محاولة المستشرقين الخبيثة أن يحيـوا نعـرات الجاهلية عبر تـركيـزهم على حضـارة العـرب قبل الإسلام، متنـاسين أن حضارتهم بعـد الإسلام كـانت هي الأعظم، فـالإسلام هـو الذي جعلهم أمة واحدة، وبدونه مـا كانوا ليحققوا هذا الإنجاز العظيم.

وفي السـادس عشر من شهــر ربيع الآخــر ١٤٠٢هـ نعت الأوساط الثقافية والتاريخية العربية البحاثة الكبير، الذي لاقى ربه بعد رحلة مع الحياة دامت ثمانين عامًا قضى الشطر الأكبر منها منافحًا عن دينه وأمته، تاركًا خلفه مؤلفاته التي بلغ عددها ٢٩ مؤلفًا، منها ستة باللغة الإنجليزية.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

الاحتجاج بالقدر على القدر جهل بحقيقة التوحيد

● **هل يجوز الاحتجاج بالقدر على القدر ؟**

عبد الرحمن أ . م . تركيا ـ لواء إسكندرونة أنطاكية

□ « القدرية » ظهرت خلال بداية القرن الثاني الهجري بسبب ترجمة علوم الفرس والروم والهند واليونان وحينما طغت المادة والذات على النفع العام وعلوم الشريعة ظهرت هذه الفرقة بجانب فرقٍ أخرى غيرها كثير، ومذهب القوم أنهم يرون ـ تعالى الله عما يرون ـ «أن الله لا يقدر على شيء يقع أو أنه سبحان يقع في ملكه ما لا يريد » .

ويوضح هذا المثال وهو نفسه يرد على سؤالك :

جاء أعرابي إلى أحد رؤساء القدرية فقال له : إن ناقتي سرقت فادع الله يردها عليَّ فقال هذا القدري : اللهم إن ناقة هذا الفقير سُرقت ولم تُرد سرقتها اللهم ارددها عليه . فقال الأعرابي : يا شيخ الآن ذهبت ناقتي ويئست منها، قال : وكيف؟ قال : لأنه إذا أراد أن لا تُسرق كما دعوت فسُرقت لم آمن أن يريد أن ترجع فلا ترجع ناقتي . فأفحم القدري جدًّا ولم يقدر على الجواب .

ويقال : إن القدرية يقولون : إن الله كتب كل شيء وقدره وهذا صواب ولكن هذا فهم مقدمة للبس سيئ على العقول وهذا سبب تغلغل قضية القدرية في عوام الناس منذ القرون الأولى .

هذا من جانب ومن جانب آخر فإنا نقول : إن الاحتجاج بالقدر على القدر جهل لحقيقة التوحيد أصلاً ، ويوضح ذلك لو أن رجلاً قتل رجلاً وقال : قتلته بقدر الله فإنا نقول : ونحن نقتلك بقدر الله ، فإن عارض هذا أبطل بنفسه قضيته ، وإن وافق على هذا كان موحدًا حقًّا لكنه جهل مدخل التوحيد ، فيجب تعليمه على أصول دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومقتضى التوحيد ولوازمه كما ورد في الكتاب والسنة وطرح كتب المبتدعة وعباد الطرق الغاوية في هذا الحين وكل حين .

حيل لكسب المال

● **ما حكم إعادة باقي النقود للزبون لدى الصيدليات وبعض المحلات التجارية على شكل علك أو مناديل ورقية ؟**

ص ـ س . أ . . الرياض

● الظلم له صور متعددة منها الحيلة لكسب المال ومنها التضييق بذكاء ومكر . . إلخ ، وما تسأل عنه بحجة عدم وجود صرف عملات معدنية (هللات) لا يجوز ابتداءً، لأن المشتري سيضطر لقبول الباقي من المحطات والصيدليات . . . إلخ ، سيضطر لقبول ما لا يرغبه كالمناديل الورقية والعلك والحلوى ونحو ذلك .

ووجه عدم الجواز أن العامل يعطي المشتري غير حقه، وأن العامل سيكسب لأن قيمة المعطى للزبون أقل من حقه على أساس سعر ما يشتريه صاحب المحطة أو المتجر أو الصيدلية . . إلخ ، أي قبل إضافة الربح . وإذا أضفتُ إلى هذا قصد الحيلة فهذا مبالغة في الظلم والكسب المحرم .

لكن المخرج من هذا هو التحري جدًّا والحذر بإيجاد العملات المعدنية (الهللات) الكافية لرد الحق المالي إلى صاحبه (المشتري) والنصوص متوافرة بتحريم الحيل والإضرار بالمسلم، وقد أجمل هذا بصورة موسعة **ابن قيم الجوزية** في كتابه «**إعلام الموقعين**» فيرجع إليه .

حكم اللقطة

● **هل تكون اللقطة لصاحبها الذي وجدها إذا كان فقيرًا ؟**

ض ـ ل . العمير الإمارات العربية ـ أبو ظبي

● اللقطة هي ما يسقط من صاحبه من مال أو متاع، وكذا الغنم والمعز والطير غير الطائر كالدجاج ونحوه إذا وجد في الفلاة .

وحكم لقطة هذه كلها فيه تفصيل :

١) إذا كان قليلاً لا يُلتفت إليه من صاحبه، كالريال ونحوه، فهذا يملك ما لم يكن واجده غنيًّا . وكذا الشاة ليس عندها أحد من بيوت أو أُناس وكانت في فلاة نائية، فهذه تؤخذ وتُعرّف، فإذا لم يأت لها أحد فيملكها واجدها، فإن جاء صاحبها أو عرفها فإنها تعاد إليه .

٢) إذا كانت اللقطة كبيرة ويُلتفت إليها كالمتاع، أو المال فهذا يؤخذ للمحافظة عليه ـ فيُعرَّف سنة كاملة عبر السبل المشروعة، فإن جاء صاحبه أعطي إياه، وإلا بعد ذلك ـ أي بعد التعريف مع الاجتهاد والإخلاص ـ فيكون لواجده إن كان فقيرًا، أو يتصدق به إن كان غنيًّا والله أعلم .

تحويل الدين إلى زكاة

● **رجل له دين، فهل يصح ويجوز جعله زكاة فتسقط عنه ؟**

طامي . ن . الكويت

تأخرت هنا النية عن الدفع لأن المال في ذمة ذلك الرجل قبل توافر نية الزكاة . فعلى هذا الأساس لا يجوز جعل الدين السابق في ذمة الرجل زكاة والله أعلم .

ابنة أخ من الرضاع

● **هناك إخوة حصل أن واحدًا منهم رضعت من زوجته بنت، وهذا الأخ ليس شقيقًا لهم بل هو أخوهم من الأم . فما حكم زواج أحد الإخوة بهذه البنت ؟**

ع . س . . العتيبي النسيم ـ الرياض

● تُعتبر هذه البنت بنتًا لهذا الأخ من الرضاع، لأن اللبن له من زوجته، ويكون بقية الإخوة أعمامًا لهذه البنت من الرضاع، فلا يجوز الزواج منها، إذا كان الرضاع في الحولين وهو خمس رضعات . والله أعلم .

ردود خاصة

● **الأخت نورة م . م . م ـ جدة .**

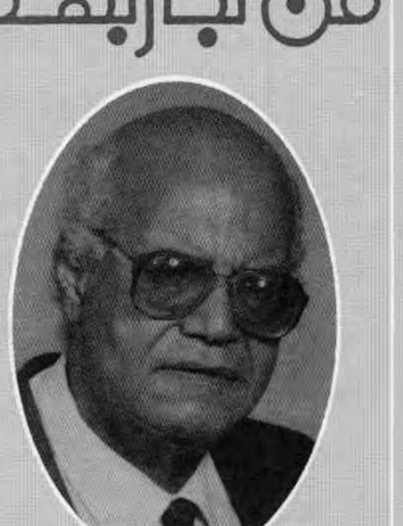
راجعي الإمارة فهي صاحبة الاختصاص .

● **الأخ عبد اللطيف م . ن ـ جيزان :**

بإمكانك تقديم لائحة اعتراض إلى البلدية حسب المتبع . ولا تتعجل الأمور، وتابع قضيتك .

□ □

من تجاربهم



تجربتي مع الشعر

محمد التهامي

ترددت كثيرا قبل الاستجابة للكتابة عن تجربتي الشعرية حين طلب إلي ذلك مرارا من قبل؛ لأني كنت أعتقد في أول الأمر أن ذلك عمل النقاد وحدهم حسب ما تواترت عليه حركة الإبداع والنقد في التاريخ. ولكن يبدو أن القاعدة الذهبية التي وضعها سقراط منذ القديم تحت شعار - اعرف نفسك - والتي قسمت الذات البشرية إلى ناظر ومنظور في محاولة لتسليط الأضواء على العمل الفني تصبح ضرورية لمساعدة النقاد والدارسين والمتلقين على سواء.

ولا شك في أن المعين الأول الذي تسقى منه النفس البشرية حين تدرج إلى الحياة في خطواتها الأولى وهي لا تدري من أمرها شيئا يشكل هلامية هذه النفس ويصبها وهي هيولي في قوالبها التي تصاغ عليها وتواجه بها المستقبل.

وقد تفتحت عيناي على مطالع حياتي في الريف المصري في العشرينيات من هذا القرن في محيط يموج بالكثير من الصفاء النفسي والإيمان العميق بالله، والإقبال الصادق على حسن عبادته، والصلات الحميمة بين الأفراد والأسر والتشبث الفطري بمكارم الأخلاق، ولعل ذلك كان للاحتماء من لهيب شظف العيش في أتون الإقطاع الغاشم والاستعمار المستبد، ولتوفير زاد المقاومة التي كانت تضطرم في الأعماق وتتنفس بين الحين والآخر في شجاعة فدائية يجسد عليها أصحابها، وتشيع في تغنيهم ببطولة مقاومي نظام السخرة والمتمردين على السلطة مثل عبد الله النديم والورداني وأدهم الشرقاوي وغيرهم.

وإن غصت منذ طفولتي في هذا التيار من حفظ القرآن في الكتاب، وتلقي الشعائر الدينية وممارستها، والانبهار باحتفالات وأناشيد الطرق الصوفية، والتهيؤ لمواصلة الدراسة بالأزهر الشريف؛ حيث كان والدي يعد التعليم الديني من قبيل العبادة وقد تحولت إلى التعليم المدني بعد إلحاح شديد على الوالد.

وقد ورثت عن والدي النهم الشديد للقراءة، وقد كانت مكتبته المتواضعة تقتصر على المصحف الشريف، ودلائل الخيرات، وقصة عنترة بن شداد في عدة أجزاء، وبعض كتب التراث القديم وكانت منزوعة الأغلفة، قرأتها مرارًا وكدت أحفظها قبل أن أدرك أن بينها بعض أجزاء كتاب الأغاني والعقد الفريد وبدائع الزهور والنجوم الزاهرة.

وكان والدي عندما تقدمت به السن وضعف بصره يدفعني إلى أن أقرأ له كل ليلة في قصة عنترة، وكنا نعيد القراءة مرارًا حتى حفظت شعر عنترة عن ظهر قلب وعشت أيامه ولياليه، وعايشته بكل أعماقه ونفثات وجدانه ومشاعره ودوافعه وأحلامه ومعاناته ووقائعه وبطولاته وإحساسه المقهور بالطبقية والدونية وأشواقه إلى التحرر والخلاص وعذوبة وجهارة شعره، وسكنتني انطلاقات العروبة وتقاليدها ومعالمها التي لا تعرف الحدود.

> ”أخذت أشواق الشعر من عنترة وجمالياته من شوقي“

وأقبلت على الدراسة باشتياق من يراها طريق الخلاص من المعاناة، وتفوقت في الشهادة الابتدائية وكنت من أوائل القطر، وكوفئت بأن أدخلت إلى مدرسة طنطا الثانوية مجانًا داخلية. وكانت بالنسبة لي حياة جديدة بعد أن تركت الريف محملاً بموروثات الدين الصافي والأخلاق المحافظة، وفي أعماقي تهويمات العروبة وسمات نفسية عنترة وأصداء شعره وإحساس غامض بوارد الشعر كان يصرفني عنه بعض المدرسين لحرصهم على تفرغي للتفوق في الدراسة ولكنه كان لا يقاوم.



من تجاربهم



وفي طنطا الثانوية كنت مشرفًا على مكتبة القسم الداخلي وسكنتها ليلاً ونهارًا وترهبت في محرابها، والتقيت فيها بديوان **أحمد شوقي** ومسرحياته وجهارة شعره وحسن صناعته وحلاوتها ومختارات البارودي وتراثياته وقصص جبران ورومانسيته وفتنت بشعر شوقي وحفظته، وكما قال **ابن خلدون**: «يجب على الشاعر أن يحفظ الكثير من شعر مَنْ سبقه ثم ينساه ليظل الطابع في أعماقه دون أن يقع في المحاكاة».

وصاحب ذلك كله أني انصهرت في تيار الشباب المقاوم لعساكر الإنجليز. وكانت حركة المقاومة الشعبية المصرية حينذاك تقوم على اكتشاف شباب الجامعات والمدارس، وقدت المظاهرات ضد الإنجليز واكتشفت أني أقول الشعر محاولاً توظيفه في حركة المقاومة معبرًا عن الوجدان الجماعي للجماهير، ومثيرًا له حاملاً كوامن نفسي من التأثر بما حملته من القرية من سمات، وما ترسب في أعماقي من بذور غرسها شعر عنترة وأحمد شوقي.

ومن أوائل ما قلته وأنشدته في المظاهرات وطبعته في الثلاثينيات وما تنعكس فيه هذه المؤثرات جميعا:

عليك اليوم فاتنتي سلامُ
فذكرُ هواك في شعري حرامُ
أأصْبو للخرائدِ والغواني
ويشغلُني التدلُّهُ والهيامُ
ووادي النيل في قيدٍ عنيدٍ
وشعبُ النيل في الدنيا يُضامُ

ومنه:

أفيقوا إنَّ في الآفاقِ نَارا
وطيروا غيركم للمجد طَارا
أنرْضى أن يكون نصيبُ مِصْرٍ
ونحنُ حُماتُها ذُلاًّ وعارا

وهكذا في حدود القيود النفسية التي فرضتها البيئة المحافظة التي ترى أن الحب سر بين اثنين يجب عدم إفشائه، وأنه ترف لا يتغنى به إلا الفارغون من هموم المعاناة الكبيرة في سبيل الحرية التي وهب لها عنترة حياته، والتي يضحي في سبيلها الآن الشعب المصري كله، في هذه الانطلاقات جاءت بواكير شعري ولم أفرغ لذاتي إلا في وقفات متناثرة كانت تطرأ بين الحين والآخر، أذكر منها رثائي لأحد أترابي في المدارس الثانوية من أبناء قريتي وهو المرحوم صبري الشرقاوي فقد قلت فيها أذكره من رثائه:

الزَّهرُ يَبْكي في رُبَى بستانِهْ
ويُسَائِلُ الأقدارَ عن رَيْحانِهْ
أغَفَا عن البُستانِ حارسُ زهرِه
فتمكَّنَ المقدورُ من غِشيَانِهْ
لو عاد «صبري» للحياةِ وأهْلِها
لبكتْ لهُ الأملاكُ من خِلاَّنِهْ
وأَقَمْنَ في الفردوسِ مأتم نعيه
يَدَعُ الجِنانَ تضجُّ من أحزانِهْ

وتلاحظ سمة البدايات مع التأثر بصياغة **شوقي وأفكار جبران**.

ولا يتسع المقام لمواكبة خطوات تطور شعري على الزمن في هذه العجالة الصحفية، ولكن إحدى المؤثرات البارزة في ممارستي للشعر هو هذا الهاتف الغيبي والإلهام اللاواعي الذي يدفعني إلى الاستجابة إليه دون سيطرة كاملة من الفكر الواعي المنظم الذي يخطط لعملية الإبداع ويحكمها. ويبدو أثر ذلك جليًا في توقيت الإبداع، فتارة يكون غزيرًا مواتيًا دون سابق ترتيب لذلك، وتارة يكون نزرًا يسيرًا متباعد الإقبال مستعصيا على الإرادة ومعاندًا لها. وكثيرًا ما كنت أراجع ما أكتب فأشعر بكثير من الغرابة والاندهاش له وكأني أردد ما قاله امرؤ القيس:

تُخَيِّرُني الجنُّ أشْعَارَها
فما شئتُ من شِعْرِهنّ انتقَيْتُ

أو لعلي في هذا المقام أقرب لقول الشاعر القديم:

لما رَأَوْنِي واقفًا مكاني
بدرٌ تجلّى في دجى الدَّجَنِ
غضبان أهذي بكلامِ الجن
فبعضه منهمْ وبعضُ منّي

واحة الشعر

من أخطائي القاتلة أني لم أتفرغ للشعر ونشره في حينه، ولم أُولِ ذلك العناية الواجبة واقتصرت على إلقائه في الندوات والاجتماعات والمهرجانات في مصر والبلاد العربية وفي الخارج ونشره في الصحف والمجلات بين الحين والآخر هنا وهناك. **وقد أرضاني أن عشر قصائد لي درست في المدارس في الوطن العربي منها فلسطين وبور سعيد والجزائر والوحدة وأفريقيا... إلخ.**

وعندما عدت إلى الشعر ومحاولة جمعه ونشره في آخر الأمر حاولت نشره بغير ترتيب زمني وعلى أساس موضوعي، فجمعت شعري الوطني في **ديواني الأول «أغنيات لعشاق الوطن»** وجمعت شعري القومي في **ديواني الثاني «أشواق عربية»** وجمعت شعري الديني في **ديواني الثالث «أنا مسلم»** ثم جمعت الشعر الذي قلته في المأساة العربية الأخيرة عن غزو العراق للكويت في **ديوان «دماء العروبة على جدران الكويت»** وما يزال شعري الذاتي الوجداني والعاطفي وهو كثير تحت الطبع، وما زلت أطمع وأرجو إذا امتد بي زمني أن أعود إلى الترتيب الزمني في طبع الأعمال الكاملة تيسيرًا للدراسة والمتابعة والنقد.

ومهما تعب الدارسون في متابعة مدارس الفن المختلفة من الكلاسيكية وتصوير الطبيعة، إلى الرومانسية والاستغراق في الأحلام، إلى الواقعية ومعانقة الحياة، **فإن تعبير الشاعر بصدق عن**

أعماقه سيتلامس حتما مع أعماق الجمهور لأنه واحد منهم يعبر عن الوجدان الجماعي. وميزة الشاعر أنه أوتي موهبة التعبير وأنه بعين الموهبة أيضا يستشرق آفاق المستقبل ويرى بالخيال أشواق الغد، ويسخر مقدرته في تصويره واقعا أو كالواقع ويلقي بالصورة الجديدة أمام الناس الذين تغمرهم الدهشة والإعجاب فيلتفتون ويعرفون وتهزهم المعرفة وتدفعهم إلى الحركة لتحقيق الحلم، ويكون الشاعر قد أشعل بذلك شرارة تقدم الحياة، وقد قال أرسطو في كتاب الشعر: «إن سبب اللذة التي يجدها المرء في صورة ما أنه برؤيته لها يتعلم فيستدل فيقع على ما في الأشياء».

والشاعر الذي يحمل هموم قضيته يعيش فيها بتجاربه الشخصية بأحاسيسه وعواطفه الذاتية، وتتراكم هذه التجارب في أعماقه مع تجاربه المكتسبة بعقله وفكره ومعارفه، ويشكل كل هذا وجودا كثيفا يعيش في داخله، ثم يصدر إبداعه عن هذا كله فيمتزج صدى الواقع الذي أثارته المناسبة مع الصدق الفني المعتمد على التجارب المتراكمة، وينطلق الإبداع بين الحين والآخر صادقا كل الصدق حين تعرض له المناسبة التي لا تلعب في الإبداع إلا دور المفجر للكنوز من ركام التجارب في الأعماق وحينئذ لا يمكن أن يصدق على الإبداع هذا أنه إبداع مناسبة؛ لأن المناسبة دورها سطحي ومحدود لدى الشاعر الذي يعيش المعاناة المستمرة.

ومن حظ الجيل الذي عشت فيه أنه عاش معاناة تجربة طويلة مريرة جوهرها لسوء الحظ واحد، ومسارها متصل، ووجوهها متعددة، ورواسبها المريرة واحدة، تشكل معاناة الإنسان العربي من القهر المستمر في مختلف صوره وأشكاله، فقد تفتحت عيناي على سطوة الإقطاع، وسيطرة الاستعمار العسكري في مصر، واستلاب أقوات الناس وأرزاقهم، وتسخيرهم بلا أجر في شق الترع وإقامة الجسور وحفر قناة السويس، ولما اتسع أفقي شربت المعاناة من كأس الاستعمار والغزو لمختلف الأقطار في شرق البلاد العربية وغربها بعد الحرب العالمية الأولى، ولما زحزحنا كابوس العساكر فاجأنا الاستعمار الاقتصادي والغزو الفكري والتبعية على المنطقة العربية كلها ثم

«الشاعر الذي يحمل هموم قضية يعيش فيها بتجاربه وأحاسيسه»

زحف الاستعمار الاستيطاني وانتزاع الوطن كله في فلسطين وأخيرًا جاءت الكارثة في العدوان العراقي على الكويت الذي أصاب العروبة في الصميم.

وهكذا عشت وعاش الجيل كله في مرارة مستمرة ومعاناة تجربة القهر الكبرى متعددة الوجوه والأشكال والأساليب، وعاش شعري في أتون المعركة، تفجره الأحداث والمناسبات الطارئة، فتصبغه في معالمه الظاهرة بالتجربة الحية المعاشة، ويحمل معالمها، ويصدر أيضا عن الركام المحترق المستكن في الأعماق من رواسب التجربة الطويلة المريرة الدائمة، مما يضفي عليه بعدًا أعمق من المناسبة، وينأى به عن أن يدرج في شعر المناسبات، فهو يدعوللانطلاق للخلاص، ويئن ويحزن للتراجع، ويجري وراء الأمل ببشائر النصر، ويشحذ العزائم، ويتشبث بأسباب القوة، ومن أهمها الوحدة العربية. ففي قصيدة «عرابي» الزعيم المصري الكبير:

نبتُّ على النيلِ في قريَتي
صديقًا لشطي وجميزتي
وفي ليلة غلفتها السَّماءُ
تئِنُّ مِنَ الظُّلم والظُّلْمَةِ
خرجنا وقد شاقنا أن نموت
ونلقى «عرابى» على المِيتَةِ
خرجنا كأطياف جنّ تطوف الـدُّ
دُروب على الخوف والريبة
كأنّا شكاوى مئات السنين
من الظلم والعسف والمحنة
كأنّا لُغى الأرض تدعو السّماء
اتهمي على الأرضِ بالرحمةِ

وفي أعياد الوحدة مع سوريا:

تعالوا نذكر النّصرا
ونسْعى مرّةً أخرى
ونرجع ذكره الغالى
فقد طابت لنا الذكرى
ونذكر حينما ثرنا
وأطلعنا لنا فجرا
وحين صحت لنا الدنيا
وصرنا الدولة الكبرى

وفي ثورة الجزائر:

في الهول في لهب المجازرْ
ألقاكَ يابطل الجزائرْ
ألقاك مرفوع الجبين
مخضب الجنبين هادرْ
ألقاك تقتُل أو تموت
وأنت في الحالين ظافر
إني وراءك ياأخي
فاضرب فديتك لا تحاذرْ

وأول قصيدة لي في فلسطين وكنا يومها لا نصدق:

إنّ الذي زيفوه كله كذب
ما لليهود بدارٍ أهلُها عربُ؟
هذي فلسطين دار العرب ما بقيت
ما بارحوا أرضها يومًا ولا ذهبوا
هم يعرفون وما هذي بخافية
أنّ الذي سلبوه ليس يستلب
هل يسرق النّاس أوطانًا برمتها
هل كلّ ما خلف الأجيال يغتصب؟
هل يجذبون الثرى من تحت أرجلنا
جذبًا، وهلْ أرضنَا ترْضَى وتنجذب؟

□ □

قصة قصيرة

وجه على حائط

للكاتب: إي - في - لوكاس • ترجمة: محمد أبكر محمد يوسف

كنا نتحدث عن أحـــداث غير عادية، أحداث تبدو وكأنها ليس لها أي تفسير طبيعي. ذكر كل واحدٍ منّا واحدًا منها، غير أن هناك بين الغرباء - الذين لا أعرفهم - رجلاً صغيرا، ذا وجهٍ شاحب قلق، وكان يرقب المتحدثين بانتباه شديد ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة.

وعندما أراد «دايني» انضمامه إلى الحديث التفت إليه وسأله ما إذا كان قد مرَّ عليه حادثٌ غريب لا يمكن تفسيره تفسيرًا طبيعيًا.

أطرق الرجل قليلاً ثم قال: «حسن، ليس الحادث قصة بمعنى الكلمة، في الحقيقة لا أظن أنه من أغرب الحكايات فحسب، بل فيه من المتعة ما ليس في غيره. سأحدّثكم عن حادث لي شخصيًا، ومن غرابته الكاملة أنه اكتمل بعد ظهر اليوم فقط».

ناشدناه جميعًا كي يبدأ في حكاية ذلك الحادث.

قال: «قبل عامٍ أو عامين كنت أسكن في منزل على شارع أورموند العظيم، في منزل عتيقٍ رطب، كثافة الرطوبة أدت إلى تكوُّن بقع على الحيطان، واحدة من هذه البقع - وكما يحدث غالبًا - تشبه وجه إنسان تمامًا، عندما أكون راقدًا على فراشي تعوّدتُ النظر إلى ذلك الوجه الفينة بعد الفينة. وشيئًا فشيئًا بتُّ أعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه وجه حقيقي، بل نزيل معي في المسكن. العجيب في الأمر، أنه بينما كانت البقع الأخرى تكبر، وتتغير أشكالها ظل الوجه هُوَ هُوَ، ولم يتغيَّر فيه شيء.

في أثناء سكني هناك صرتُ طريح الفراش لمرضٍ ألمَّ بي، فكنتُ أقضي يومي الطويل بالقراءة أو التفكير فقط. وصار ذلك الوجه يشدُّ انتباهي كثيرًا، وبمرور الوقت أصبح الوجه يسترعي اهتمامي لدرجة أنه صار جزءًا رئيسًا في أفكاري ليل نهار، الأنف متقوس بطريقة غير مألوفة، وشكل الرأس غير عادي البتة. في الحقيقة كان الوجه لرجل غير طبيعي أبدًا رجل بين ألف رجل.

على كلِّ حال تحسنت صحتي، ولكن ظلَّ الوجه يسيطر عليّ ووجدتني أبحث عن مثله. كنت على يقين تام بأن الرجل الحقيقي سيظهر في مكان ما، ويجب عليَّ أن أقابله، لا أدري لماذا! ولكني جزمت بأن هناك شيئا ما يربط بين مصيرينا فذهبت إلى أماكن يزدحم فيها الرجال بأعداد ضخمة؛ التجمعات السياسية، مباريات كرة القدم، محطات القطار، ولكن ذهبت جهودي أدراج الرياح.

لاحظت لأول مرة اختلاف وجوه الرجال، كلها مختلفة برغم أنها تنتمي إلى أجناس قليلة».

«بدا لي بحثي كالجنون تمامًا، لقد أهملت كل شيء، أقف في الزوايا الشديدة الازدحام محملقًا في الحشود حتى ظنَّني الناس مجنونًا وغدت الشرطة تعرفني حتى أصبحت مشتبهًا عندهم».

مرَّر راوي القصة الطريفة يده على وجهه بطريقة تنم عن تعبه ثم واصل حديثه قائلاً: «وبعد لأي، وأخيرًا رأيته في سيارة أجرة متجهة شرقا نحو «بيكاديلي». هرولت محاذيا السيارة لمسافة قصيرة، ثم إنِّي لمحت سيارة أجرة أخرى مقبلة.

صرخت قائلاً: «اتبع تلك السيارة».

وقفزت إلى داخل السيارة. بذل السائق كل ما أوتي من جهد حتى لا تغيب عنه السيارة. أخذنا الطريق إلى مقاطعة «تشيرنق» لمحطة السكك الحديدية، اندفعت إلى الرصيف



ووجدت صاحبي مع سيدتين وبنت صغيرة، كانوا مسافرين إلى فرنسا، وانتظرت لأحاول محادثته لكن بلا جدوى وانضم إليهم أصدقاء لهم، وتوجهوا جميعًا نحو القطار.

اشتريت تذكرة إلى «فولكستون» بسرعة، راجيًا أن ألحق به في الزورق قبل إبحاره ولكن للأسف الشديد وجدته قد ركب هو وأصدقاؤه واختفوا جميعًا في غرفة واسعة وخاصة، فاتضح لي حينذاك أنه رجل ثري».

فشلت محاولاتي للمرة الثانية؛ بيد أني كنت مُصرًّا على عبور الحدود إلى فرنسا، وكنت على نحو لا يدع مجالا للشك. أشعر بأنه سوف يترك السيدتين ويخرج ليتمشى أثناء الرحلة، بقى لي من النقود ما يمكنني من شراء تذكرة إلى مدينة «بولون» وليس هناك أي شيء يقف حجر عثرة أمامي».

«اتخذت مكانًا أمام الباب تمامًا، وانتظرت بعد نصف ساعة فتح الباب، وخرج صاحبي مع البنت الصغيرة. تسارعت خفقات قلبي حتى بدا لي وكأن الزورق كله يرتج.

لم أخطئ الوجه، كل الخطوط التي كانت على الحائط هي هي. ألقى عليّ نظرة عابرة ثم ذهب في سبيله وشعرت أنه قد حان الوقت الذي

يجب عليّ أن أتحدث إليه فيـه، أو لن يكون ذلك إلى الأبد.

قلت له متلعثمًا: «معذرة!! هل يزعجك أن تعطيني بطـاقة عنوانك؟ إن لي سببا مهمًا جدًّا يلحُّ عليّ لأتصل بك».

بـدت عليه أمـارات الدهشـة، لكنه نفذ طلبي، أخرج محفظته ببطء ومـدَّ لي بطـاقتـه. وأسرع الخطـا مع البنت مبتعــدًا. واضـحٌ أنـه ظنَّني مجنونًا، وفضل إعطائي ما أريد».

«أمسكت بالبطاقة بعناية شديدة وأسرعت إلى ركن من أركـان الـزورق وقرأت العنوان. أظلمت الـدنيا أمام عيني وأصـابني دوار.. لأنَّ البطاقـة تحمل الكلمات التـاليــة: السيــد «أورموند وول»، وعنوانه في «بتسبرج» بالولايات المتحدة الأمـريكية لم أتذكر وقتــذاك غير أنّي وجـــدت نفسي في المستشفى.

صمت الراوي مرة أخرى. نظرنا إليـه، ثم نظـــر بعضنــا بعضــا، وانتظرنا. كل الحكايات التي رويناها ذلك المساء لم تكن شيئًا بالمقـارنة بما يحكيـه لنـا الـرجل الصغير والـوجـه الشـاحب، وبعــد لحظـات واصل حـديثـه قـائلاً: «عـدت إلى شـارع «أورمـــوند» العظيم وكــرَّست كل جهـدي لأعرف كل مـا أستطيع عن هـذا الأمـريكي. كتبت إلى مـدينـة «بتسبرج»، إلى صحفيين أمريكيين، قابلت أمريكيين في لندن. ولكن كل مـا نما إلى علمي أن الـرجل مليـونير أمريكـيّ، ووالداه إنجليـزيان كـانا يسكنـان لنـدن، ولكن في أي بقعـة منها؟ لم أجد إجابة لهذا السؤال:

«ومــرَّ الــوقـت حتى صبــاح



الأمس. عــدت إلى فـــراشي وكنت مرهقًـا إرهاقًـا شديـدًا. ونمت حتى وقت متأخــر من النهــار. عنـدمــا استيقظت كـانت أشعة الشمس قـد انتشرت في غـرفتي. وكما تعـودت أن أفعل كل يـــوم، ألقيت نظـرة على الحائط حـامل الـوجه الـذي كـانت معـــالمه واضحـــة، مسحـت عيني ووثبت! بـــالكـــاد يمكـن رأيت الوجه.. يالـلعجب! ألم يكن واضحًا ليلة أمس كما كـان دومًا؟! إنـه صار باهتًا!.

«نهضت وقـــد تملكنـي الغمّ، وخـرجت هائما على وجهي. جـرائد المساء كـانت معروضـة للبيع ألقيت نظرة على العناوين الرئيسة رأيت من بينها العنوان التالي:

مليـــونير أمـريكي يصـــاب في حادث سيارة.

ربما قرأتم شيئًا كهذا، اشتريت جريـدة على الفور إنـه هو، ضـالتي المنشـودة.. السيد «أورمـونـدوول» مليـونير بتسبرج، ومليـونير حـرب، وفي الطـريق من «سبيـزا» إلى «بيـزا» حدثت الحادثة المؤلمة انقلبت السيارة التي كانـوا يستقلونها، السيد «وول» في حالة خطرة.

«عـــدت إلى غـــرفتي وكأنّي في حلم. ونظـــرت بعينين لا تكـــادان تريـان شيئًا إلى الـوجه الـذي اختفى تمامًــا اكتشفت فيها بعـد أن السيـــد «وول» قد قضى نحبه. وعندئذ فقط تأكدت من أنـه توفي في اللحظة التي اختفى فيها الوجه».

وسكت الـراوي مـــرة أخـرى ثم قال: «شيء يسترعى الاهتمام وغريب جدًّا».

وهذا بالفعل ما نوينا قوله.

وأضاف الغريب قائلاً: «أجل، هناك ثـلاثة أشياء مـدهشة وتسترعي الانتباه حيـال هذه الحكـاية: الشيء الأول هو أنـه لا يمكن أن تكون بقع تكونت بسبب الرطوبة وفي بيت أجرة بلندن وجها لنبيل أمريكي فحسب، بل أن تختفى عند وفاته. أمر يصعب على العلم تفسيره. أما الأمر الثاني فهو أن لاسم النبيل علاقـة بالمكـان الذي ظهر فيه وجهه، أليس كذلك؟».

وافقنـاه على كـلامــه، وبـدأنـا نتناقش بإثـارة شديـدة. وأثناء ذلك النقاش نهض الرجل الـذي حكى لنا قصته المدهشة وقال: «ليلة سعيدة».

وحالما وصل إلى الباب سأله أحد الجالسين قبل خـروجـه: «مـا الأمـر الثـالث الخارق للعـــادة والمدهش في القصـة المتعـة حقًــا، لقـد ذكـرت أمرين فقط كما تعلم».

قـــال وهـــو يفتح البـــاب على مصراعيـه: «آه.. الأمر الثـالث قـد نسيت أن أذكــره. إن الشي الثـالث والمدهش في تلك القصـة هو أني قـد ألّفتـــه قبل نصف ســاعـــة فقط.. ليلتكم سعيدة مرة أخرى».

القصة عن كتاب ABook of Shorter Stories

كتاب القصص القصيرة

طبع بمطابع - Peninsula Press Ltd Hong Kong

وأول طبعة لـه عـام ١٩٦٢م وآخر طبعة ١٩٧٥ والنـــاشر Longman Group Limited London

من المكتبة السعودية





د. عبدالعزيز الخويطر

- **العنوان : أي بني : مقارنة بين ماضينا وحاضرنا (الجزء الرابع) .**
- **المؤلف : د . عبد العزيز بن عبد الله الخويطر**
- **الناشر : المؤلف .**

لا يزال الماضي بحلوه ومُره يحمل داخل نفوسنا تلك الذكرى الواهجة في الخاطر، والتحدث عن زمان الماضي يلقى تجاوبا وإصغاء، وحين يجيء عرض ذلك الماضي في أبهى صوره، يكون الحدث ذا معان رائعة . والدكتور الخويطر في هذا الجزء من مجموع كتبه الثلاثة السابقة التي تحمل العنوان نفسه «أي بنى» يستكمل ما غاب عن الذهن لبعض صور وظواهر مضيئة، في حياة مجتمعنا الماضي، وأتى بها من خلال سرد أمثال عامية جاءت رد فعل لتجارب عميقة، وكشفا لأنواع مختلفة من جوانب تفكير الناس في ذلك الزمن، ومسارب أذهانهم واتجاه تفكيرهم وأخلاقهم وسيرهم، وعلاقة بعضهم ببعض، ونوع هذه العلاقة؛ سواء كانت دراسية أو زراعية أو تجارية أو عائلية، أيضا التركيز على المثل العليا وإظهارها، فهي ـ المُثل ـ الميراث الذي يتسلل من الأب إلى الابن، يفرح به الوارث، ويستبشر به المتلقي لأنه مع ما فيه من غنى فكرى، فهو يأتيه دون تعب .

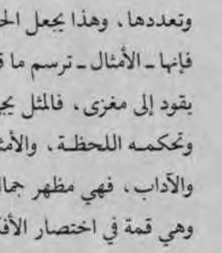
واشتمل «الجزء الرابع» على ٣٦٨ مثلا طرحت من خلال ٣٧٤ صفحة من القطع المتوسط، واحتلت الزراعة عددًا غير قليل مما ورد من الأمثلة، ثم جاءت التجارة والبادية، كذلك لتعرض أمثالها في تتابع مطول .

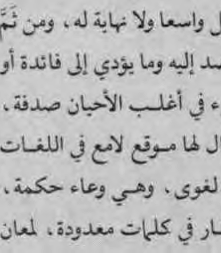
وقد انتقل المؤلف إلى إفراد أمثال متفرقة تمثل بيئات مختلفة، ونظرات متعددة وأذهانا متنوعة، فكانت الأمثال وسيلة في كشف بعض جوانب اندثرت، فلم يعد يرى الإنسان المعاصر على سبيل المثال جملا ولا بغلا ولا حمارًا يحتل صدارة المواصلات، أو يستحوذ على الطريق، ويسيطر على المسالك، ولا آبارا مطوية مصدرًا للمياه يزدحم عليها الناس والدواب، ولا دلاء مصنوعة بعناية طالعة نازلة لرفع المياه وسقي الناس والحيوانات والزروع، لقد فقد الإنسان هذه الأدوات، ولم تعد ترى إلا في المتاحف أو في الصور .

وجاءت الطائرات تحلق في السماء تخترق الأجواء والسحب تنقل الناس من بلد إلى بلد ومن قارة إلى قارة .

والمتتبع لصفحات الكتاب يلحظ هذا الجهد المميز في إخراج المثل، وتتبع ذكره هنا وهناك والمقارنة بينه في الماضي أو في الحاضر، وذكر الأساطير والحكايات التي جاء من أجلها، وتشمل المتعة والإبداع حيزا مطولا بين الصفحات .

ويشير د . الخويطر في تمهيده إلى كثرة الأمثال وتعددها، وهذا يجعل الحقل واسعا ولا نهاية له، ومن ثَمَّ فإنها ـ الأمثال ـ ترسم ما قصد إليه وما يؤدي إلى فائدة أو يقود إلى مغزى، فالمثل يجيء في أغلب الأحيان صدفة، وتحكمه اللحظة، والأمثال لها موقع لامع في اللغات والآداب، فهي مظهر جمال لغوى، وهي وعاء حكمة، وهي قمة في اختصار الأفكار في كلمات معدودة، لمعان لا تحد، وهي صلة لغوية بين القرون، وسجل لتاريخ يرثه اللاحقون من السابقين، وديوان لصور الحياة البشرية في كل جوانبها، فإن كانت البيئة بيئة رعي مثلت الأمثال بيئة الرعي، وعكست ماهي عليه وما يجري فيها، وإن كانت بيئة جبلية فالأمثال تأتي جبلية، وإن كانت زراعية سيطرت صور الزراعة وأمورها عليها، وإن كانت ساحلية حكت ما عليه الساحل وأهله، وإن كانت بيئة صحراوية حكت عن الصحراء وساكنيها وحيوانها ونباتها . إن الكتاب صورة نابضة لتفاعل الإنسان مع بيئته وعصره .





عبد الفتاح أبومدين

- **العنوان : علامات في النقد الأدبي .**
- **المؤلف : مجموعة من المؤلفين .**
- **الناشر : النادي الأدبي الثقافي بجدة .**

ليس هناك من شيء في مجال العلوم الإنسانية أشد إلحاحا وضرورة في هذه الحقبة من تاريخ أمتنا سوى تطوير المناهج النقدية، وتحديث أساليب النظر إلى الإبداع، وبالتالي سد الهوة العميقة التي باتت تفصل بين المبدعين وهموم الأمة، كذا ينبغي من أجل الدفع الحضاري والتواصل بين الكتاب داخل الوطن العربي والنهوض بالنقد، وإعادة وصل الأمة بوجدانها وروحها المتمثلة في نتاج مبدعيها .

وانطلاقا من تلك المفاهيم خصصت «علامات» إصدارها الرابع لمناقشة حركة الإبداع وأزمة النقد، حيث حمّلت أسرة تحريرها ـ خلال افتتاحيتها ـ النقاد المسؤولية لعجزهم عن استيعاب ما طرأ على مفهوم اللغة من تطور وعلى تاريخ المعرفة من ثورة وضعت العلوم الإنسانية بكاملها على حافة حقبة جديدة لا تقل أهمية عما شهدته العلوم الطبيعية من قبل .

شارك في تحرير الكتاب نخبة من الكتاب العرب : عبد السلام المسدي، عبد الفتاح أبو مدين، صلاح فضل، ميجان الرويلي، بكر باقادر، عبد الملك مرتاض، نذير العظمة، حسين باقيه . وفي هذا العرض نتعرض لبعض نصوص هذا العمل :

يرى الكاتب عبد السلام المسدي أنه برغم تقدم الأبحاث المعاصرة والخاصة باستكشاف هوية النص الأدبي لاتزال بعض القضايا معلقة، ومن أبرز تلك القضايا مسألة انتماء النص، باعتبار أن الكلام الأدبي مرتبط بصاحبه من حيث ابتكاره بالوضع الموجود عليه، لكن الحكم عليه من الناحية الفنية ومدى إضفاء السمة الإبداعية عليه لا يمكن أن يكون من مشمولات الأديب صاحب النص، إذ لو كان ذلك مما يملك الأديب مفاتيحه لانتفى وجود النقد وانتفى حق القارئ في إصدار أي حكم على الأدب . ومن خلال الدراسات تم التوصل إلى نقطة أساسية هي أن النص ينسب قبل كل شيء لصاحبه، ولكن هذا لا يؤثر على العملية النقدية، وما يهم هنا مرحلة انتقال النص من الأديب إلى عالم الملك المشاع، ومن هذا عُدَّ القارئ الموقع الحقيقي على شهادة حيوية النص، لأنه هو الذي يحكم على ما يتلقاه من أي أديب بأنه أدب، ولكن تطور الأبحاث في علم اللغة حار بين أمرين هما : انتساب النص أهو لصاحبه أم للقارئ ـ حسب تعمق الدراسة في علم اللغة ؟ وعلى هذا فإن العلاقة ستحدد من جديد بين عالم اللغة وناقد الأدب، وستتطور الأبحاث وتتكامل الأعمال وستقرر أن النص ملك الناقد، بينما يبقى نص النص ملكا لعالم اللسان .

يؤكد صلاح فضل أن تطورات الأدب والنقد في

الحقبة الراهنة وحتى عهد أحمد شوقي عرفت القصيدة بأنها للعزاء في المآتم، وللغناء في الأفراح، وعندما تبدلت هذه الوظيفة جذريا في الإبداعات التالية عند مدارس الديوان والمهجر وأبولو في الشعر الحر ومعركة الحداثة، وبعد أن ظلت نسبة عالية من جمهور المتلقين تنظر للشعر على أنه عزاؤها وغناؤها، فكانت تكافئ بالشهرة والمجد من يبرز هذه الذات بحيث أصبح «ميكانيزم» التباهي هو الغالب على عمليات التلقي والمسيطر على فاعلياتها الجماعية.

ويسرد صلاح فضل عدة نماذج للصوت الجماعي في القصيدة الحديثة والوعي الشعري في عدة أفكار وفي لحظات تاريخية حاسمة.

تحليل اجتماعي

في دراسة أبي بكر أحمد باقادر يشير إلى رواية باسي فولك «اسم الوردة» على أنها أكثر الروايات ذيوعا وانتشارًا بسبب نصّها الأكثر إبداعا، وهي مشروع سيميائي من حيث الأساس وليس هذا إلا لأن عناصر التشريح التي يقولها السيميائي إيكو قد تحولت إلى عناصر بنائية للرواية، فالإفراط في البنى والبذخ والصناعة، إنما هي جزء من الحسابات السيميائية، أي إنها جزء من التكيف والعرض واللعب التجريبي بالمبادئ السيميائية.

والرواية تقدم مفاتيح تشريحها، وتوضح تناصها في الوقت نفسه، ومن وجهة نظر النقد الأدبي فإن تحليلها يصبح تفاهة لأن الحل الواضح بهذا المعنى يجب أن يصبح أكثر جلاء ووضوحا.

الأدب المقارن إلى أين؟!

لقد ظل مصطلح الأدب المقارن يثير الريب حتى الثمانينيات من هذا القرن، ويستدعي احتدام النقاش بين أنصاره وخصومه، ويرمي الكثير من المناقشات إلى رفض هذا الميدان المعرفي بوصفه علما مستقلا، وإلحاقه بميادين وعلوم أخرى.

وبرغم الاعتراضات التي جوبه بها الأدب المقارن فقد استطاع كما يقول ـ نذير العظمة ـ أن يشق طريقه في ميادين الدراسة والبحث ومراكز التعليم الجامعي في أوروبا وأمريكا وفي العالم بأسره.

ومن خلال الدراسات والأبحاث العديدة التي مر بها هذا الأدب فإن لكل دارس وجهة نظر من خلال تعريفه، ومن هنا تعددت التعريفات حول ماهية الأدب المقارن، ولم تستقر على تعريف واحد له، وعرّف هنري ريماك ـ وهو من أبرز الدارسين الأمريكيين ـ هذا النوع من الأدب بأنه دراسة الأدب خارج الحدود القومية وعلاقة الأدب أو الآداب بالفنون الأخرى ودراسة علاقاتها مع المعارف الإنسانية المتنوعة العلوم بشقيها والأديان، هو دراسة تأثير أدب على أدب، بل مقارنة أدب بآخر أو آداب بأخرى، ومقارنة الأدب بغيره من مجالات التعبير الإنساني.

وتتعدد رؤى كتّاب هذا الكتاب بغية الوصول إلى معرفة أعمق وأشمل.





د. محمد خضر عريف

- العنوان: الحداثة: مناقشة هادئة لقضية ساخنة.
- المؤلف: د. محمد خضر عريف
- الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية.

على مدى خمس سنوات، ومن خلال متابعة العديد من المقالات التي نشرت في عدد من الصحف والمجلات، جاء هذا الكتاب الذي يقع في (١٧٠ صفحة) وستة فصول، وليناقش الحداثة بكل أبعادها الأيديولوجية واللغوية والأدبية والفكرية. فبعد سقوط الفلسفة المادية بكل أيديولوجياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأشكالها الإلحادية كافة، وبعد إشهار إفلاس المذاهب الشيوعية باتجاهاتها كافة من ماركسية واشتراكية، كان لا بد للعالم بعامة وللمسلمين بخاصة من العودة إلى المنابع الأولى، منابع الإسلام الذي احتشد أعداؤه تحت لواء ما يسمونه «الحداثة»، فكان الصدام بين العروبة والشعوبية، أعقبه الصدام بين الإسلام والباطنية، وكان ذلك منحصرا خلال حقبتين من حقب الحضارة الإسلامية:

الأولى كانت خلال الالتقاء بالحضارة الفارسية، ومن ثم بالتراث اليوناني.

أما الحقبة الثانية: فكانت حقبة لقائنا بالحضارة الغربية من خلال الاستعمار.

وأصابت تلك الفترة الحداثيين خاصة بالانبهار، إن لم يكن الانسحار، ومن ثمّ وفرت لأصحاب النوايا السيئة الظروف والأسباب لضرب العروبة. وأدرك الخبثاء من الحداثيين أن إسقاط العروبة والإسلام يستوجب اسقاط ما لهما من تراث، فعندما تصبح الأمة دون تراث؛ يسهل السيطرة على حاضرها ويسهل توجيه مستقبلها الوجهة التي يريدها أولئك الخبثاء.

وأشار المؤلف في ثنايا صفحات كتابه إلى عدة أسماء واعتبرها قائدة الحداثة. فكان العمود الأكبر للحداثة علي أحمد سعيد (أدونيس)، والشاعر صلاح عبد الصبور والشاعر عبد الوهاب البياتي، وكمال أبو ديب، وقد أفرد المؤلف لتلك الشخصيات عدة صفحات ذاكرًا نموذجا لأعمالها وأقوالها. واستطاع أن يظهر في الفصل الثاني الأساليب المتبعة في ترويج الحداثة التي اعتبرها فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: «دين أوربي جد بعد تسلط الكنيسة، يرغب أربابه أن يخضعوا ويدينوا لعقولهم وأهوائهم، وينبذوا كل الماضي بجميع مظاهره وأشكاله».

وقد جاءت تلك الأساليب مشتملة الإرهاب الفكري وتغليف الإلحاد بغلاف النقد والأدب، وتغليف النقد على أنظمة الحكم القائمة بغلاف النقد والأدب، وأيضا التكسب من بيع البضاعة الرخيصة، والمساعدة على تمرير الغث على صفحات الجرائد وفي الندوات الأدبية، وتنصيب الرواد كيفما اتفق فيما بين هؤلاء الذين يحملون لواء الحداثة.

وينتقل المؤلف في الفصل الثالث إلى نقض عدة دعاوى لغوية لأهل الحداثة، فيشرح في إسهاب الدعوى القائلة: «إن الإبلاغ ليس من وظائف اللغة الرئيسة»، مؤكدا بذلك أن وظيفة الإبلاغ تمكننا من نقل المعلومات إلى أجيالنا القادمة، وأنه لولا هذه الوظيفة للزم كل جيل يأتي بعدنا أن يكتشف النار من جديد، ويتعلم الزراعة من جديد، غير أن الواقع يؤكد أن الأجيال المتعاقبة ترث العلم من الأجيال التي تسبقها عن طريق ما تتركه من تراث لغوي، وتضيف إليه من علومها ليبقى إلى الجيل الذي يلحقه وهكذا.

أما الفصل الرابع فقد خصصه المؤلف للحداثة والتغريب، فأشار إلى أن الغرب كان أكثر منا محافظة على لغته وتراثه، وأن ثقافتنا المعاصرة صارت تعاني من الغربة أكثر من معاناتها من التغريب، وأن علاقتنا بالغرب انحصرت في لا إفراط ولا تفريط.

ينتقل د. عريف في الفصل الخامس إلى تقويم تجربة التجديد في الشعر الحداثي ذي القيمة، وذلك منذ العصر الإسلامي إلى عصر النهضة. فأكد أن الشعر

من المكتبة السعودية

الحداثي فشل تماما في أن يحتل مكان ديوان العرب، فوصف الشعر الحداثي بالمسخ وأنه لا نثرًا ولا شعرًا. وجاء في ثنايا عرضه نماذج اتسمت أعمالها بالتميز، فكان من إقبال الشاعر الباكستاني الذي اتسم شعره بالإيمان العميق بربه وبيئته ودينه ونفسه ووطنه. وقد جعلت سعة اطلاعه ديوان شعره دائرة معارف تشمل كل طريف وبديع، وهو يمثل ولا شك ولوج العصر الذي عاش فيه بقوة وصلابة.

أيضا تقديم نزار قباني للشعر الحداثي: حيث وقف الشاعر موقف الهجوم للشعر الحداثي بقوله: خطأ كبير أن نتصور أن الحديث لكي يكون حديثا لا بد له من ارتكاب جريمة قتل ضد السابق له زمنيا. فمثل هذا التصور سيجعل التاريخ مقبرة أو مذبحة، ولا ينجو في النهاية أحد، إن الحداثة طابور طويل جدًا يقف فيه الشعراء في أمكنتهم التي يحددها التاريخ، ولا يمكن في هذا الطابور أن (يقتحم) أحد أحدًا، أو يأخذ أحد مكان أحد، لأن التاريخ يراقب الطابور جيدا، ويعرف مراتب الشعراء جيدا ولا يسمح بالغش والاحتيال.

ويعقب المؤلف على حديث نزار قباني: إن اتهام نزار للشعر الحديث بأنه يقطع صلته بالماضي بكل ما فيه وأنه يمثل العبث والعدم وعدم الجدوى، هو إدانة لهذا الشعر بذلك، وليس اتهاما فقط، وذلك أن نزارا لا يتكلم من وجهة نظر دينية. ويختتم المؤلف كتابه بالفصل السادس الذي اشتمل على قراءات في دواوين بعض رواد الحداثة، فكانت تجربة الإنكار لدى صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي وكشف زيف آراء هؤلاء الشعراء والتطاول على المقدسات الإسلامية، وأورد المؤلف آراء الأديب عبد الله الجفري في البياتي وكشفه زيفه وسمومه وتلونه وانخداع بعض الصحف في تكريم أعماله واستضافته في العديد من الندوات.





عبد الله سالم الحميد

● **العنوان**: صور من البراءة.

● **المؤلف**: عبد الله سالم الحميد.

● **الناشر**: طويق للخدمات الإعلامية.

□ يستعرض الأديب عبد الله سالم الحميد أفكاره من خلال ٤٨ صورة.

وعلى مدى (٢٤٥ صفحة) يستكمل المؤلف سلسلة أعماله مضيفا إليها نصا إبداعيا جديدًا.

ويتناول المؤلف في الطبعة الثانية من الكتاب الأطفال المعاقين داعيا القلوب إلى الإحساس بالواجب نحوهم، ومن بين دوائر الألوان والدهشة والابتكار تجيء عناوين المقالات.

□ **لغة العشاق**: يطالب الكاتب باستخدام لغة الهمس الشاعرية المرهفة وهي أسلم وأيسر الوسائل والطرق إلى الإقناع.

□ **صورة نبلي**: قصة ذلك الشاب الذي يعشق المهنة الفنية، يجاهد ويزهد في قيمة كل ما عداها.

□ **شواغل**: في ميدان الحياة شبكة ضخمة من الشواغل التي تتفاوت في مستوياتها وقيمها وأبعادها، وكان الشاعر المتنبي شاغل الناس، ليس في زمانه وإنما تجاوز ذلك إلى أزمنة أخرى، وإذا ما تأملنا هذا التيار الشعري المتواصل وجدناه مزيجا من الثقافات والعطاءات. وفي العصر الحديث تفجرت أنماط من طاقات الابتكار والإبداع ولكن تبقى أهمية التركيز على حضور القيم.

□ **توعية رأس المال للمشروعات الناجحة**: إن إنشاء مشروع فكري أو ثقافي ورعايته لا بد أن يعكس أروع الصور المبدعة، فإن مجتمعنا بحاجة إلى مشروعات خيرية تتبناها أفكار أبنائه وطاقات أغنيائه.

□ **لون من السحر**: ذات مساء همس في أذني صوت يتساءل عن حقيقة السحر وحقيقة السحر جاء القرآن الكريم بتصديقها في قوله تعالى عن سحرة فرعون ﴿ قال ألقوا فلمّا ألقوا سحروا أعين النّاس واسترهبوهم وجاءوا بسحرٍ عظيم ﴾ الأعراف ١١٦.

□ **الأمية في التفكير**: بغير تفكير ولا عمل، ولا تدبر في شئون الكون والحياة وبدون مشاركة الناس معاناتهم وشجونهم لا يتصور أي معنى للسعادة في هذه الحياة. ومع وجود الجامعات والمدارس والمعاهد ومراكز التعليم في كل مكان، تتفاقم مشكلة الأمية الثقافية والفكرية، ونتساءل بكل براءة عن دور القراءة وأهمية الكتاب في إجازة الصيف.

□ **لغة الجهال في عصر الفضاء**: لا أحد يستطيع أن ينكر مدى تأثير اللحن على سلامة اللسان العربي وإن قفزت المرأة على متن الكتابة الشعرية الملحونة التي تحمل أبياتها معاناة نابضة وهواجس شاعرية جياشة تظل ذات طعم ونكهة إذا ما كانت تحمل كل مقومات الإبداع.

□ **الفراغ وأضواء النجومية**: في عصرنا الحاضر أصبحت «النجومية» بتسليط زخم الأضواء على ما تنتجه من أعمال لهولاء النجوم وتسهم بذلك في تكريس الفراغ والعبثية.

○ **قراءة على مفترق الفصول**: قرأت في أوراق الحياة عن أشتات انعكاسات الأحزان والأفراح، فكل إنسان متأمل لا بد أن يشعر بمعاناة الحزن والفرح.

□ **صورتان من المعاناة**: سأل أحد الصحفيين رجلا مسنا يقطن إحدى دور الرعاية للمسنين عن معاناته فتبين من إجابته إهمال أهله له.

وسئل آخر عن إحساسه بالمواطنة فنفى بكل براءة الطفولة ذلك الإحساس لماذا؟

لأنه لا يملك سكنا يؤديه، إنها صور تستقطب سلبيات الأنانية وحب الذات، نسجها أصحاب المصطفى ﷺ «الذي قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

□ **وصور أخرى**: تختلف الصور تتنافر، تتشكل، وأحيانا تتطابق إلى حد التناسخ، وما أكثر الصور المتشابهة لو تعمقنا في الملامح ووقفنا في القسمات، ولكننا ـ دائما ـ نتغاضى، نتكاسل، نجامل، ذلك بعض ما خطر لي وأنا أشهد ذلك اللقاء بين واحد من المثقفين الذين يستعجلون الوصول إلى الشهرة بوسيلة التطاول على المبدعين الكبار.

والآخر إنسان خالي الذهن من الثقافة والإبداع الفكري مغرق في البساطة والسذاجة، ولكنه يختلف عن ذلك المثقف في التعامل الأخلاقي مع ذويه والذي يفتقر إليه ذلك المثقف في معظم لقاءاته.

□ **الحصار الوهمي والانضباط**: في خضم المشاغل اليومية والأعمال والارتباطات المختلفة تحس أنك محاصر بأعمالك والتزاماتك ومواعيدك.

إن تخصيص مواعيد للزيارات، ومواعيد للقراءة ومواعيد للاستراحة في البيت تتخللها ساعات للتأمل والتفكير، فالالتزام بهذا البرنامج يحقق فوائد عظمى.

لقد استطاع المؤلف أن يجمع عدة صور اتسمت بالروعة والبساطة تدفعك إلى رؤيتها كما أراد لها وكتبها، وهذا خير دليل على صدق تلك الصور، ولعل عزيزي القارئ لا تخالفني في الاحتفاظ بها.

١٥ الأعشاب: أسرار وخفايا لا يعرفها إلا القليل



أعشاب لكل الأمراض وفي كل الفصول

التداوي بالأعشاب الطبية

إعداد: قسم الترجمة

التقدم المذهل في صناعة الأدوية لم يمنع كثيرين منا عن التطبب بأعشاب ذات قيمة وقائية أو علاجية؛ حسب التجربة، فالأعشاب الطبية لها مكانتها وشهرتها في مجتمعات متعددة، ونظرة واحدة على صيدلية صغيرة في منزل تجدها لا تخلو من أوراق نباتية. أو أزهار أو سيقان أو جذور أو ثمار أو لحاء لهذه الأعشاب.

وحكاية تداوي الإنسان بالأعشاب لها تاريخ طويل.

فقد بقيت الأعشاب والخلاصات الطبية الطريقة الوحيدة والفعّالة لعلاج معظم الأمراض والأوبئة، التي كانت تداهم الإنسان منذ فجر تاريخه، وحتى بداية القرن العشرين الميلادي، حين أفرز التطور السريع في علم الكيمياء طرقا وأساليب حديثة لتصنيع وتركيب الأدوية والعقاقير بطرق

كيميائيـة ، كان يـراد منهـا على الخصـوص تحقيق أهداف متعـددة ، من أهمها سرعة العلاج وسهـولة الاستعمال والنقل وتحقيق الربح المادي . ومع تـزايد انتشـار الأمـراض وتطـورهـا ، أصبحت صنـاعـة الأدوية المركبة كيميائيا من أكثر الصناعات الحديثة ازدهارًا في الدول المتطوّرة . وعلى الرغم من النتائج الصحّية السلبيـة المترتبـة عن استعمال الغـالبيـة العظمى من المركبات الدوائيـة الحديثة ، فإن الدول النـاميـة لم تتردّد في التهافت على شرائهـا بصـورتها النهائية دون أن تكلف نفسها ـ في معظم الأحيان ـ أمر إجـراء البحوث الـلازمة للتأكـد من فـاعليتها ومـدى ملاءمتهـا لعـلاج الأمراض المنتشرة فيهـا ، ودرجــة الخطـر الصحي الكـامن في استعمال كل منها .

وإذا كان الانتقـاص من أهمية بعـض الأدوية الصنـاعيـة الحديثـة يعـد تجاوزا للحقيقـة فإن من الضروري أيضـا الوقـوف على الأضرار المترتبـة عن استعمال الكثير منها . فعندما تشتري دواء مركبا في إحدى الـدول الصناعية ، وتقـرأ نشرة مواصفـاته ، يصيبك العجب من قلّـة الأمراض التي يعـالجها ، وكثـرة الآثـار والأخطـار الجانبيــة التي تترتب عن استعماله . ولعل في التقارير المتلاحقة التي تصدرها منظمة الصحـة العالمية أفضل دليل على صحـة ما نقـول فمنذ عـدة سنوات أصـدرت المنظمة تحذيـرا صريحا إلى المسؤولين عن القطاعات الصحية في دول العالم النـامي ، من اللجوء إلى الاستيراد الفـوضوي والعشوائي للمضادات الحيوية من الدول المصنعة ؛ لما يترتب عن ذلك من أضرار جسيمـة على الصحة العـامة في هـذه البلـدان . وأشـار التحذيـر إلى أن معظم هذه المضادات قد منع استخدامها في الدول المتقدمة بما فيها تلك التي تتـولى صناعتها ، ولكنها تباع في أسواق البلدان النـامية ، وتلقي رواجا كبيرا في غياب أيّ جهد لدراسة أضرارها وشرورها ومدى فـاعليتهـا في معـالجة الأمـراض التي صنعت من أجلها .

وأمـا الأعشـاب والخلاصــات الطبيّـة ، التي اشتهـر العـرب أكثـر من غيرهم في استخـلاصهـا والتعـرف على خصائصهـا ، فهي على العكس من ذلك . وغالبا ما تكون لكل منها خصائص علاجية ووقائية متنوعة دون أن تترتب عن استعمالها ـ غالبا ـ



الـزعفـران Saffron



العنكبـوتيـة Spiderworts

أية أضرار أو أعراض جـانبية . وعلى أن معظم هذه الأعشاب والخلاصات ـ كما سنرى ـ سهلة الجمع والتحضير والاستعمال وقليلة التكلفة .

ولقـد كـان لانتشـار الطب الحديث وتكـاثـر الصيدليات الممتلئة بكافة ضروب وصنوف الأدوية المركبـة دور كبير في انحسار دور صنـاعـة التـداوي بالأعشاب وكبح جماح تطـورها ، فتقلص إثر ذلك دور العشّابين ، وتناقص عـددهم حتى باتت هذه الصناعة التي تعد من أهم المآثر العلمية العربية في طريقها إلى الانـدثار والفناء . فما أحوجنـا اليوم إلى من يستدرك من العرب أهمية التراث الطبّي العربي ، ويعمل على إثرائه وتطـويـر أسـاليبـه في معـالجة الأمراض التي تزداد انتشارا وتفاقما في العالم أجمع في هـذه الأيـام متحــديـة بـذلك مــراكـز البحوث المتخصصة في تركيب الأدوية الصناعية .



حشيشــة الـــدود Tansy

تصنيف الأعشاب الطبية

دأب دارسـو الأعشــاب الطبيّـة مـن العـرب وغيرهم على استخـدام هذا المصطلح استخدامـا عاما شاملا ، بحيث يدل على كل أنواع النباتات أو أجـزائها ذات القيمـة العـلاجية أو الـوقـائية ضـد الأمـراض المختلفـة ، على الرغـم مما يتضمنـه هـذا التعـريف من خلط واضح بين النبـاتات العشبيـة التي لا يتشكـل في ســـوقهـــا النسيـج الخشبي ، والنباتات الشجرية التي يتشكل فيها هذا النسيج . يضاف إلى ذلك ، أن دراسي الأعشاب لم يترددوا عن إطـــلاق اسـم (عشب طبي) حتـى على أجــزاء النباتات ذات القيمة الوقائية أو العلاجية كالأوراق أو الأزهار أو السوق أو الجذور أو الثمار أو اللحاء .

ويعتبر العشّـابـون كل نبــات يتضمن أجـزاء مفيدة مـن النواحي الـوقائيـة أو العلاجيـة عشبًا . وهذا التعريف يفتح الباب واسعـا أمام عدد هائل من الأنـواع النباتيـة لـلانضواء تحت هـذا الاسم . وهناك من الدارسين وعلماء النبـات المعاصرين من ذهب إلى وضع تعريف أكثـر شمولا للعشب حين أطلقوا هذا الاسم على كل نبات يتمتع بقيمة خاصة بسبب مذاقـه أو قيمته الـوقائيـة أو العلاجيـة ضد الأمراض أو بسبب المادة الملونة التـي يحتويها عندما تستخلص منه الصبغة .

وتنطوي عملية تسمية وتصنيف الأعشاب على صعوبات جمّة ؛ بسبب كثـرتها وتعدد أنواعها . كما قـد يكون لكل منهـا اسم شـائع في بلـد ما ولكنـه يختلف عن اسمه في بلدان أخرى تنطق نفس اللغة



الـونكـة العنـاقيـة المدغشقـريـة
Madagascar periwinkle



اللـوبيليـا الأرجـوانيـة
Cardinal Flower



قفاز الثعلب
Foxglove

مثلما هي الحال في البلدان العربية، وعلى سبيل المثال، تستعمل العرب للحبة السوداء نحو ثماني تسميات هي: حبّة البركة والحبة السوداء والكمّون الأسود والفقاح الأسود والكمّون البرّي والقَزْحة والقَحْطة والبَشْعة. وتضاف إلى ذلك مشكلة الفقر المعرفي لدى عامة الناس بعلم الأعشاب وتسمياتها، بسبب نقص المراجع المتعلقة بها وعدم حاجتهم إلى زراعتها أو شرائها أو استخدامها حتى أصبح من يقرأ بحثا متعلقا بها يصب بالعجب من كثرة الأسماء التي يصادفها دون أن يعرف شيئا عن هذه الأعشاب المقصودة. ولعل الكثيرين ممن سيقرؤون هذه المقالة لا يعرفون شيئا عن (أزريون الحدائق) أو (الأفنتين) أو (الترنجان) أو (بقلة الملك) وما إلى ذلك من الأسماء التي لا تكاد تحصر أو تعد. وفي رأينا أنه لا حل لهذه المشكلة إلا بسعي العشّابين والباحثين النباتيين إلى نشر البحوث المتعلقة بخصائص النباتات في وسائل الإعلام الشعبية وهي مقرونة بالصور الملّونة الواضحة لكل واحد منها بالإضافة إلى تسمياتها الشائعة وتصنيفها العلمي.

قصّة اكتشاف الكينا

تنطوي القصّة الحقيقية لاكتشاف الكينا على مغزى تقديم الدليل على ما يمكن أن يكون للأعشاب الطبيّة من أثر فعّال في معالجة الأمراض الخطيرة. ونسوق هذه القصة هنا مختصرة ومركزة عن تلك التي رواها لنا العالم الطبيب الراحل الدكتور أمين رويحة في كتابه القيّم (التداوي بالأعشاب) تحت عنوان (شجرة في الجبال).

كان الحزن الشديد يخيّم على قصر آل (كينكون) في ليما عاصمة البيرو بعد أن داهم مرض الملاريا القاتل المركيزة (فرانسيسكا) زوجة المركيز حاكم البلاد. وأصبح كل من يزورها في القصر وهي ممددة على سريرها تتصّبب عرقا من الحمي الشديدة التي ألمت بها يكاد يكون على يقين من أنها تدنو من الأجل المحتوم بخطى وئيدة. كاد المركيز يصاب بالجنون من فرط حزنه وهو يرى زوجته تصارع الموت، فقرّر استدعاء كل أطباء البلاد الذين كان يشهد لهم بالكفاءة إلى قصره. وما كان أي منهم يتفحص المركيزة إلا ويظهر الحزن واليأس على وجهه، فالموت المحقق للمركيزة أصبح أمرا لا مراء فيه.

لم يقتنع المركيز بآراء أطبائه، بل أنّبهم أشد التأنيب متهما إياهم بعدم الكفاءة في مهنتهم، ثم أمر فرسانه بالطواف في أنحاء البلاد لشرح حالة المركيزة والبحث عن شخص يمكنه إنقاذها. وقيل لأحد الفرسان من رسل المركيز عن وجود شيخ كبير في قمة جبل (آندة) معروف بخبرته بالأعشاب والعلم بأسرار التداوي بها فأحضره إلى القصر.

قال له المركيز:

ـ أأنت هو الرجل الذي قيل لي: إنه يعرف أسرار الأعشاب ويمكنه إنقاذ زوجتي من المرض؟ دعني أؤكد لك أنك إن فعلت ذلك غمرتك بالذهب والمال.

قال الشيخ:

ـ نعم يا سيدي أنا هو ذلك الرجل. ولن أبتغي من ذلك مالاً أو جاها بل إنني سأفعل ذلك لوجه الله. وبعد أن نال الشيخ ما نال من استهزاء وسخرية أطباء القصر وحاشية المركيز، بلغ سرير المركيز وأخرج من كيسه الممتلئ بأنواع الأعشاب قشورا جافة غلاها بالماء واستخرج منها شرابا خضّه وصفّاه وأخذ يعطي المركيزة منه جرعة تلو الأخرى.

كانت المركيزة تقول في كل مرة تتذوق فيها الشراب:

ـ يا إلهي ما أمّر مذاقه..!

وما هي إلا فترة وجيزة من الزمن حتى دخلت المركيزة في سبات عميق، حتى ظنّ المركيز أنها ماتت ولكن الشيخ طمأنه إلى أن ذلك ليس إلا علامة على بداية شفائها.

ولم تمض إلا أيام قلائل على العلاج حتى شفيت المركيزة تماما من مرضها، وعاد الشيخ إلى جبله رافضا عروض الملك بأن يصبح طبيبه الخاص وصادّا عن قبول الهبات والعطايا التي عرضها عليه، حيث فضّل أن يعود إلى موطن أعشابه يستخلصها ويدرسها ويفيد بها من هم بحاجة إليها كحال هذه المركيزة التي شفاها الله على يديه.

حدثت هذه القصة عام ١٦٣٠م واعتبرت نقطة تحوّل بارزة في علاج مرض الملاريا. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الشجرة التي اقتلعت منها القشور الشافية من مرض الملاريا تدعى شجرة (الكينا) نسبة إلى أسرة آل (كينكون). وهي الشجرة التي استخرج منها فيما بعد مركب (الكينين) الذي بقي يستعمل كدواء وحيد لعلاج مرض الملاريا ثلاثة قرون متواصلة.

بين الماضي والحاضر

تتفق جميع المصادر التاريخية على أن الفراعنة كانوا على دراية واسعة بأسرار الأعشاب وأصول التداوي بها. ويؤيد ذلك ما وجد في قبورهم ومعابدهم من أنواعها التي كانت تستخدم لأغراض العلاج من الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الوقت. واشتهر الهنود والصينيون القدماء بهذا الفن الذي انتقل من بعدهم إلى اليونانيين. **ويعود للأطباء والعشابين العرب الفضل في نقل هذا الفن إلى أوربا غداة فتح الأندلس، كما نقل الأوربيون الكثير من أسرار الأعشاب عن الأطباء العرب عند قيامهم بترجمة مؤلفات ابن سينا والرازي وغيرهما.**

وبقيت مهنة المداواة بالأعشاب مشاعة لكل الناس لا تحكمها أية ضوابط قانونية ولا تستند في الكثير من الأحوال إلى بحوث علمية تحليلية تسمح بالتأكد من المواد الفعالة فيها و إمكاناتها الخاصة في معالجة الأمراض التي كانت توصف لعلاجها، وقد يكون هذا أحد أهم أسباب تقهقرها. وما أحوجنا اليوم نحن العرب إلى إنشاء معاهد مخصصة لتطوير الطب العربي، يتخرج طلابها بشهادات عليا

ويعملون على إحياء تراثنا الطبي و إثرائه ونشره والاستفادة من مآثره، وتجهيز وتعليب الأعشاب الطبية المخصصة للوقاية والعلاج من الأمراض بما يكفي السوق العربية والتصدير إلى البلدان الأخرى التي يندر فيها وجود مثل هذه الأعشاب.

ولقد قطعت نحو أربعين كيلومترا لأسأل واحدا من أشهر العشّابين الجزائريين عن أسرار مهنته. وكان أكثر ما استرعى نظري الإزدحام الشديد للمرضى في بهو عيادته بحيث يتوجّب على كل منهم أن ينتظر ما يقرب من ساعتين حتى يتسنى له عرض حالته على العشّاب والخروج بعلبة أو اثنتين من الأعشاب مع وصفه لطريقة الاستعمال. ولو وصف هذا العشّاب مهنته بأنها فن يفوق في تعقيده الطبّ الحديث ويحتاج إلى معلومات وخبرة تفوق تلك التي يحتكم إليها الأطباء العصريون. ويؤكد بأن هذه المهنة تتطلب الموهبة وسعة الاطلاع على أعراض ومسببات الأمراض المختلفة ومعرفة القدرات الكامنة في كل من الأعشاب المستعملة لمعالجة ودحر أمراض محددة. ولعل الأهم من كل ذلك هو ما أشار إليه من أن هذه الصنعة لا تنتقل بالصدفة من شخص إلى آخر بل لا بد للعشّاب المبتدئ أن يمارس هذا الفن مع عشّاب خبير لفترة طويلة من الزمن، ،وعشّابنا هذا قضى فترة طفولته المتأخرة ومعظم فترة شبابه في عيادة والده الذي سبقه إلى شهرة أكبر ودراية أوسع بأسرار هذه الصنعة.

ولم نعثر في المراجع المتوفرة لدينا على ما يشير إلى قيام دولة ما بتنظيم مهنة التداوي بالأعشاب قبل إيطاليا. ففي عام ١٢٢٤م أصدر قيصر روما قانونًا يقصر مهنة جمع الأعشاب وتحضيرها للاستعمال الطبي على العشّابين كما يقصر مهمة وصف وتحديد الجرعات اللازمة من خلاصات الأعشاب والنصح بطرق استعمالها على الأطباء.

وشهدت صناعة التداوي بالأعشاب إهمالا وتناسيا في أوربا وأمريكا بعد منافسة الأدوية الصناعية لها. وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام ١٩١٤م حتى كتب لهذه الصناعة أن تستعيد بعض مجدها بسبب انصراف المؤسسات الصيدلانية إلى إنتاج المواد الكيميائية التي تعد من لوازم الحرب وخاصة في ألمانيا. وانصرف بعض العلماء إلى الاشتغال من جديد بدراسة الأعشاب البرّية من حيث طرق زراعتها واستعمالها والتعرف مخبريا على أهم خلاصاتها الطبيّة التي يمكن استعمالها في علاج الأمراض الشائعة في ذلك الوقت. وورد في إحصائيات رسمية أن ألمانيا كانت في تلك الفترة تستهلك سنويا ٨٠٠ طن أزهار البابونج المجففة و٤٥٠ طنا من أزهار الزيزفون. وبلغت قيمة واردات ألمانيا من الأعشاب الجافة سنويا ٧٠ مليون مارك ألماني في نفس الفترة.

ولقد أعلنت إحدى شركات إنتاج العطور الفرنسية الشهيرة قبل سنوات عن رغبتها في شراء قطارة زهر الياسمين مقابل مائة ألف فرنك فرنسي للتر الواحد (حوالي عشرين ألف دولار). وتتم عملية تقطير الياسمين بوضع كمية كبيرة من الأزهار المقطوفة حديثا في جهاز التقطير (الأنبيق أو ما شابهه) وتضاف إليها كمية قليلة من الماء ثم ترفع درجة حرارة الأنبيق إلى حوالى ٧٠ درجة مؤية. وهي درجة كافية لغليان عطر الياسمين فيتصاعد بخاره الممتزج مع القليل من الماء ليتحول بعد ذلك إلى سائل عند مروره في المكثف ويتم جمعه في قوارير زجاجية مغلقة.

وتذكر مصادر صناعة العطور والأدوية الفرنسية أن هذه الصناعة فقدت مصدرًا استراتيجيا هاما لموادها الأولية من خلاصات الأعشاب والزهور عقب استقلال الجزائر. ويذكر ـ اليوم ـ الجزائريون الذين عاصروا فترة الاستعمار الفرنسي كيف كانت شركات إنتاج العطور والأدوية تقوم بزراعة آلاف الهكتارات من أراضي سهل المتيجة الخصب بالياسمين والورد والنباتات ذات الخلاصات الطبيّة المفيدة من أجل تزويد مصانعها في فرنسا بها. واشتهرت بهذه الزراعة مدينة البليدة التي تبعد نحو ٤٠ كيلومترا إلى الجنوب الغربي من



ثمار الورد البرّي (جوز الورد) Rose Hips

مدينة الجزائر حتى سميت هذه المدينة (مدينة الورود).

ونأمل من ذكر هذه الحقائق أن يحرص المزارعون في بلادنا العربية على الإهتمام بإعادة الإعتبار لقطاع إنتاج الأعشاب المفيدة بما يضمن توفيرها للسوق المحلية وتصدير الفائض منها إلى البلدان التي لا تستزرع فيها بسبب عدم ملائمة المناخ.

جمع الأعشاب الطبية وتحضيرها للاستعمال

تحتوي النبتة الطبيّة في معظم الأحوال على أنواع مختلفة من المواد الفعّالة طبيًا. وقد يكون المركب المفيد في النبتة موجودا في بعض أجزائها فقط كالأزهار أو الثمار أو الأوراق أو السوق أو الجذور أو البذور أو يكون موجودا في النبتة كلها. ومهما يكن من أمر فإن جمع الأجزاء المفيدة من النبات وتخزينها وإعدادها للاستعمال يجب أن يتم وفق شروط وقواعد معينة حتى تتحقق الفائدة القصوى من استعماله فيما بعد.

وتتخلص قواعد جمع الأعشاب الطبية فيما يلي:

١ ـ يجب أن تجمع الأجزاء الفعّالة من النبات في أوقات معينة من السنة تكون فيها هذه الأجزاء في أوج نضارتها وحيويتها وفاعليتها.

٢ ـ يتم قطف الأزهار صباحا بعد أن يجف



درس في إحدى مزارع الأعشاب الأمريكية في فوائد الأعشاب الطبية وطرق زراعتها واستخلاص الأجزاء الفعالة منها واستخدامها وقائيا وعلاجيا



مزرعة نموذجية لإنتاج الأعشاب في أمريكا

عنها الندى ويستحسن انتقاء حديثة التشكل منها .

٣ ـ تقطف الأوراق والسوق والجذور والقشور بعد الظهر بعد أن تكون قد امتصت من ضوء الشمس كفايتها .

٤ ـ يجب مراعاة عدم تخزين الأجزاء المختلفة من النباتات وهي رطبة أو مبللة لأن ذلك يعرضها للفساد .

٥ ـ تجمع الجذور في بداية فصل الربيع أو الخريف وتغسل جيدا بالماء لإزالة التراب والأوساخ العالقة بها ثم تجفف .

وتعد عملية تجفيف الأعشاب أو أجزائها من أهم وأدق المراحل التي تهيئها للحفظ لمدة طويلة . وتتطلب هذه العملية تعريض الأزهار أو الأوراق للهواء بعد فرشها على قطعة قماش في منطقة ظليلة قريبة من أشعة الشمس . ويفضل أن لا تعرض هذه الأجزاء لأشعة الشمس المباشرة لأن ذلك يفقدها الكثير من المواد العطرية الفعالة . أما البذور والجذور واللحاء فيفضل تجفيفها بتعريضها لأشعة الشمس المباشرة . ويجب أن تستمر عملية التجفيف حتى يفقد العشب كل الماء القابل للتبخر لأن بقاء الماء يؤدي إلى تعفن العشب وفساده . ويمكن أن تتم عملية التجفيف بإمرار تيار من الهواء الساخن فوق الأعشاب ، وهي طريقة صناعية يتم اللجوء إليها عندما يراد إنتاج الأعشاب بكميات تجارية . ويتم تخزين الأعشاب الجافة في عبوات مناسبة تمنع عنها الرطوبة .

وهناك طرق متعددة لصناعة الأدوية من الأعشاب أو أجزائها نلخصها كما يلي :

١ ـ تحضير شراب الأعشاب : يستعمل شراب الأعشاب الطبية على نطاق واسع لعلاج أمراض الفم والجهاز الهضمي والتنفسي . ويحضر الشراب بطرق متعددة من أكثرها شيوعا تلك التي تشبه طريقة تحضير الشاي .

٢ ـ تحضير عسل الأعشاب : يحضر بطبخ عصير العشب مع ضعف كميته من عسل النحل حتى تنخفض درجة رطوبة المزيج ويزداد لزوجة ثم يترك ليبرد .

٣ ـ تحضير مرهم الأعشاب الطبية : يحضر بطبخ عصير العشب أو أجزائه مع زبدة الحليب أو زيت الصوف (اللانولين) .

٤ ـ تحضير الخلاصات العشبية للاستحمام : يتم غلي أو عصر العشب ثم يضاف الناتج إلى ماء الحمام ليغمر المريض جسمه فيه . وتعالج بهذه الطريقة العديد من الأمراض الجلدية والعصبية والروماتيزم .

٥ ـ تحضير بخور الأعشاب الطبية : يستعمل العشب الجاف كبخور بحرقه واستنشاق دخانه المنطلق ضمن حيّز ضيق (تحت منشفة جافة تغطي الرأس مثلا) . وغالبا ما تعالج بهذه الطريقة الأمراض التنفسية .

٦ ـ تحضير الأعشاب للحكّ والجَلْد : تستعمل في هذه الطريقة باقة من عشب القرّاص لحك وجَلْدِ المريض بالروماتيزم في أماكن الإصابة كالعضلات والمفاصل .

وعلى أن التداوي بالأعشاب يخضع للعديد من الضوابط والأحكام من أهمها ضرورة التقيد بالجرعة المناسبة ومواعيد تناولها . فالجرعة التي تقل عن المقدار الفعال لا يكون لها التأثير الكافي والمنشود في معالجة مرض ما ، والجرعة الزائدة عن المقدار المناسب قد تكون لها تأثيرات وخيمة على الصحة . ولعل من المهم الإشارة إلى التحذير الذي يردده خبراء الأعشاب والذي يدعو الناس إلى تجنّب تناول الأعشاب المجهولة لأنها قد تكون من أنواع النباتات السامة .

المراجع

١ ـ (التداوي بالأعشاب) الدكتور أمين رويحة . دار القلم . بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٧٨م .

2 - (HERBS FOR ALL SEASONS). L. Aikman and L. Kohl, photographs by Sam Abell. "NATIONAL GEOGRAPHIC" magazine, Volume 163, No. 3, MARCH 1983.



قصر جاريمالدي

دُرَّة "الصخرة التي يعشقها العالم"

أعد الاستطلاع : كامل يوسف حسين

ما إن يرد ذكر إمارة موناكو، حتى يقفز إلى الذهن أشهر معالمها على الإطلاق، أي قصر جاريمالدي، الذي يجسد بوضوح تاريخ الإمارة، على الأقل منذ إنشائه في العام ١٢١٥م وحتى اليوم.

وكما تقول نادية لاكوست ــ المتحدثة الرسمية باسم أمير موناكو ـ في حوارنا معها : فإنه حيثما تطلعت إلى الأفق في موناكو فلا بد أن تلمح قصر جاريمالدي، أو أثره على الحياة في موناكو.

وهي تفسر ما تحمله هذه العبارة بالإشارة إلى أن قصر جاريمالدي ليس مجرد قلعة تاريخية، وإنما هو مقر العائلة المالكة في موناكو، التي تشكل أبرز ما يرتبط باسم موناكو بحكم أن الأمير رينيه الثالث والعائلة الحاكمة بذلا جهدا هائلا على امتداد عشرات السنوات لتطوير الحياة على أرض موناكو، بحيث استحقت لقبها الشهير «الصخرة التي يعشقها العالم»، وذلك بالنظر إلى محدودية مساحة إمارة موناكو، وفي الوقت نفسه تطور معالم الحياة والنشاط والإبداع فيها على نحو يستقطب اهتمام العالم كله.

وقبل الانطلاق مع الألوف من السياح الذين يتوجهون إلى قصر جاريمالدي يوميًا في إقبال لا نظير له، قد يكون المدخل الصحيح إلقاء نظرة على معالم التاريخ، التي تعكس عبقرية هذا المكان وقدرته على استقطاب الأنظار والقلوب معًا.

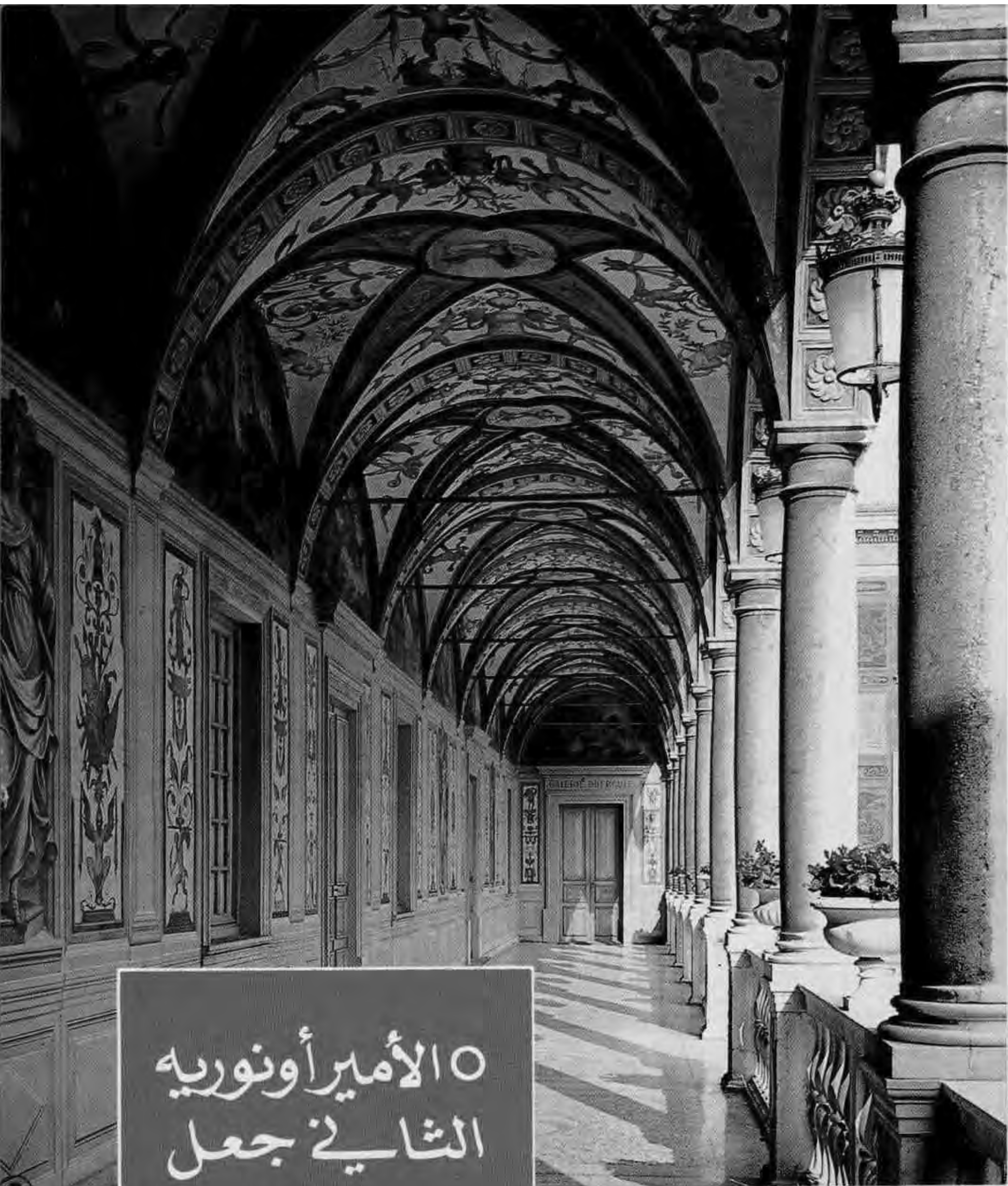
قراءة في تاريخ شامخ

يجسد المعمار المربّع الصامد، الذي يمثل قصر جاريمالدي، عناد عائلة جاريمالدي الحاكمة في موناكو وصلابتها وصمودها في مواجهة تقلبات تيارات التاريخ في أوربا، على امتداد سبعة قرون.

وما زال القصر، الذي هو أقرب إلى القلعة، يحتفظ بأبرز عناصر البناء التي كانت له مع إنشائه في العام ١٢١٥م، ممثلة في الأبراج القديمة المقامة حتى اليوم بالحجارة الأصلية القديمة، جنبًا إلى جنب مع الإضافات والتوسعات التي شهدتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

وقد أحكم فرانشيسكو جاريمالدي قبضة عائلته على القصر - القلعة - منتزعًا إياه من عائلة منافسة من جنوا بإيطاليا في العام ١٢٩٧م، وحرص من خلفوه في تولّي عرش الإمارة الواقعة في جنوبي فرنسا، غير بعيد عن الحدود الإيطالية على توسيع القصر وتحصينه، حتى بلغ من البهاء والشموخ ما سمح باستضافة الإمبراطور شارل الخامس فيه.

وكان الأمير أونوريه الثاني هو المجدد العظيم للقصر - القلعة - وهو الذي استحدث التنظيم لمعالمه، وأضاف إليه توسعات كبرى، في الحدائق والنوافير وغيرها من المعالم الجمالية، ولما كان من عشاق الفن التشكيلي البارزين فقد جمع أكثر من سبعمائة لوحة لأبرز عباقرة الفن التشكيلي في العالم. وقد رسم لنا المؤرخ جوان لو لابورور الذي أقام في القصر في العام ١٦٤٦ صورة مضيئة لما كان عليه في ذلك العهد، حيث أشار إلى أن أونوريه الثاني جعل من قصر جاريمالدي منافسًا باهرًا، وإن يكن على مستوى مصغر، لقصر فرساي الشهير، الذي تفننت العائلة المالكة الفرنسية في إبداعه والإنفاق عليه.



جالبري المرايا.

○ الأمير أونوريه الثاني جعل من القصر منافسًا لقصر فرساي الشهير

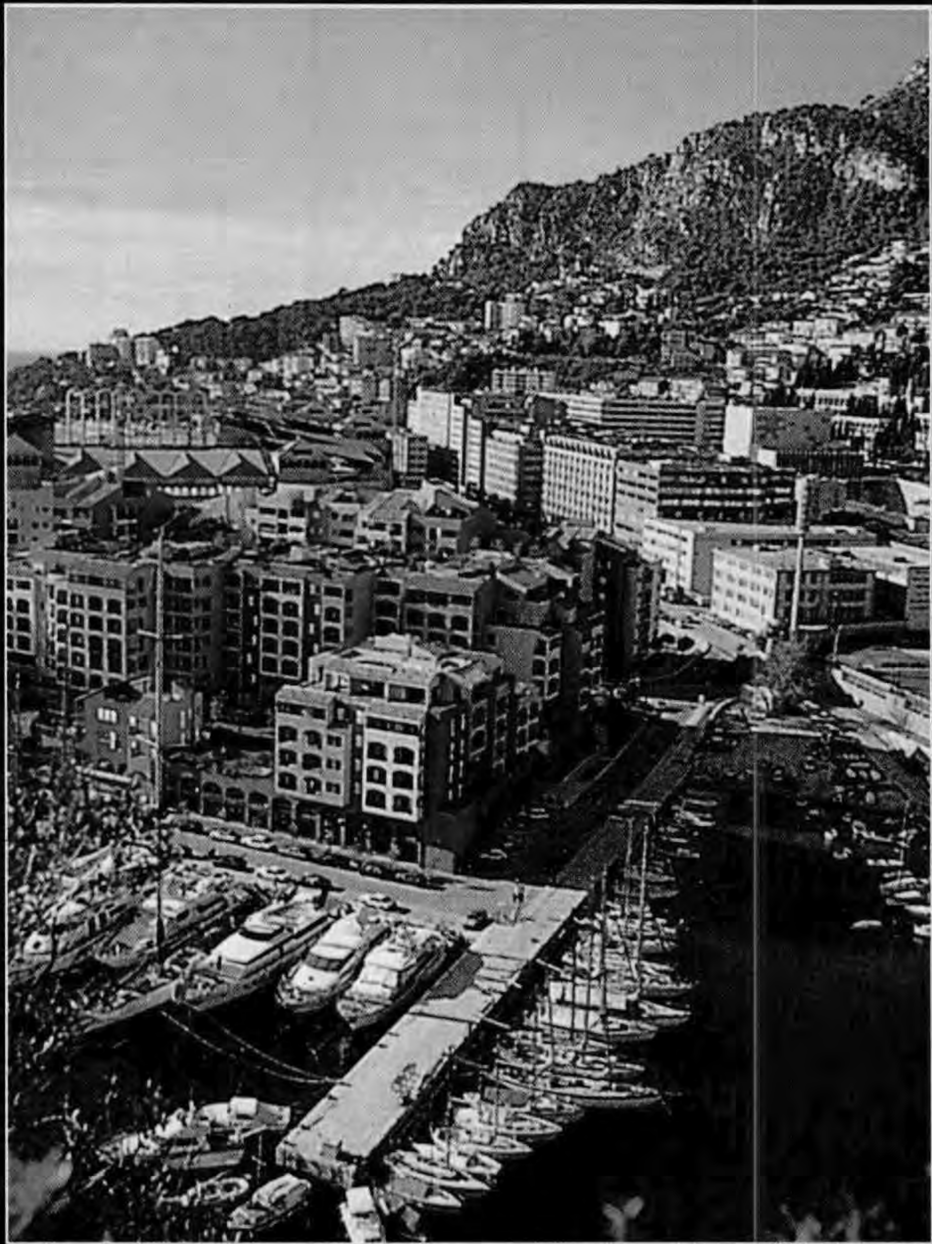
وشأن أي كائن حي يمر بفترات انتعاش وتألق وفترات خمود وتراجع، عرف قصر جاريمالدي مراحل الشهرة، فلدى قيام الثورة الفرنسية تعرض قسم كبير من القصر للتخريب والتدمير مع قيام فرنسا بضم إمارة موناكو إليها، وعقب انحسار هذه المرحلة من تاريخ القصر، كان لا بد من سنوات طويلة لإعادة إعماره وتجديده.

وقد كان الأمير الحالي رينيه الثالث هو الذي أفلح في تتويج جهود عملاقة لإعادة القصر إلى قمة شموخه، حيث تم تغيير أرضياته بكاملها، وأحل محلها المرمر الإيطالي المزخرف بالتصميمات الأصلية.

صرح من الزمن الجميل

وبمبادرة من الأمير رينيه الثالث أيضا تم بناء جناح جديد في القصر، يضم العديد من القاعات والغرف الخاصة بالعائلة المالكة، كما يضم المتحف





> ”المتحف النابليوني أجمل ما في القصر، وفي إطار فني وتاريخي باهر“

النابليوني الشهير، الذي يحتوي على العديد من الآثار والتحف وذكريات زيارة الإمبراطور نابليون بموناكو ونزوله في القصر.

ويسترعي نظر الزائر، بالإضافة إلى روعة المرمر والزخارف وعناصر الديكور وقطع الأثاث الفريدة والتحف التي لا نظير لها، ذلك العدد الكبير من اللوحات من إبداع مشاهير الفن التشكيلي في العالم، الذي يزين جدران القصر، فهناك على سبيل المثال لا الحصر، لوحات لكل من : نيكولاس وبيير مينارد، جورجس، ليبرو، فان لو، ريجو، بريساي، بيير جوبير، وغيرهم كثير.

ويتوقف الكثير من زوار القصر عند قاعة معينة من قاعاته، هي قاعة يورك، لا لضخامتها وأثاثها الرائع ولوحاتها المتألقة فحسب، و إنما أيضا لما يحيط بها من قصص وأساطير، ففي هذه القاعة وفي نحو نهاية القرن الثامن عشر لفظ دومر يورك أنفاسه الأخيرة، ويتوقف الزائر طويلا عند الفراش ونقوشه و إطاره وكلها مزينة بالمنحوتات المذهبة التي تقود إلى القرن السابع عشر، وتتألق أمام العيون وعدسات الكاميرات تحف بديعة من البندقية واليابان وباريس، بينما السقف بكامله تشغله جدارية نادرة المثال يتوسطها شعار عائلة جاريمالدي، وهي من إبداع الفنان جريجوريو دي فيراري، انتهى من إنجازها في العام ١٦٨٨م وهي تخلع على هذه القاعة بصفة خاصة لمسة فنية فريدة ومتميزة.

وتقول الأسطورة المرتبطة بهذه القاعة، والتي ترجع في أصلها إلى حكايات كان يرددها الصيادون في شرقي موناكو : إنه في القرن الثامن عشر اضطر دوق يورك شقيق الملك جورج الثالث ملك إنجلترا إلى التخلي عن سفينته غير بعيد عن ساحل إمارة موناكو وطلب المساعدة من الأمير. وقد أصاب الدوق مرض عضال، فقضى نحبه في هذه القاعة، ويقول الصيادون : إنه خلال مرضه، وحتى وفاته، كانت امرأة ترتدي ثيابًا بيضاء تظهر كل يوم في منطقة بوان دي لافيل، التي اضطر فيها للتخلي عن سفينته وتقضي الساعات محدقة باتجاه القصر، وعندما حملت السفينة الجنازية جثمان الدوق يورك في الطريق إلى إنجلترا واختفت عن نهاية الأفق،



تغيير الحرس أمام قصر جاريمالدي



المتحف النابليوني

انطلقت صرخة حادة من المرأة، واندفعت إلى الأمواج بلا عودة، وهكذا تداخل التاريخ مع حكايات الصيادين وقصائد الشعراء لنسج هذه الأسطورة التي تروي رمزًا للوفاء.

المتحف النابليوني

يعد المتحف النابليوني من أجمل ما يضمه قصر جاريمالدي وهو في الجانب الأعظم منه يعود إلى الأمير لويس الثاني أمير موناكو الأسبق، الذي كان يحمل لقب الجنرال في الجيش الفرنسي، والذي قام خلال حكمه لموناكو بجمع العديد من التحف والتذكارات المتعلقة بنابليون وعهده.

وتتمثل الإضافة الحقيقية التي قام بها الأمير الحالي لموناكو، رينيه الثالث، فيما يتعلق بالمتحف النابليوني في بُعدين محددين، أولهما إضافة المزيد من القطع الأصلية إلى مجموعة لويس الثاني، أما البعد الثاني فهو وضع المجموعة في إطار فني وتاريخي باهر، وإتاحة المجال أمام الجمهور من أبناء الإمارة والسياح على السواء للاطلاع عليها.

والمتحف النابليوني موجود في الجناح الجنوبي من القصر، الذي شيده الأمير رينيه الثالث حديثًا، كما توجد في القاعات العليا من هذا الجناح ثروة فريدة، لمن يعرف قيمتها، تتمثل في أرشيف القصر، حيث تحتشد الألوان من الوثائق التاريخية المتعلقة بالإمارة وتاريخها، وبصفة خاصة تطور علاقاتها مع فرنسا، ويمكن للباحثين والدارسين الاطلاع على هذه الوثائق، لدى طلب ذلك من فريق الخبراء المكلف بهذه المهمة.

وللزوار من ذوي الاهتمامات والهواة الذي يعشقون هذا الجانب، يتيح قصر جاريمالدي فرصة نادرة للاطلاع على مجموعة العملات والقطع النقدية التي أمر أمراء موناكو بسكها منذ العام ١٦٤٠م، إضافة إلى مجموعة الطوابع الفريدة التي أصدرتها إمارة موناكو منذ عهد الأمير تشارل الثالث.

مشاهدات أخرى

بقيت - أخيرًا - مجموعة ملاحظات لا يمكن أن تفوت زائر قصر جاريمالدي أو تغيب عن ناظريه.

لقد شاهد كاتب هذه الكلمات مراسم تغيير الحرس في العديد من مناطق العالم، من سفوح التبت شرقًا إلى جبال البرانس غربًا، ولكن قلما بدت عملية تغيير الحرس متألقة وباهرة كما هي الحال أمام قصر جاريمالدي.

ويسترعي النظر أيضًا أن الحرص على الأصالة قد بلغ بالقائمين على شؤون القصر حدًّا ذهبوا معه إلى إبقاء الأبراج باللون الأصلي التقليدي لحجارتها التي ترجع إلى القرن الثالث عشر، وأصروا على عدم طلائها باللون الوردي الذي طليت به باقي أجنحة القصر، وقالوا: إن الأصالة تفر من نفسها حتى في مواجهة ما يبدو لبعضهم أنه اختلاف ظاهر في الألوان، ذلك أن الأبراج ملك لكل الأجيال وليس من حق جيل واحد أن يشوهها ليفرض طابعه الخاص على القصر.

ومن الجميل حقًّا أنه بعيدًا وفي أقصى الجانب الآخر من الميدان الداخلي للقصر، حتى لا تشوه الصورة الإجمالية له، يصادف الزائر مجموعة من المحال والحوانيت، التي تبيع التذكارات والهدايا للسياح، ليعودوا إلى بلادهم وقد حملوا ذكرى مادية بموناكو، إلى جوار الذكريات التي استقرت في القلب والذهن عنها، باعتبارها حقًّا «الصخرة التي يعشقها العالم».

المصادر

(1) All the Principality of Monaco - edited by : Escudo De OrO - The Tenth Edition 1990 - Barcelona.

(٢) مقابلة أجراها الكاتب مع نادية لاكوست، المتحدثة باسم أمير موناكو، خلال جولة في موناكو في صيف ١٩٩٢م.

من عادات الشعوب

حياة الودابي أغنية للبقاء

خلال أقل من عقد واحد من الـزمان، ضرب الجفاف الشريط الأفريقي العملاق، الممتد من أثيوبيا شرقًا، حتى النيجر ومالي وفولتا العليا غربًا.

وفي غمار هذه المأساة، أعادت المجاعة والهجرة الجماعية ترتيب الكثير من الأوراق، في حياة شعوب القارة، أو قل أسلمت لـرياح القدر أن تمضي بهذه الأوراق، فتمزقها، وتفرق مضامينها أيدي سبأ.

ومع ذلك، ففي غمار هـذا الجفاف المميت، الـذي ضرب الأرض مـاءهَا ونبـاتهَا، وأهلك قطعانها، وهجـر تجمعاتها البشريـة، امتدت أيـدي تجمعات بشريـة ممدودة في القـارة، لتتكـاتف وتـواصل الصمـود والبقـاء والاحتفاظ بطـريقـة حيـاتها، وعـاداتها وتقاليدها، حتى النفس الأخير، المتردد في صدر آخر رجل استطاع أن يقاوم الموت.



النيجر حيث تعيش قبائل الوادبي

وفي مقـدمـة الصامـدين أمـام النكبـات التي توالت مع تفـاقم الجفاف، قبـائل «الودابي» التي تعرف أحيـانًا بـاسم قبائل «البـورورو»، وتشتهر بأنها أشد قبائل أفـريقيا البدوية صـلابة وتشددًا في تمسكهـا بطريقـة حيـاتها الموروثة عبر الأجيـال من الأسلاف، التي عـاشتها جوابة الآفـاق على امتداد آلاف الكيلـومترات، بحثـا عن الكـلأ في أرجـاء النيجر بغربي أفريقيا.

وإذا كـان عـدد سكـان النيجـر يبلغ حسب تقـديـرات ١٩٨٠م نحـو ٤٣٢٥٠٠٠ فإن قبـائل «الهوسـا» في الجنـوب تشكـل ٤٠٪ من مجمـوع السكان. وبـالمقابل، فـإن الودابي ليسـوا إلا أقلية محدودة العـدد، تعيش حياة البـداوة الصارمـة، لا تكف عن التنقل، وتأبى الاستقرار والانـدماج مع التجمعات الزراعية والمدنية.

ورغم ذلك، فإن هذه الأقلية تستحق الاهتمام لأسبـاب عـديدة، ففي المقـام الأول يلفت النظـر بشكل خـاص جوهـر العـلاقـة بين قبائل الـودابي والطبيعة. ولفهم هذه العـلاقة ينبغي أن نعرف أن الحريـة بـالنسبة للـودابي، هي حجـر الأسـاس في حياتهم، وهي حرية يضعونها موضع التوقير، الذي يـوشك أن يـرقى إلى القـداسـة، حـريتهم في أن يتحركوا مع قطعـانهم، إلى حيث تناديهم الطبيعة، للعثور على ما تمنحهم إياه، لكي يواصلوا البقاء.

بهذا المعنى فإننـا في مواجهـة الودابي، وربما في مواجهة كل التجمعات البشرية البدوية والرعوية، بإزاء استغراق كامل في الطبيعـة، بإزاء هذه الرابطة النفسية والعضـوية التي تـربط الإنسـان والطبيعة والقطعان، في مثلث يتحدى الانكسار.


فتاة تتزين لاحتفال «جيروول» السنوي

الأصالة أولاً

والـرحلـة في فهم قبـائل الـودابي تتعمق، من ناحية أخرى، بمعرفة أنهم، من الناحية التاريخية، جزء من شعب «الفولاني»، الذي حكم في سمت مجده معظم غرب أفـريقيا، في أوائل القـرن التاسع عشر، وعنـدما تخلى معظم أبنـاء هـذا الشعب عن حيـاة البداوة، وعمـدوا إلى الاستقرار في تجمعـات ثابتة، رفضت قبـائل الودابي هذا الاتجاه، وتشبثت بنمط الحيـاة القديمـة، باعتبـاره مرادفًا للأصـالة والعـراقة، ومن هنـا يأتي اعتـداد الـودابي الشديـد بأنفسهم.



الرجال أكثر ولعًا بالزينة!



جانب من الحياة اليومية

وقبل موجة الجفاف الكبرى في عامي ١٩٨٤ - ١٩٨٥، التي ألحقت الموت والدمار بالبشر والقطعان، في صحراء أفريقيا الكبرى، كانت ٤٥ عشيرة من عشائر الودابي تواصل حياة الرعي والبادية، أما اليوم فلا يوجد إلا جانب محدود من هذا العدد من العشائر، بعد أن أعمد القتل يده عبر الجفاف في قطعانهم، المعروفة باسم «الزيبو» والتي يستند إليها وجودهم ذاته.

وفي الوقت الذي راحت فيه قبائل الرعاة الكبرى في أفريقيا تتخلى عن حياة الرعي، وتستقر في تجمعات زراعية، وعلى رأسها قبائل الماساي، الزولو، الدنكا، الشيلوك، والكارامجونج، فإن الودابي يواصلون التشبث بحياتهم الرعوية؛ لأنها تعادل بالنسبة لهم البقاء ذاته.

ولعل هذه الحقيقة ذاتها هي التي جعلت القبائل الأخرى تنظر إليهم بقدر من النفور، إن لم نقل الرفض، فهم عند بعضها يلقبون بـ «شعب المحرمات» وعند بعضها الآخر بـ «القوم الذين ينبغي تجنبهم».

ولكن الودابي يواصلون حياتهم الصعبة، في ضوء اهتماماتهم الأصيلة العريقة نفسها، التي لم يفلح شيء في تغييرها: الجمال، العائلة، والقطيع.

وليس من قبيل الصدفة أن نورد الجمال هنا أولاً، فالودابي يوقرون الجمال منذ وجودهم في المهد، وربما كان هذا رد فعل توارثته الأجيال على عملية اختلاط قبائل الفولاني الأخرى، من أبناء أعمامهم، بغيرهم واستقرارهم في تجمعات، لا تقوم على مبدأ القرابة.

ملامح عربية

والودابي يخشون التشوه ويرهبونه، وهذا أمر مفهوم في ضوء حياتهم العملية الصعبة، التي تقضي استغلال كل الإمكانات المتاحة.

والملامح الأكثر تلقيًا للإعجاب لدى الودابي، تكاد تكون ملامح عربية خالصة، فهم يحبون البشرة السمراء، الأقرب للون الفاتح، أو إن شئت فقل اللون الخمري، ويعجبون بتركيب العظام المتكامل، وبالأجسام الرشيقة، ويحبون الأنوف المستقيمة غير الفطساء، والشفاه البعيدة عن الغلظ.

والرجال هم الأكثر ولعًا بالزينة وأناقة الملبس، بل هم باختصار طواويس القبيلة، الذين يفعلون الأعاجيب، خاصة في الاحتفالات بالمواسم المطيرة، للفت الأنظار إلى أنفسهم.

وفي مثل هذه المناسبات، تطلى الوجوه بألوان براقة، وتوضع علامات على الملامح المراد لفت النظر إليها، وينغمسون في الرقص، ملوحين بأيديهم لجذب الانتباه إليهم بكل السبل.

عجائب التقاليد

يتميز الودابي بمجموعة من الصفات، التي تجعلهم جديرين بالإعجاب حقًا، فهم يعلون من شأن التواضع والصبر والصمود وعلو الهمة وبُعد النظر والكرم، كما أن توحدهم بالطبيعة جعلهم قومًا قنوعين، لا يعرفون السرف ولا الإسراف،

ويراكمون بداخلهم من القوة الداخلية ما يعينهم على تحقيق هدفهم، الذي لا يغيب عن أعينهم لحظة : البقاء.

وفي غمار السعي وراء هذا الهدف، راكم الودابي مجموعة من أغرب العادات والتقاليد، فتربية الطفل تبدأ من المهد، ولكن الأم والأب يحظر عليهما التحدث مباشرة مع طفليهما الأول والثاني، أو مناداتهما بالاسم، وبالمقابل فإن الأقرباء الآخرين يغدقون على هذين الطفلين شآبيب المحبة والتعاطف، ولا يحق للمرأة المرضعة أن يصافحها رجل، أو حتى يلمسها، وهذه القاعدة تنطبق أيضا على زوجها، طالما هي لم تفطم طفلها بعد.

ولا يسمح لأي من أبناء عشائر الودابي، لدى تحية ودابيّ مثله، بأن ينظر إليه مباشرة في عينيه، وإنما عليه أن يحول عينيه إلى اتجاه آخر، إجلالاً وتوقيرًا.

وليس بمقدور الرجل أن يمسك بيد زوجته علنًا أثناء النهار، أو يناديها باسمها، أو يتحدث إليها حديثًا تمازجه عاطفة الرجل لامرأته.

والزواج يتم ترتيبه بين أبناء العمومة، منذ نعومة الأظفار، لكن الرجل إذا اتخذ زوجة أو زوجات أخريات فعليه اختيارهن من عصب مختلف.

ويلفت النظر حقًا أن الودابي، على عكس ما يتصور المرء، يكرمون وفادة الغريب، مهما طالت إقامته بين ظهرانيهم، ومهما كانت ظروفهم المادية عسيرة، فعليهم إكرامه، حتى ولو كانوا له من الكارهين.

ومجتمع الودابي، شأن كل مجتمع بشري، به الصالح والطالح، ومن هنا فإن له جرائمه الخاصة، ولكن لا وجود لجرائم القتل أو الاغتصاب أو السرقة أو الاعتداء البدني بينهم، وكل الخلافات يحلها كبير العشيرة، ويرضي الجميع بما يحكم به كائنًا ما كان.

والغريب حقًا ذلك القدر من الأنفة بين عشائر الودابي وقطعان « الزيبو » التي يرعونها، فلكل حيوان اسم، والقطيع هو البؤرة التي يدور حولها النشاط اليومي. فعند الفجر بالضبط يتم الخروج بها إلى المرعى وسقيها، ويبدأ الطفل العمل في الرعي وهو في السادسة من عمره. ويقتصر العمل بالرعي على الذكور، وعند المغيب يعود

حياة الودابي أغنية للبقاء



قطعان الزيبو وإنسان الودابي : تعاون من أجل البقاء

○ الوالدان لا يتحدثان مع طفليهما والمرضعة لا يلمسها زوجها!

الرجال بالأبقار إلى المخيم، حيث تحلبها النسوة. وفي الليل، وحرصا على القطعان يبيت الرجال، ممن لم يتخذوا زوجات، قرب القطيع؛ لحراسته من شرور الليالي وطوارقها.

ويحيا الودابي عمليًا على الألبان ومنتجاتها، ونادرًا ما يذبحون حيواناتهم، وإذا تمت عملية ذبح حيوان فإنها تتم وفق طقوس حافلة بالمحرمات، وفي المناسبات المهمة فحسب. والمذهل حقًا أنه إذا ما ذبح حيوان فإن باقي القطيع يبدي رد فعل غاضب، وتأخذ « الزيبو » المعروفة بقرونها الطويلة في حفر الأرض بقرونها ودهسها بحوافرها، طوال الليل، وإصدار أصواتها الحزينة والغاضبة على نحو لا يمكن أن يوصف إلا بأنه رهيب.

أفراح المطر

خلال الشهور الحارة من كل عام، أي الممتدة من ديسمبر حتى يونيو، يضرب الودابي في الأرض مع قطعانهم، على مهل، عبر أنحاء جنوبي النيجر، منقسمين إلى أفخاذ وبطون.

أما مع وصول أمطار الصيف، فإنهم ينطلقون شمالاً، إلى منطقة تعرف باسم «الأرض الصالحة»، حيث يمتزج النجيل الطري بالمعادن، التي تسعى كل العشائر البدوية إلى الوصول إليها، حتى ولو قطعت أراضي النيجر بكاملها سيرًا.

ما إن يسقط المطر لأول مرة، حتى تنقل أصداء الطبول بشائر وصول الخير، ويتم بالطريقة نفسها، أي بالدف على الطبول، تحديد المكان الذي سيتم الاحتفال فيه بالمهرجان السنوي، المعروف باسم «جيروول» وموعد الاحتفال.

وسرعان ما تتوافد عشائر الودابي إلى المكان الموعود، في الزمان المحدد، وهنا لا يتغير الترتيب الاجتماعي في ضوء الهرج والمرج الذي تحدثه ترتيبات الإعداد لـ« جيروول ». فلدى وصول عائلات كل فخذ أو بطن تضرب خيامها في نسق تحدده التقاليد، أي في شبه دائرة واسعة ممتدة في شكل قرون ثور هائل.

ويتحول هذا المهرجان إلى مناسبة، يبدي فيها الرجال قوتهم وفتوتهم وحسنهم، فالرجال هم الذين يأخذون زينتهم، لا النساء، ويتم التركيز على بياض العيون والأسنان، وعلى طلاء الوجوه والملابس وأغطية الرأس والحلي، ويشرع الرجال في الرقص، بينما تتجمع النساء للمشاهدة، ويشرف كبار السن على التأكد من أن الرقص يؤدى بشكل رفيع وراق، وفقًا للتقاليد.

وفي المساء الأخير من المهرجان، يتم اختيار أجمل رجال العشائر، ويرتدون أفضل ملابسهم، وتطلى وجوههم باللون الأحمر وتجمل العيون والشفاه باستخدام الكحل والفحم، وتبدأ حمى الرقص في اجتياح الجميع، ليصبح الرقص في نهاية المطاف مباراة في الصبر وطول النفس والقدرة على الصمود والاستقرار، ويتدفق العرق من الوجوه إلى الصدور، مع تسارع إيقاع دقات الطبول، وتجف الريشات البيضاء التي تجمل الرؤوس.

ومع إطلالة أول ضوء النهار، ينتهي المهرجان وتنفض عشائر الودابي إلى رحاب الصحراء، لتبدأ عامًا جديدًا من حياتها المستمرة، رغم كل المخاطر.

المراجع

(1) Wadaabe: A Wandering existence by - Peter Carmichael - London - 1988.

(٢) المعجم التاريخي للبلدان والدول - مسعود الخوند - بيروت - ١٩٨٥م.

(3) The Europa Year Book 1987 Vol. 2 P. P. 2054 - 2059 - London - 1987.

التعبير الانفعالي بين الرجل والمرأة

د. حسان المالح

يختلف الرجل والمرأة من الناحية النفسية في عدة أمور، فهما بالطبع يختلفان من الناحية الجسدية، وهناك اختلافات أخرى تتعلق بالأمور الاجتماعية والقانونية والثقافية. ومن الناحية العلمية فإن دراسة هذه الاختلافات تحيط بها مشكلات كثيرة، أهمها تحديد دور النواحي العضوية والوراثية والبيولوجية ودور النواحي الثقافية الاجتماعية في تأثيرها على الاختلافات بين الرجل والمرأة. وهناك بعض النظريات المتشددة التي تعطي وزنًا أكبر؛ لهذه العوامل أو تلك. وربما يكون من الأفضل إعطاء قيمة متوازنة لفكرة (الطبع والتطبع) أو الفطرة والتعلم المكتسب.

إن الرجل يبكي مثله في ذلك مثل المرأة، وليس في ذلك عيب أو عار، وعظماء الرجال يبكون أيضًا، ومثل ذلك نبينا محمد ﷺ. وكثير من المجتمعات ومنها مجتمعنا تعدّ بكاء الرجل شيئًا يعيبه وينقص من رجولته، في حين ترى أن بكاء المرأة شيء طبيعي، بل ويزيد من أنوثتها أحيانًا.

وإذا تحدثنا عن الانفعالات التي تؤدي إلى البكاء، فهناك ـ طبعًا ـ الشعور بالحزن والأسى والأسف، وهو مشترك عند بني آدم رجالهم ونسائهم. وربما يكون الرجل قد تعلم منذ الصغر أن يحاول ضبط هذه المشاعر وتصريفها بطرق متعددة، ولا يلجأ إلى التعبير العادي عن طريق البكاء أو الدموع إلا نادرًا.

وأما المرأة فهي تُشجّع على أسلوب التعبير البكائي الدموعي حتى في أبسط مواقف الحزن أو الأسى. وهناك الشعور بالغيظ والانزعاج وعادة ما يعبر الرجل عن ذلك بأساليب الغضب أو العنف الظاهر أو التكشير وانعقاد الحاجبين. أما المرأة فهي تشجع بأساليب عديدة على استعمال البكاء والدموع للتنفيس والتعبير عن غضبها وغيظها في كثير من الأحيان. إن من الطبيعي جدًّا أن يعبر الإنسان عن انفعالاته المتعددة. وهناك عديد من الاضطرابات النفسية المنتشرة يؤثر كبت الانفعالات أو تصريفها بطرق ملتوية في نشوئها وتطورها وصعوبة علاجها. ولعل الفكرة الشائعة البسيطة وهي أن «يحكي الإنسان عما في قلبه ويعبر عن مشاعره المتعددة» فهذا أسلوب علاجي معروف ومفيد حتمًا في كثير من الحالات. وقد لا يكفي بالطبع مجرد التنفيس عن هذه الانفعالات ويحتاج إلى أساليب علاجية أخرى.

إن بعض الصدمات الحياتية كالموت، والإخفاق في الدراسة، أو مشكلات العمل، أو المشكلات الزوجية يؤدي تناسيها وعدم التعبير الانفعالي عنها إلى ما يسمى الاكتئاب المقنّع، أو نظائر الاكتئاب، وإلى أعراض متعددة كالاضطرابات الجسدية الهضمية والعضلية والصداع أو الإفراط في الطعام، وأيضًا اضطرابات الذاكرة والإرهاق العام وغيرها. وربما يكثر عند الرجل الصداع وارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية المنشأ.

ويتعود الإنسان ويتعلم ألاّ يعبر عن مشاعر الحزن لأسباب عديدة، فيقسو عوده ويتصلب، وبالطبع تزيد مقدرته على مواجهة مصاعب الحياة وآلامها. ولكن التطرف في عدم التعبير الانفعالي ولا سيما عن انفعالات الحزن والمشاعر الرقيقة يجعل الإنسان باردًا قاسيًا جافًّا يفتقر إلى الرقة والعطف، ومما لا شك فيه أن ذلك لا يتناسب مع الصحة النفسية، ولعل التعبير الانفعالي البسيط والملائم هو عنصر مهم وصمام أمان في تركيبة الإنسان النفسية التي خلقها الله فينا. ويبدو أن تطوير أساليب التعبير الانفعالي يجعل الإنسان أكثر صحة وواقعية، ويجعله يعيش حياته كاملة وبقدراته العقلية والانفعالية والحسية كافة. وإن إلغاء جانب من جوانب شخصية الإنسان أو تعطيله هو نوع من الشلل للجهاز النفسي وضعف في القدرات الشخصية قد يعوض عنه الإنسان بتضخيم أساليب تعبيرية أخرى كالغضب والحقد والسلوك العدواني وغيره.

وقد علمنا رسول الله ﷺ أن لا نكون قساة القلوب، وأن نعطي كل موقف حقه، فالتعبير عن الشجاعة والجرأة والإقدام منوط بدواعيها. والتواضع وملاعبة الأطفال والتعبير عن حبهم يحسن في حينه إلى غير ذلك من الوصايا التي تهذب النفس وتزكيها وتضمن التوازن والعلاج في الدنيا والآخرة. ﴿ ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها ﴾ الشمس ٧ ـ ١٠.

التهاب السحايا بالمكورات السحائية

مرضٌ خطيرٌ وبائيٌّ

د. غالب خلايلي

ربّما لم تحمل عبارةٌ في أذهان الناس وذاكرتهم، خطرًا ورعبًا مثل عبارة «ذات السحايا» **Meningitis** وليس الأمر مبالغا فيه، فالتهاب السحايا حالة إنتانيّة إسعافية، تحمل هذا المعنى بالنسبة إلى الأطبّاء أيضًا، لا سيما أطبّاء الأطفال، وتحتاج تشخيصًا سريعًا وعلاجًا أسرع، حفاظًا على حياة المريض، ومنعًا لحدوث الاختلاطات.

وإذا كان الحديث عن مرض خطير، فليس القصد إشاعة الرعب، بقدر ما هو توعية الإخوة القراء ولفت أنظارهم إلى الداء، ذلك أنّ انتشار الوعي هو السبيل الأهم إلى درء خطر المرض.

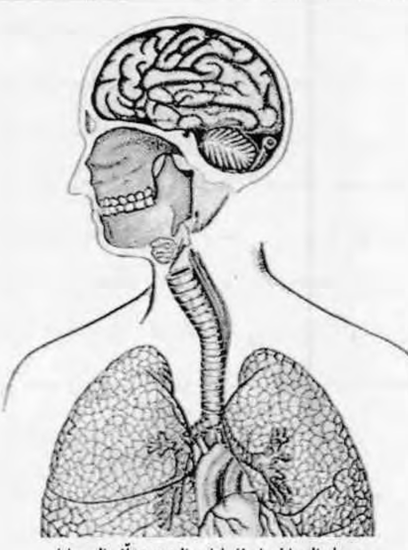
لقد كان هذا المرض «أيّ إنتان» في الماضي السحيق، وقبل أن يكشف **فلمنغ البنسلين**، كان مهددًا خطيرًا للحياة، غير أنّ التقدم العلمي واكتشاف كثير من الأدوية والمضادات الحيوية Antibiotics واللقاحات الجرثوميّة والفيروسية جنبًا إلى جنب مع الوعي الصحي، أدّى إلى قهر كثير من الأمراض الجرثومية، ومنها ذات السحايا التي تعطي معالجتها المبكّرة نتائج باهرة.

ماهية السحايا

لقد ميّز الله الإنسان بالعقل المفكّر الواعي، فخلقه في أحسن تقويم، وميّزه على سائر المخلوقات. إنّ الدماغ البشري فريدٌ بمقدراته الهائلة، فكانت الجملة العصبيّةُ نبيلة بكل معنى النبل، فهي مقرّ الأحاسيس جميعا ومقرّ التفكير والتقرير والسمع والبصر. . . . إن هي إلاّ نوافذ للإنسان على العالم ومستقبلات في الوقت نفسه، وهي المرجع الأوّل والأخير في كلّ تصرّفات الإنسان. وليس هذا فحسب، ففي الجملة العصبيّة مراكز تنظيم التنفس والضغط والحرارة والقلب، ومن هنا كان لا بدّ من حمايتها حماية جيّدة، فكانت «السحايا» وهي الأغشية التي تغلّف الدماغ والنخاع الشوكي وتحميهما من عوامل الخطر الكثيرة، وكانت الجمجمة، هذا البناء العظمي المتين الذي يحمي الجملة العصبية. ولنا أن نتصور - إذا حدث التهاب السحايا - كيف يغلّف القيح الدماغ ليفتك بالجملة العصبية.

وباء خطير

نعم، فالتهاب السحايا بالمكوّرات السحائية Meningococci وباءٌ خطير. وإذا كانت السحايا تصاب بالتهابات كثيرة غير المكوّرات السحائية، إلاّ أنّ الأخيرة - موضوع بحثنا - هي أحسنُها إنذارًا بين الجراثيم، اللهم إلاّ في التهاب السحايا السلّي السيئ الإنذار، غير أنّ أهمية «السحائيات» آتية من إمكانية



يسيطر الدماغ على فاعليات البدن وتغلّفه السحايا



المكورات السحائية في الدم البشري



طفل مصاب بالتهاب سحايا وإنتان دم بالسحائيات . لاحظ غياب الوعي والاندفاعات الجلدية

انتشارها أوبئة في بلادٍ كثيرة، لتصيب أعدادًا كبيرة، ومن إمكانية حدوث تكاثر جرثوميّ شديدٍ في الدم (إنتان الدم) وهذا الأخير بالغ الخطورة بل ومميتٌ في أحيانٍ كثيرة.

من تاريخ المرض

وللمرض تاريخ قديم، غير أنّ **أوّل من كشف «السحائيات» في السائل الدماغي الشوكي هو Weichseibum عام ١٨٨٧م**،

واعتبرت سببًا لأوبئة كثيرة سحائية ودماغية، ووصلت وفياتها في الماضي حتى ٩٠٪. وفي الوباء الذي أصاب ٦٧٥٥ شخصًا في نيويورك عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥م، تميّز المرض بالسير الصاعق والوفاة خلال ٢٤ ساعة، بينما بلغت نسبة الوفيات ٣٣٪ في الوباء الذي أصاب الجنود الأمريكان في **الحرب العالمية الأولى** (٢٤٦٦ حالة)، بينما صارت ٣,٨٪ بين ١٩٤٠ـ١٩٤٥م.

وقد أجرت الدكتورة **حنان بيازيد**، دراسة في مشفى الأطفال الجامعي بدمشق منذ أعوام ووجدت خمسين حالة بين عامي ١٩٨٤ ـ ١٩٨٧م منها ٢٣ حالة خلال عشرة أشهر عام ١٩٨٧م، راجعت مشفى الأطفال، علمًا أنّ المشفى يستقبل نحو ٣٠٠ حالة التهاب سحايا بمختلف الجراثيم سنويًا وأنّ عدد حالات القبول السنوية هي ١٠ آلاف وسطيًّا. وكانت النتائج:

* شفاء كلّ حالات التهاب السحايا بالسحائيات (٢٣/ ٥٠).

* وفاة ٧ حالات لوجود إنتان دم مرافق من أصل ٢٧ حالة أي إنّ نسبة الوفيات عمومًا ١٤٪.

العامل الممرض.. والانتقال

والعامل الممرض هو المكوّرات السحائية، وهي عبارة عن جراثيم مكوّرة تجتمع ثنائيات داخل الخلايا، وتأخذ لونًا ايوزينيًّا ورديًّا عند التكوين بطريقة غرام. وللجرثوم جدار مؤلف

من متعدّدات السكّريد المخاطيّة، ولهذه أهميّة في تقسيم السحائيات إلى زمر متعدّدة أطلق عليها الأحرف : ...,A,B,C,D,Y,Z وإنّ الزمرة B هي الأكثر سيطرة في العالم في الوقت الحاضر، وإنّ للزمرة A أهمية في تكوين اللقاح وفائدته، كما سنرى.

تنمو السحائيات جيّدًا في حرارة ٣٥ ـ ٣٧م وتقتلها عوامل الطبيعة سريعًا مثل الحرارة والإشعاع. وأكثر ما تستعمر هذه الجراثيم البلعوم الأنفي عند الكهول الأصحّاء، وقد وجد أنّ نسبة الحملة هي ٢ـ٥٪ من الأطفال الأصحاء، وترتفع النسبة بشدة في المجمّعات كالمدارس والثكنات والتمريض حتى ٩٠٪، كما تزداد في كل الأماكن المكتظة، لا سيّما المدن التي قد تصل نسبة الحملة فيها إلى ١٥٪.

وينتقل الجرثوم من شخص لآخر، غالبًا بالتماس المباشر مع المفرزات التنفسيّة أو قطيرات الهواء والرذاذ المنطلق بالسعال ونادرًا عبر مخاطية العين، بعدها يصل الجرثوم إلى الدم، فإما أن يمرّ مرور الكرام، أو ينتقل إلى السحايا والدماغ أو الأعضاء الأخرى كالقلب والعظام، أو أن يتكاثر في الدم ليحدث حالة مأساويّة سريعة التطوّر، ذات سير مروّع، لا سيّما عند ناقصي المناعة.

التظاهرات المرضيّة ـ الاختلاطات

يندر جدًّا أن يصاب الأطفال حديثو الولادة بهذا المرض لوجود مناعة منتقلة من الأمّ، وأكثر الإصابات بين ٦ أشهر ـــ ٤ سنوات، لكن الإصابة ممكنة الحدوث في أي عمر، وإن كانت الوفيات والعقابيل أكثر حدوثًا في الأعمار الصغيرة لا سيّما السنة الأولى من العمر.

والحالات التي تصاب بها السحايا لوحدها أحسن إنذارًا من المتشاركة مع إنتان الدم، كما أنّ مظهرها السريري أخف، وفيها يحدث **ارتفاع الحرارة والقيء والصداع** وربّما تغيّم الوعي والاختلاج. فإن تأخر تشخيصُ وعلاج الحالة حدثت أذيّة دماغية مختلفة الشدّة، وقد يبقى استسقاء دماغ، شلولٌ مختلفة حسب الجزء المتخرّب من الدماغ. وفي الحالة الحادّة نرى المريض مرتفع الحرارة، وقد نرى صلابةً في النقرة، واندفاعات فرفرية جلدية بنفسجيّة اللون.

والأخطر من ذلك أن يترافق مع إنتان دم Septicemia، وهنا تسوءُ حالة المريض بشدّةٍ مذهلةٍ لا ينساها من يراها مرّةً في قسم الإسعاف، حيث تتلاشى قوّة المريض ويغيب وعيه ويهبط ضغطه ليدخل في مرحلة الصدمة SHOCK الخطيرة على الحياة.

تُرى اندفاعات جلدية فرفرية أو نزفيّة، وقد تحدث نزوف عفويّة أو مكان الوخز والرضّ مع مواتٍ وتنخرٍ في الجلد والأطراف نتيجة استهلاك العوامل المسؤولة عن التخثر فيما يدعى طبيًا DIC، وإنذاره سيئ. وقد يحدث وهط شديد مع صدمة وقصور غدّتي الكظر، وهذا ما دعي في الماضي بمتلازمة ووترهاوس ـ فردركسون، والتي تعزى اليوم إلى انطلاق الذيفان الداخلي من الجراثيم، وإنذارها أيضًا سيئ.

التشخيص والعلاج

كما أشرنا سابقًا، فإن الحالة إسعافية، وتحتاج إلى تشخيص سريع وعلاجٍ حتّى عند الشك، لا سيما إذا وجدت الاندفاعات الجلديّة. ويُعتبرُ بزل السائل الدماغي الشوكي وفحصه الجرثومي والكيماوي حجر الزاوية في التشخيص، ولنطمئن الأهالي إلى أن البزل سهلٌ مأمونُ العواقب لا يسبّب الشلل. هذا وتجرى فحوص أخرى متممة لا داعي لذكرها.

أمّا **العلاج** الأساسي **فهو البنسلين** بالوريد وبكميات كبيرة تصل حتى نصف مليون وحدة لكل كغ من الوزن في اليوم، ويجب إعطاؤه حال التشخيص أو الشك به كي نوفّر الساعات أو ربما الدقائق التي يمكن أن تغيّر إنذار المرض وتوفّر حياة المريض.

ولا يغيب عن البال أهمية العناية التمريضية، ودعم المريض بالسوائل ومراقبة نبضه وضغطه بدقّة ومراقبة حجم البول، اتقاءً لحدوث الصدمة التي يمكن أن تعالج بالسوائل والكورتيزون ورافعات الضغط كالدوبامين.

الوقاية بيت القصيد

ينبغي أن نشير دومًا إلى أنّ **الطبّ الوقائي**، هو طبّ المجتمعات المتقدّمة، وإلى الحكمة الذهبيّة القديمة «**درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج**». وبالفعل، وبحساب بسيط يمكن أن ندرك الخسائر الفادحة حين ينتشر وباء ويبقى المريض الواحد في المشفى عشرة أيّام وسطيًّا، هذا ناهيك عن الوفيات التي تصل نسبتها اليوم من ٥ ــ ١٥٪، وعن العقابيل الدماغية التي يمكن أن تترك لنا طفلاً عاجزًا متخلفًا.

لقد وجدت الدراسات أن نسبة الحمل الجرثومي عند ملامسي المريض إثر الجائحات ٥٠٪، وعند الأصدقاء والجيران نحو ٣٠٪، **لهذا لا بدّ من سبيلين مهمين للوقاية، نستطبهما عند المسافرين إلى المناطق الموبوءة،** والمتماسّين مع المريض (أهله وجهاز التمريض... إلخ).

وهذان السبيلان هما :

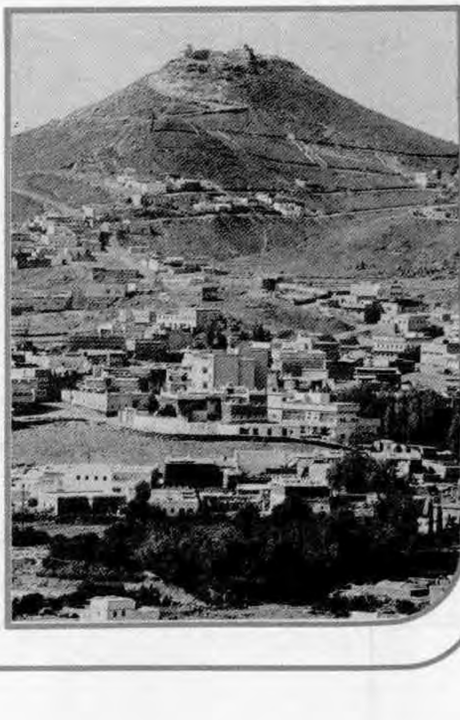
أولاً : الريفامبيسين بالفم ليومين.

ثانيًا : اللقاح تحت الجلد، والمتوافر منه حاليًّا النمط C وفعاليته ٧٠٪ ولمدة ٦ ـ ٩ أشهر عند الأطفال فوق السنتين، والنمط A وهو فعال في الأعمار دون ذلك، والأمل كبير في انتشار الوعي الصحّي في كل مكان.



أبها داخل الأسئلة

شعر: إبراهيم مفتاح



هـا هنـا كنت أنـا كنت هنـا   قبل عـامين أضم الـوطنـا

هـا هنـا كنت الضحى معتمـرًا   غيمـة نشـوى تجوب المنحنى

هـا هنـا كـان صبـاحي مـوعـدًا   مطـريّ الآه غيميّ المنى

ومسـائي كـان نجـوى ديمـةٍ   أنبتت عشقًـا وأهمت شجنًـا

☆ ☆ ☆

هـا أنـا جئتكِ يـا أبها فهل   تعـرفين الآن من كنت أنـا

إنني ذاك الـذي غـاص الهوى   في حنـايـاه وطـاف الـدِّمنـا

وارتـدى من حبـه أشرعـةً   نسجت بطء الثـواني سفنـا

☆ ☆ ☆

لا تقـولي عـاشق في رحلـة   يحمل الشكـوى ويطـوي الـوهنـا

حيثما ألقت بـه أسفـاره   زعم الحبَّ ونـادتـه الأنـا

☆ ☆ ☆

أنـا يـا أبها اشتعـال قـادمٌ   من خـلايـا الموج محمـرّ الضنى

مـن هيـاج البحـر في روحي دمٌ   أخضر النبض فقـاعيُّ السنـا

في شفـاهي مـوجـة عـاشقـةٌ   وعلى الشطـآن بحـري دندنـا

كلما جئتـكِ يـا أبها هـوًى   أنبت الحسن بعيني أعينـا

ونمـت في داخلي أسئلـةٌ   لم أقلهـا في حـديثي علنـا

فحـديث العشق نجـوى مـوعـدٍ   تلتقي الأعين فيـه بيننـا

هـذه كفِّي فمـدي لي يـدًا   واحضنيني كلما البعـد دنـا

فلسفة العيد وشخصية المسلم

بقلم: د. جابر قميحة

منذ فجر التاريخ عرف النـاس الأعياد بمعنى الفرح والسرور أو اليوم الـذي يستحق التعظيم: وكان تطـورها الشكلي المظهـري لا ينفصل عن الارتباطات الثلاثة الآتية:

الارتباط الزمني: بتحديد يوم أو أيام معينة للعيد.

الارتباط النفسي: باستشعار البهجة والسرور.

الارتباط المظهري: بالتعبير العملي احتفاءً بهذه المناسبة.

وفي التاريخ القـديم عند الفـرس واليونـان والرومـان ارتبطت الأعياد بمفاهيم دينية وثنية، كما ارتبطت بعضها بمـواسم زراعية معينة كموسم نضوج العنب. وعند قـدماء المصريين كان من أهم أعيادهـم عيد «وفاء النيل». ويقال: إنهم كانوا في هذا العيد يختارون فتاة من أجمل فتياتهم، ويثقلـونها بالحلي والجواهـر و«يزفـونها» إلى النيل بإغـراقها في أعماقـه في احتفـال مهيب. وإن أنكـر بعـض المؤرخين ذلك واعتبره من الأسـاطير الزائفة التي لم تقع على مسرح الواقع. واستحدثت بعض الشعوب أعيادا لم تعرف قـديما كعيد النصر، وعيـد اليوم الـوطني وعيـد التحريـر، وعيد الجلـوس الملكي... إلخ. وكما عـرفت الأمم الأعياد نـرى من محدثـات الأمـور في وقتنا الحاضر أعيـادا «فرديـة خاصـة» يحتفل بها بعضهم على مستوى الأسرة والأصدقاء منها: عيد الميلاد وعيد الزواج... إلخ.

وفي السطور التالية نلقي بعض الأضواء على مفهوم العيد وأبعاده من المنظور الإسلامي، ونوضح مـدى ارتباط ذلك بمنهج الإسـلام في صنع الشخصية المسلمة، التي استطاعـت أن تقود العالم إلى منابع الحق والخير والهدى والعلم والصلاح.

مع النبي والرعيل الأول

عن أنس بن مالك ـ رضـي الله عنه ـ قـال: قدم النبي ﷺ المدينة وللناس فيها يومان يلعبون فيهما، فقال «قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرًا منهما: يومَ الفطر ويوم الأضحى».

وقالت عـائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إن الحبشـة كانوا يلعبـون عند رسـول الله ﷺ في يـوم عيـد، فـاطلعتُ من فـوق عـاتقـه حتى شبعت ثم انصرفت».

وأضافت عائشـة ـ في رواية أخرى ـ أنـه ـ عليـه السـلام ـ أردف قـائـلا: «لتعلم يهود المدينة أن في ديننا فُسحة، وأني بُعثت بحنيفية سمحة» وفي يوم عيد دخل عليها النبي ﷺ وعندها جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فأقرها (لم يعترض على ما رأى)، ودخل الصديق فنهرها فقال النبي ﷺ للصديق: دعهما.

وفي العيد يستحب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب: فعن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «أمرنا رسول الله ﷺ في العيدين أن نلبس أجود ما نجد، وأن نضحي بأثمن ما نجد». وكان عليه السلام قدوة عملية في ذلك، فقد جاء في الأثر الصحيـح أنه يلبس بُرْدَ حبرة في كـل عيد (وبرد الحبرة من بـرود اليمن الفاخرة).

من ملامح «العيد الإسلامي»

هذا بعض ما جاء في السنة النبوية وتاريخ الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ في العيد. ومن كل هذه الآثار نخرج بحقيقة حاسمة وهي حرص النبي ـ عليه السـلام ـ على أن يكـون للمسلمين «عيدهم الخاص». عيـد له سماتـه وملامحه المستقلـة شكلا وموضـوعا، وهـو بهذه الملامح «عيد للمسلمين» يأتي بعد شهر من الصوم الصادق فيدعى «عيد الفطر»، ثم إنه «عيد الأضحى» يبدأ في ختام الأيام العشرة من ذي الحجة، وهي من أفضل الأيام على الله، وقد جاء في زاد المعـاد لابن القيم: أن ليـالي العشر الأخيرة من رمضـان أفضل من ليـالي عشر ذي الحجة باعتبار ليلة القـدر فيها. لكن أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضـان، وهي أفضل باعتبـار أن فيها يـوم النحر ويـوم عرفـة ويوم التروية (الجزء الأول ص ١٢، ١٣).

وتتلخص ملامح «العيد الإسلامي» في عدة مظاهر أهمها:

١ ـ **المظهر الروحي**: ويتمثل في صلاة العيدين، وقد شرعت هذه الصلاة في السنـة الأولى من الهجرة، وهي سنـة مؤكـدة واظب النبي ﷺ عليها، وأمـر الرجال والنساء أن يخرجوا لها.

٢ ـ **المظهر الشكلي**: ويتمثل في استحبـاب الاستحمام وظهـور المسلم في أجمل ثيابه.

٣ ـ **المظهر الاجتماعي**: ويتمثل في صلة الرحم، وزكاة الفطر، وتوزيع لحم الأغنام.

٤ ـ **المظهر الترفيهي**: ويتمثل في إبـاحــة اللهـو البريء الـذي لا يخرج بالإنسان عن وقاره، ولا يتعارض مع تعـاليم ديننا الحنيف. وقد روي عنه ﷺ أنـه قـال: «روّحـوا عن القلـوب ساعـة بعـد سـاعـة، فإن القلـوب إذا كلت عميت».

المغايرة التشريعية

وحرصُ النبي ﷺ على أن يكـون للمسلمين «عيدهم الخاص» ذو «الملامح المميـزة» إنما هو تطبيق لمنهج الإسـلام في بنـاء «شخصية المسلم» بحيث يكـون نسيجها ذا أبعاد متكاملة تميزها عن غيرها من «الشخصيات».

وكان لا بد من «المغايرة التشريعيـة» تحقيقا لهذه «الاستقلالية» في بناء الفرد وبناء المجتمع: نـرى ذلك في مجال العبادات التي كـان لها ـ زيادة على بعـدها الروحي ـ مقاصـدها الاجتماعية والإنسـانية والتربـوية: فـالصلاة «تنهى عن الفحشاء والمنكـر»، والصوم «تصوُّن روحي وسلـوكي»، والزكاة «تطهير وتـزكية وتكـافل وتعاون»، والحج فـرصـة لجمع شتـات المسلمين وتدارس أحـوالهم، وتعليمهم قيم الوحدة والعدل والمساواة، في أيـام تتوحد فيها «المواقف» وتتماثل الشعائر وملابس الإحرام، والأضاحي ـ وهي من أعمال الحج ـ معنى من معاني التكـافل الاجتماعي كبير جليل، ويبرز أمامنـا ـ في هـذا الفلك ـ نمـوذج حي مشهور من نماذج «المغـايرة» أو «الاستقلالية» التشريعية، وأعنـي به تغيير قبلة المسلمين من «بيت القـدس» إلى «المسجـد الحرام»، بعـد أن تقـوّل اليهـود في المدينة كثيرا، وكان ضمن ما قالـوا: «محمد يخالف ديننا، ويتبع قبلتنا»، فاتجه بوجهه إلى السماء يستلهمها ويستهديها فنزل قـوله تعالى ﴿ قَدْ نرى تقلُّبَ وجهِكَ في السماء فلنولينّك قبلـة ترضـاها فَـوَلِّ وجْهَكَ شَطْرَ المسجـدِ الحرامِ وحيثُ ما كنتم فولُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَه ﴾ البقرة ١٤٤.

وإذا كان التوجه إلى القبلة الجديدة يمثل جانبا شكليا ملزما للمسلم، فإن هذا الالتـزام الشكلي ارتبط «بمضامين جوهريـة» يجب ألا ينصرف عنها المسلم انشغالا بهذا الجانب الشكلي ـ على إلزامه ـ فكـانت هذه الآية العجيبة الجـامعة ﴿ ليس البرَّ أن تُـوَلُّوا وُجُـوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ المغْرِبِ، ولكنّ البرَّ مَنْ آمنَ بـاللهِ واليـومِ الآخرِ والملائكةِ والكِتَـابِ والنَّبيين، وآتى المالَ على حُبِّـه ذَوِي القُـرْبى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسائلينَ وفي الرقـابِ وأقامَ الصّلاةَ وآتى الزكاةَ والموفُونَ بعهدِهِم إذا عاهَدُوا والصابرينَ في البأساءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البأسِ أُولئكَ الذين صَدَقُوا وأولئكَ هُمُ المتّقون ﴾ البقرة ١٧٧.

الإيمان المطلق، التعبـد لله بصـدق وأمانـة، الإنفـاق في سبيل الله، صلـة الرحم، الوفاء بالعهد، الصبر والجلـد في الشدائد، كلها قيم عقدية واجتماعية وخلقيـة ونفسيـة شكلت نسيج الشخصيـة المسلمـة، حتى غـدت «وجـودا مستقلا» و«كيانا مميزا»، ومن أمثال هذه الشخصية كان أصحاب رسول الله ﷺ وقد وصفهم بأنهم «الأنجم الزواهر»، وطالب المسلمين في كل زمان ومكان بأن يقتـدوا «بأيّهم» لأن الإشراق والـرفعـة والسمـو والشمـوخ والحضـور الـذي لا يغيب، كل ذلك متوافر في «أيهم»، فبأيهم اقتدينا اهتدينا.

الإمعة وعثرة المسلم

واعتمادا على هذا «التشكيل الإسلامي» للشخصية المسلمة المتكاملة، كان على المسلم ـ في أي مكـان كان ـ أن يكـون «نجما زاهرا» لـه كيانه المميـز الذي ينطق بأنه «مسلم» يعتد بـذاته ـ بلا غرور ـ ولا يتخلى عن شمـوخه مهما كانت الظـروف. ومن هنـا رفض الرسـول ﷺ أن يـرتعش رجل في حضرتـه رهبـة وإجلالا، وقال له «هوّن عليك فلست بجبار ولا ملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد». ورفض أن يكون المسلم تـابعا مقلدا على غير هدى، فقال «لا يكنْ أحدكم إمّعة يقول إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تسيؤوا».

و«الإمعة» هو الإنسان «الظل» أو المخلوق «الذيل» الذي يعتنق منطق «أنا معـه» ما دام في هـذا الاتباع نفع شخصي وتحقيق مصلحـة دنيويـة، وما أكثر «الإمعات» في كل العصور!

وحتى يعتد المسلم بكيـانه هذا، ولا يتخلى في لحظـة من لحظات الضعف البشري عن منطق «الاعتزاز بالذات» جعل هـذه «السمة» تستمد وجودها من الأفق السـامي والملأ الأعلى، فقال تعـالى ﴿ وللهِ العِزَّةُ ولـرسُولـِهِ وللمُؤْمنين ﴾ المنافقون ٨.

قيمة العقل في الإسلام

ولا عجب أن يخلو «معجم الإسلام» مما يسمى بالتقليد الأعمى «لأنه سمة خسيسة من سمات الكفار الذين عبدوا الأصنام، وليس لهم من حجة إلا أنهم وجدوا آباءهم «لها عابدين» وأنهم «على آثـارهم مقتدون»، فألقوا بذلك «قيمة الـذات» و«قيمـة العقل» وكـان القـرآن لـذلك على حـق إذ وصفهم بأنهم ﴿ . . . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يعقِلون ﴾ البقرة ١٧١.

ونرى القرآن الكريم ـ كما يقول الأستاذ العقاد ـ «لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيـه إلى وجـوب العمل به والـرجـوع إليـه، ولا تجيء الإشارة إليـه عارضـة ولا مقتضبة في سيـاق الآية، بل هي تأتي في كـل موضع من مـواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة» العقاد: التفكير فريضة إسلامية ص ٥.

وقد أحصيت كلمة العقل ومشتقاتها وما يدور في فلكها من «العلم والفقه والفكر والقـراءة والوعي» فوجـدتها قد ذكرت في القرآن ١٠٤٣ (ثـلاثا وأربعين وألف مرة).

شبهة ونقضها

وقد تندّ هنا شبهة، أو اعتراض في هيئة سؤال مؤداه «أليس في الإسلام اتباع وتقليد، أو ليس الاقتداء هو اسم آخر لمسمى واحد هو التقليد؟».

وابتـداء أجيب عن السؤال بتـوجيـه نظـر السائل إلى فعل الأمـر «اتبع» في القرآن الكريم: لقـد استخدم في آيات شتى سبع مرات، ليـس بينها إلا الأمر باتبـاع الوحي والقـرآن وملة إبـراهيم وسبيل من أناب إلى الله، وليس فيهـا أمر باتباع الآباء والأجداد والأهواء.

هذه واحـدة، والثانية أن الإسلام أمـر بنوع معين من التقليد هـو «التقليد البصير»، تقليـد «المثل الأعلى»، وهـذا التقليـد يعني الاتبـاع العملي والقـولي للرسول ﷺ وأصحابه الأنجم الزواهـر الذين أقاموا دولة الحق والعدل والإيمان بعد أن قضوا على دولتي الفرس والروم: دولتي الباطل والظلم والجبرية، وهذا النوع من الاتباع أو التقليد لا يلغي العقل ولا ينال من «الكيان الذاتي» لأسباب متعددة تتلخص في ثلاثة هي:

السبب الأول: أن هـذا التقليـد يتفق مـع العقل والتفكير السـديـد، ولا يتعارض معه.

والثاني: أنه يحقق نوعا بل أنواعا من المصلحة الإنسانية والاجتماعية، وفيه نفع للفرد في دنياه وأخراه.

والثالث: أن هذا التقليد ـ مع توافر الوصفين السابقين فيه ـ لا يحجر على حق المسلم في الاجتهاد ـ إذا توافرت فيه شروط الاجتهاد.

للعيد ـ زيادة على بعده الروحي ـ مقاصده الاجتماعية والإنسانية والتربوية

فأبو بكر يقول عن نفسه «إنما أنا متبع لا مبتدع» ويصر على قتال المرتدين، قائلاً : «والله لو منعوني عقال بعير كانـوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لحاربتهم عليه» بل أقسم أنه لن يرضى لهم إلا «بالحرب المجلية والخطـة المجزية». ويخالفه عمر ابن الخطاب في وجهتـه هذه مستنـدا إلى حديث الـرسول ﷺ «أمـرت أن أقاتل النـاس حتى يشهدوا ألا إلـه إلا الله وأني رسول الله، فـإذا قالـوها عصمـوا مني دماءهـم وأمـوالهم إلا بحقها»، والمرتدون مـا زالوا يقرون بالشهـادة، وإن منعوا الـزكـاة. ويـرد أبـو بكـر بأن «حقهـا الـزكـاة» أي إن منع الـزكـاة يخل إخـلالا بمقتضيات الشهادة، ويقتنع عمر برأي الصديق، وينتصر المسلمون في حرب الردة، ويقول عمر لأبي بكر على رؤوس الأشهاد : «والله لولا أنت لضعنا».

أبو بكر وعمر وسياسة العطاء

ويسوي أبو بكـر بين المسلمين في العطاء، ويعترض بعضهم «كيف تعطي السابقين إلى الإسلام كمن لم يسلموا إلا بآخرة من الزمن؟!» فيرد هذا الاعتراض بقوله : «إنما مسألة معاش (أي متطلبات الحياة من طعام وشراب)، وهذا ما لا يختلف الناس فيه، وبعد ذلك حسابهم على الله».

ويتـولى عمـر الخلافة فينهج في مسألـة العطـاء سيـاسـة تناقض سيـاسـة الصديق، إذ جعل عطـاء السابقين في الإسلام أكبر بكثير من عطـاء اللاحقين فيه من مسلمـة الفتح، فلما سئل في ذلك قال : «والله لا أعطي مـن حارب مع النبيِّ في بدر كمن حارب النبيَّ في بدر».

اختلفت السيـاستـان، وكـان لكل من الخليفتين دليله الـذي يستند إليـه، ولكل دليل وجاهته، ولكل دليل أسانيده من العقل والنقل، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن كلا منهما كان يهدف بسياسته إلى مصلحة الأمة.

ومن «اتبع» إحـدى السيـاستين كان على صـواب، ومن خـالـف عنهما فما جانب الصواب ما استند إلى دليل، وما تحققت مصالح الناس. وهـذا الاتباع ـ كما ذكرنـا من قبل ـ يعد من قبيل ما أسميناه «بـالتقليد البصير» الذي لا يلغي الشخصية، بل ينميها، ويقوى من نسيجها.

وآمل ألا أكون مسرفـا إذا قلت إن هذا النوع الحميد من التقليـد يعد أصلا من أصـول الحضارة الإنسـانية في شتى مجالاتها الثقـافية والفكـرية والاجتماعيـة والسياسيـة في السلم والحرب، ويطول بنـا المقام لو استرسلنـا في ضرب الأمثلة وعرض الشـواهد التي تـؤيد هـذه المقولـة، ولكنا نجتزى بـالقليل عن الكثير. ولننظر ـــ مثلا ـــ إلى اللغة وإلى العمليـة التعليمية وإلى التـدريبات العسكـرية والرياضيـة، وعمليات الصناعة والبنـاء . . . إلخ، كل ذلك يعتمد على تقليد المتلقي لمن يعـده «المثل الأعلى» في المجـال الـذي يتلقى «مـادتـه» من معلم أو مدرب عسكـري أوصناعي . . . إلخ، والتقليـد هنا «تقليـد بصير» لا ينال من قيمة الشخصية بل ينميها ويرقى بها، ويجعلها وافية العناصر والصفات. وهذا الأصل الكريم هو ما أبرزه رسول الله ﷺ في قوله « . . . ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنـوا، وإن أ ساءوا فـلا تسيؤوا». فهذه الكلمات الـوضيئة تضع الحد الفـاصل الحاسم بين «التقليـد البصير» الذي هـو أصل من أصـول الحضارة الإنسانية وسبب من أسباب نموها وتطورها، و«التقليد الأعمى» الذي يلغي شخصيـة الإنسان وفكـره ويجعل منه «إمعـة» وبأمثـال هذا تنهـار الأمم وتتخلف المجتمعات.

خلاصة واستخلاص

وبعد هـذه المسيرة التي طالت أو تطاولت أجد من حق قـارئي الكريم أن أذكره بأهم الخطوط العريضة التي فصلنا القول :

١ ـ شرع النبي ﷺ للمسلمين «عيدهم الخاص» وجعل له طوابع وملامح فارقة اتساقًا مع المنهج الإسلامي التربوي في ضرورة تميز المسلم بالقيم الإنسانية العليـا حتى يكـون جـديـرا «بالأفضليـة» أو «الخيريـة» التي جعلهـا الله لأمـة المسلمين في قولـه تعالى ﴿ كنتم خيرَ أمـةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ، تَـأْمُرُونَ بـالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المنكرِ وتؤمنونَ بالله ﴾ آل عمران ١١٠ .

٢ ـ كـل التكـاليف والـفرائض الإسـلامية كـانت تنهل من المعين الـرباني الصافي، وكلها تضافرت بأسلوبها وملامحها (المغايرة للشرائع الأخرى والقوانين الوضعية) على تربية شخصيـة المسـلم، وصبغـها بالصبغـة الـربانية القـديرة ﴿ صِبْغَةَ اللهِ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ونحنُ لهُ عابدون ﴾ البقرة ١٣٨ .

٣ ـ والمسلم الحق الذي يأخذ نفسـه بهذه القيم يعيش ـ باستعلاء الإيمان ـ شامخا عزيز النفس، يرفض الضيم ويأبى أن يهان أو يهون .

٤ ـ ولا يتعارض هذا التفرد مع اقتداء المسلم «بمثله الأعلى»؛ لأن الاقتداء بهذه الصورة يعتبر ـــ كما بينا ـــ أصلا من أصول «الـوجود الحضـاري» والتطور الإنساني بمفهومه الشامل .

كلمة حق أريد بها حق

وأخيرا أذكر أنني قرأت كلمة ـ من سنـوات ـ لأحد اليابانيين من أصحاب بيوت الصنـاعة المغـرمين بقراءة التـاريخ الإسلامي يقـول فيها : «اكتشفت في شيخـوختي أن عجائب الـدنيا ثمان لا سبع، فـالعجيبـة الثامنة هي «المسلم المحمـدي» الذي نشر الإسـلام في بقاع الأرض، لقـد كـان أقوى من القنـابل الذريـة التي دكت واحدة منهـا هيروشيما والثانيـة نجازاكي. أمـا هذا «المسلم المثالي» فقد دك امبراطوريتين هما فارس والروم، وكانتا في زمانهما أقوى من روسيا وأمريكا في زماننا».

وصـدق الـرجل، ولي إضـافة شـارحـة، وهي أن «المسلم» دك الـدولتين لقيامهما على الظلم والباطل والعدوان، ولم يكتف بذلك، بل أزال «الأنقاض» وبنى في «السـاحـة» نفسهـا دولة عظمى هـي «دولة الإنسـان» يحكمهـا الحق والعدل والمروءة والنجدة .

ونجح في ذلك نجاحا فائقا؛ لأنه كان ـ كما قال الياباني ـ «مثاليا». ولكن علينا أن نعـرف ـ نحـن المسلمين ـ أن مثـالية المسـلم لم تكن مثـالية خيـالية «يوتـوبيّة» بل كانت «مثاليـة واقعية». وتفصيل ذلك يحتاج إلى مقالـة أخرى، أدعو الله أن يعينني على كتابتها وكل عيد وأنتم بخير.

آفاق اجتماعية

الأسرة وتنشئة الطفل الاجتماعية

لـن نأتي بجديد حين نقول : إن الأسرة هي أولى الجماعات وأهمها على الإطلاق في حياة الطفل ، فهي أولى المؤسسات التي تتلقف الطفل وتحافظ عليه ، توليه وتحيطه بكل ألوان الرعاية والعناية خاصة خلال السنوات الأولى من حياته التي تعتبر الحجر الأساسي في تكوين شخصيته كراشد ، فمن خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة يتزود الطفل برصيد هائل من القيم والمعايير والأخلاق ، وبرصيد مماثل من نماذج السلوك الاجتماعي ، يكون له بوصلة تُرَشِّد سلوكه وتصرفاته مستقبلاً . وكما يقول الدكتور الصاوي : «في الأسرة يتلقى الطفل أول درس في الصواب والخطأ ، والحسن والقبيح ، وما يجوز وما لا يجوز ، وما يجب أن يفعله وما يجب عليه أن يتجنبه والسبب في تجنبه ، وكيفية كسب رضا الجماعة ، وكيفية تجنب سخطها وغضبها عليه» . فالأسرة هي التي تمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية أو تحدد له منذ البداية اتجاهات سلوكه واختياراته .

لقد أكدت نتائج الدراسات والأبحاث العلمية الموضوعية التي قام بها علماء الاجتماع والنفس والجريمة ، ما للتنشئة الاجتماعية الأسرية من عميق الأثر في تكوين شخصية الطفل وتشكيلها ، وخاصة خلال مرحلة الطفولة الأولى حيث يكون الطفل سهل الانقياد والتأثر ، سهل التشكل شديد القابلية للتعلم من خلال عمليات التقليد والإيحاء ، إضافة إلى أنه في تلك المرحلة من العمر ضعيف عاجز يعتمد اعتمادًا كليًّا على أسرته في كل شؤون حياته ، فهو بحاجة إلى رعاية وحماية وإشباع حاجاته النفسية والعضوية والاجتماعية ، ولا يستطيع تأمينها إلا من خلال أسرته ، مقابل ذلك يكون الطفل على أتم الاستعداد للقيام بأي شيء يكسب من خلاله رضا أفراد أسرته ومحبتهم .

لذا ، فإن المجتمع يعوّل كل التعويل على الأسرة لوقاية أبنائه من الانحراف ، فالأطفال الذين ينشؤون في بيئات أسرية سليمة يحظون بتنشئة اجتماعية أسرية خالية من سوء المعاملة والإهمال والكراهية والقسوة ، وبعيدة عن الإفراط في التدليل والحماية ، فبخلاف ما ينعمون به من طفولة هانئة عمادها المحبة والرعاية والثقة والتفاهم وتبادل الآراء والأفكار ، فإنهم لا بد وأن يكونوا أيضًا موفقين في سلوكهم وعلاقتهم وتصرفاتهم ، وبعيدين كل البعد عن طرق الانحراف ومتاهات الجريمة ، على عكس الأطفال الذين يشبون في أسر فاقدة للقدوة الحسنة ، تعبث بقيم المجتمع ومعاييره وقوانينه أو مشحونة بأجواء الكراهية والعدوان والقسوة ، يعانون من الإهمال وسوء المعاملة ، ويتوقعون دائمًا سوء المعاملة من الآخرين .



إن تلك الفئة غير المحظوظة من الأطفال من السهل جدًّا أن تتورط في سلوك منحرف يرفضه المجتمع لأنه يسيء إليه ككل . أما أطفال الأسر الذين يحاطون بكل أنواع الإسراف في الرعاية والمحبة والتدليل فلن يكونوا أيضا من الأطفال المحظوظين ، أن أسرهم عجزت عن تدريبهم وتنشئتهم على تمثل القيم والمعايير، وفشلت في تعريفهم بقواعد المجتمع وقوانينه ونظمه ، ومن ثمّ يخرج الأطفال إلى المجتمع وهم يجهلون ما يصادفونه ، عاجزين عن مقاومة الانحراف ، ويكون مصير هؤلاء الأطفال مرتبطًا بمن وبما سيصادفونه خارج منازلهم .

كلمة أخيرة نقولها : الطفل أمانة أودعها الله بين أيدينا فلنحافظ على هذه الأمانة .

د. تماضر حسون

نتيجة مُسابقة أرامكو السّعوديّة

تتقدّم أرامكو السعوديّة، ممثلة بإدارة العلاقات العامّة فيها، بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في مسابقتها السنويّة الرابعة عشرة لرسوم الأطفال، وبأحرّ التهاني للأطفال الذين فازوا في هذه المسابقة، هذا الشكر وهذه التهاني تشمل، بدون شك، أولياء أمور هؤلاء الأطفال ومُدرّسيهم وجميع من حثّهم وشجّعهم على المشاركة.

وفيمَا يلي أسمَاء الأطفال الذين فازوا بجوائز المسَابقة هذا العام:



أحمد خضر خالد فرج
مدارس دار الفكر - جدة

أحمد محمد يحيى الغامدي
مدارس دار الفكر - جدة

أحمد لافي معزي
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عرعر

أحمد خيري عابدين
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أحمد محسن حسين
مدرسة الإمام الشافعي الابتدائية - الجوف

أحمد عبد العزيز الغزيري
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

أحمد محمد العثمان
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أحمد عبد الخالق الحديدي
مدرسة الفاروق المتوسطة - الجوف

أحمد محمد كمال محمد شعلاي
مدارس الأبناء بالدفاع الجوي - تبوك

أحمد عبد العزيز الدريهم
مدرسة عمر بن الخطاب - الرياض

أحمد عبد الله عبد رب النبي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أسامة عبد الوهاب الحواج
المدرسة النموذجية الأهلية - الدمام

أسيل عبد الرحمن الوابل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أشواق صالح سويلم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أشواق عبد الله
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

أفراح عبد الله منصور الشعيبي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

الجوهرة بنت بندر بن فهد آل سعود
مدارس نجد الأهلية - الرياض

أنس عبد اللطيف بحيري
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران



إياد ماهر بدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

أيمن جواد إسماعيل النخالة
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

باسل جاسم العايد
- الخبر

بدر عبد العزيز المقيرن
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

بدر صالح عبد الله آل مسلم
مدرسة مجاهد - سبت العلايا

بسنت صالح محمد أحمد
مدارس الفلك الأهلية - جدة

بندر عبد الله المحيميد
مدارس الخبر النموذجية - الخبر

بندر قريح عايد
مدرسة النعمان بن مقرن - عرعر

بهاء محمد علوي آل علوي
مدرسة صفوان المتوسطة - رأس تنورة

تمير غازي حمادة
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ثامر عبد القادر بكر أمين
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

جميل غازي السليماني
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

جهاد علي السبيهين
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

حسام عيسى محمد سواد
مدرسة الباحة - جيزان

حسن عبد الهادي حسن طاهر
مدارس دار الفكر - جدة

حسين علي سنبل
مدرسة القناتير الابتدائية - الجبيل الصناعية

حمد صالح حمد الجلق
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

خالد معتوق الذامدي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

خالد سمير أبو حميدان
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

خالد عيسى طليع الدوسري
المدارس النموذجية الأهلية - الدمام

دانية وسيم زعيم
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

دحام رجا حمود الرويلي
مدرسة علي بن أبي طالب المتوسطة - عرعر

دعد الخميس
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

دكستر داريو مركوريو
المدرسة العربية السعودية العالمية - رحيمة

ديمه فاروق عبيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

رشا العنزان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رويشد نافع لافي الرويلي
مدرسة ابن الأثير - عرعر

ريان عمر متولي
مدرسة البراعم - ينبع الصناعية

ريم عيضة عثمان العوفي
المدرسة ١١٧ المتوسطة - الطائف

سارة خالد بن سعيد
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سارة سمير منذر صالح شبيب
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سالم محمد سالم الدوسري
المدرسة العزيزية الأهلية - الخبر

سالي رأفت أحمد محمد
- الطائف

سامي عويس أحمد
مدرسة الإمام مالك الابتدائية - ينبع الصناعية

سحر شفيق عثمان
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سعد ضرمان الخالدي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

سعيد ناصر محمد العمري
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

سفر عبد الله السفر
مدرسة حسان بن ثابت الابتدائية - الجفر

سلطان بن محمد العبد الله الفيصل آل سعود
مدارس دار الفكر - جدة

سُلطان سعود راشد الحربي
مدرسة العقيق الابتدائية - الطائف

سُلطان عبيد العتيبي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

سليم إسماعيل البوعينين
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

شيماء محمد فلاح الملاحي
مدارس دار الفكر - جدة

صالح محمد عواض العري
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

طارق العنقري
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عادل قاضي العقيلي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عارف محمد حسين السلطان
المدارس النموذجية الأهلية - الدمام

عامر غطي عطيه
مدرسة البراء بن عازب - عرعر

عبّاس محمد آل حمّاد
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

عبد الرحمن محمد الزومان
مدارس دار الفكر - جدة

عبد الرحمن أحمد تنظيم
مدرسة الحارث بن كلدة الابتدائية - الطائف

عبد الرحمن حمّاد
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عبد الرحمن أرشيد عبد الرحمن
المدارس النموذجية الأهلية - الدمام

عبد الله فرحان الفرحان
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

عبد الله يحيى علواني
مدرسة الراحة - جيزان

عبد الله محمد البرعي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عبد الله صلاح العرفج
مدرسة صلاح الدين - سكاكا

عبير عبد الله سعد الشثري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

علاء الدين محمد عصام علوش
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

علي محمد الشهري
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

علي فنخور جليل عوض
مدرسة قرطبة المتوسطة - القريات

عماد فوزي سالم
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

عمر عبد الله محمد أمين مدير
مدارس دار الفكر - جدة

عمران علي رضا
مدارس دار الفكر - جدة

عهود فهد العثمان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

عواد سعد فالح البلوي
مدرسة الحويلات الابتدائية - الجبيل الصناعية

غادة محمد صالح عرضاوي
مدارس دار الفكر - جدة

غاليه سعيد يوسف
مدارس عالم الصغار - جدة

فائزة خالد شوهان
المدرسة العربية السعودية العالمية - رحيمة

(PRS-4-93)

السَّنويَّة ١٤ لرُسُوم الأطفَال

لقد تلقَّت الإدارة أكثر من أربعة آلاف لوحة من مختلف أنحاء المملكة، ولكنها اضطرّت آسفة إلى استبعاد عدد قليل منها لعدم مُطابقتها لشروط المسابقة، والإدارة إذ تلاحظ هذا لتهيب بالراغبين في المشاركة أن يلتزموا بشروطها بدقة حتى لا تستبعد رسومهم منها.

إنّ أرامكو السعودية إذ تكرّر شكرها وتهانيها، لتوجه الدعوة إلى جميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيُعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.



فارس زين العابدين بكر جمجوم
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فايز محمد أحمد الثبيتي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

فدوى البتال
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فدوى الحرقان
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فراس محمد سليمان المشيقح
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فراس خليل جلغوم
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

فلوه داود الدراج
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فهد اسماعيل القحطاني
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

فهد خالد بوبشيت
مدارس جامعة الملك فهد البترول والمعادن - الظهران

فيصل محمد الشريف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فيصل عبد الله الخنيفر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

فيصل مقبول الزايدي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

كامل حمدان الحارثي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

كرستي ب. مارك
مدارس أرامكو السعودية - العضيلية

لؤي عادل بابكر
مركز سعد الصانع لتقويم السمع والنطق - الخبر

لينا الحمادي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ماجد طلعت بدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ماجد عيضة عثمان الزائدي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

محسن عبد الله الحوري
مدرسة علي بن أبي طالب - عرعر

محمد عبد المولى مصطفى
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

محمد إبراهيم سيد ابراهيم
المدرسة التذكارية الابتدائية - الدمام

محمد عثمان الربيش
المدرسة الرحمانية الخامسة - سكاكا

محمد بن فهد الطويرقي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف

محمد إبراهيم الغنام
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

محمد عامر عبد العزيز المضيان
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

محمد سمير عبد المحسن
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

محمد فؤاد حيدر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

محمد حسن قرعاوي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

محمد سعيد جبران القحطاني
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

محمد سليمان السلطان
مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن - ينبع الصناعية

محمد عمر آدم علي
مدرسة تحفيظ القرآن - الجبيل الصناعية

محمد عبد الله الشريق
مدرسة الإمام نافع لتحفيظ القرآن - ينبع الصناعية

محمد عبد الله الغامدي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مراد فواز أيّوب
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مشاعل بنت نايف بن عبد العزيز آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مصطفى يس مهدي البدري
المدارس النموذجية الأهلية - الدمام

منال مسعود الشربيني الشريف
المدرسة السادسة عشرة المتوسطة - مكة المكرمة

منيرة عبد العزيز الزامل
المدرسة الفيصلية الإسلامية - الخبر

مها فؤاد محمد أبو منصور
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مها يوسف حسين موسى
المدرسة العزيزية الأهلية - الخبر

مهند زهير صالح
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مهند أحمد الطراب
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

مي المعمّر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ميثم كاظم جواد الليث
مدارس الظهران الأهلية - الدمام

ناجي محمد الشمّاس
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

نادر العرفج
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

ناصر عبد العزيز ناصر
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

نايف عواد الشمري
مدرسة الحريلاوي الابتدائية - الجبيل الصناعية

نايف عويض الرويلي
مدرسة علي بن أبي طالب المتوسطة - عرعر

نبيل محمد تريك
مدرسة نعيم بن مسعود الابتدائية - القديح

ندى صالح علي الخليوي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نوره عبد المحسن العيسى
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

نوره سلطان السديري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نوره عبد العزيز الحسيني
- الظهران

هاني عبده عبد الله قاسم
مدرسة ابن الأثير - عرعر

هبه أحمد حسن متولي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هشام الهاشمي
مدارس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن - الظهران

هويدا صالح سيد
المدرسة الابتدائية الرابعة والعشرون - تبوك

هيله عبد الله عثمان الغنام
المدرسة المتوسطة والثانوية الأولى - القصب

وليم باتيستا لويس
- الرياض

يحيى محمد كامل شعراوي
مدارس العزيزية الأهلية - الخبر

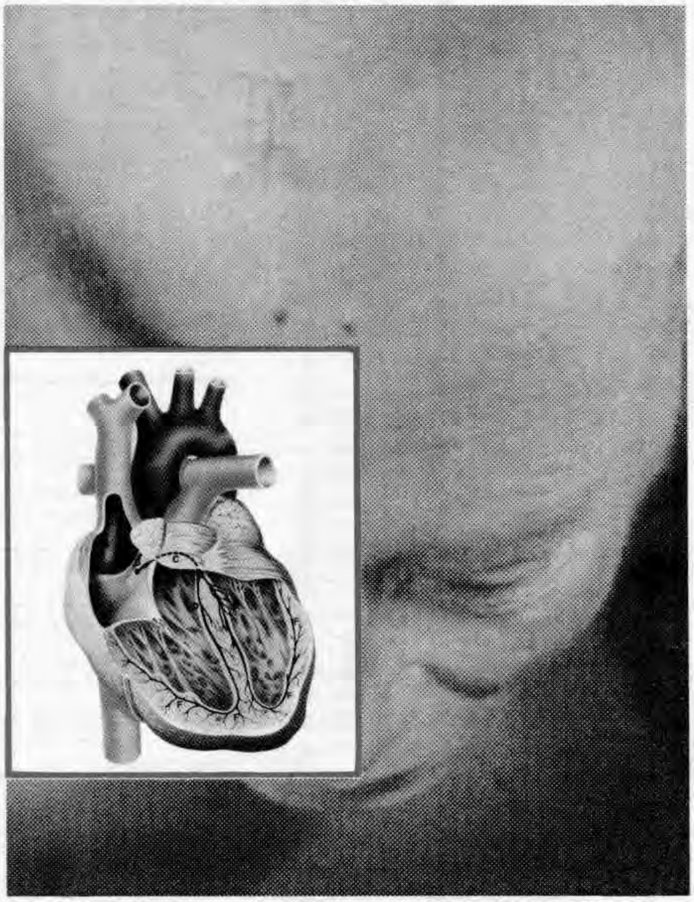
يسرا أحمد العمودي
مدارس عالم الصغار - جدة

يوسف سافر المالكي
مدرسة الملك فهد المتوسطة - الطائف



الصلع الشديد
ومرض القلب المزمن

د. صلاح يحياوي



هــل يـدل الـرأس الأصلع على قلب معـــرض للإصابة؟!

نُشر في ٢٤ شبـاط (فبرايـر) من هذا العام ١٩٩٣م تقـرير ينص على أن الرجـال المتراوحة أعمارهم بين ٢١ عامًا و٥٥ عامًا، والذين قمة رأسهم شديدة الصلع هم أكثر تعرضًا لمعاناة النـوبـات القلبيـة من أولئك ذوي الـرؤوس الكـاملـة الشعـر بثلاث مـرات، أمـا الـرجـال ذوو الصلع المعتدل فأكثر تعرضًا للإصـابة بمرة ونصف المرة.

ولا يعـاني الـرجال الـذين حـد الشعـر في فـروة رأسهـم مـرتـد إلى الخلف، دون أن تكون قمة رؤوسهم صلعـــاء، حتى أولئك ذوي الحد الشـديـد الارتـداد إلى الخلف زيـادة التعرض للخطر.

ظهـر التقـرير في مجلـة الجمعيـة الأمريكية الطبية حول ٦٦٥ رجلاً من ضحايا النوبة القلبية، و٧٧٢ رجلاً لم يعانـوا أية نوبة قلبيـة، وذلك بعد أن تفحصوا إحصائيًا التأثيرات المحتملة للتدخين وضغط الدم المرتفع والعمر وتـاريـخ العـائلـة وعـادات تنـاول المشروبـات الروحيـة وعادات القيـام بالتمـاريـن الرياضيـة وعوامـل أخرى تؤثر في خطر الإصابة القلبية.

وقد دفعت نفقات الدراسة شركة UP-JOHN CO. الصانعة للروغين ROGAIN الدواء المنمي للشعر.

يقـول البـاحثـون وعلى رأسهم المؤلف الـدكتـور صـامـوئيل لسكـو LESKO من كلية الطب في جـامعة بوسطن في قسم الصحة العامة:

ـ تعود فـرضية أن الصلع قد يتنبأ عن مـرض قلبـي إلى أكثـر من ٢٥ سنة.

ويضيفون: لا يُعـرف السبب في الارتباط الظاهـر بين الصلع والإصابة القلبية حتى الآن.

ويظنون أنـه قد يكون للهـرمون الذكري الضروري لتنمية الصلع دورٌ في كبح الكـولسترول «المفيـد» الـذي يصون القلب.

وقـد جاء في المجلـة المذكـورة أن ثماني دراسـات مسبقـة قـد حـاولت استكشاف مـا إذا كان هـذا الارتباط واردًا حقيقـة، ففـي عـام ١٩٩٠م توصل البـاحثون الذين راجعـوا هذه الدراسات الثماني بأكملها إلى استنتاج إمكـان التعـرض الطفيف إلى خطـر مـرض تـاجي نتيجـة للصلع، إلا أن هذا الخطر أقل شأنًا من تلك العوامل المعـروفـة كالتـدخين وفـرط الضغط الشرياني.

ويقـول عضـوا هيئـة التحـريـر الـدكتـور بيتر ويلســون WILSON والدكتور ويليام كانل KANNEL من FARIMINCHAM HEART STUDY

إن على بعض الرجـال الصلع أن يتخذوا مـزيدًا من الحذر كأن يـراقبوا بـاعتنـاء الكـولسترول وضغط الـدم لديهم، وأن يمتنعوا عن التدخين.

ويقول الـدكتور ريتشـارد كارول CARROLL من المركـــز الطبي في جامعة لايولا LAYOLA:

على الـرجـال الـذين يفقـدون شعرهم عند قمة رأسهم أن ينظروا إلى ذلك على أنــه مـــؤشر إلى مشكلـة كامنـة، وعليهم ألا يتهاونـوا في إجراء التحـاليل وتتبـع قيم الكـولسترول المرتفع وضغط الـدم المرتفع والسمات الأخرى التي قد تزيد من خطر مرض القلب.

○ ○

المسرح الشعري عند أنس داود



أنس داود

د. حسين علي محمد

يعد الشاعر المصري أنس داود (١٩٣٥م - ١٩٩٣م) الذي رحل عن دنيانا قبل شهر، أحد العلامات المهمة في المسرح الشعري المعاصر في مصر، فقد أصدر عشر مسرحيات شعرية هي : «بنت السلطان»، و «محاكمة المتنبي»، و «الملكة والمجنون»، و «بهلول المخبول»، و«الثورة»[١]، و «الأميرة التي عشقت الشاعر»، و «الزمار»، و «الشاعر»، و «الصياد والبحر» وله مسرحيتان شعريتان لما تنشرا هما «مقتل شيء»[٢]، و «قيس»[٣].

ولأنه من العسير علينا أن نحيط بتجربة المسرح الشعري عند أنس داود في مقال، فسوف نتناول هنا صورة الشاعر بطلا في مسرح أنس داود.

مصادر المسرحيات

من بين مسرحيات عشر أصدرها أنس داود نجد ثلاثا منها تتخذ من الشاعر بطلاً وهي : «**محاكمة المتنبي**»، و «**الأميرة التي عشقت الشاعر**»، و «**الشاعر**».

● **والمسرحية الأولى (محاكمة المتنبي)** بطلها «أبو الطيب المتنبي» الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وقد استوحاه بعض معاصرينا في أعمالهم فنجد في **الرواية** علي الجارم قد استلهمه في «الشاعر الطموح» و «خاتمة المطاف»، ومحمد جبريل في «من أوراق أبي الطيب المتنبي»، والطاهر وطار في «عرس بغل». كما نجد كثيرا من الشعراء استلهموه **في الشعر** في قصائد لهم ومنهم أمل دنقل، وعبد الوهاب البياتي، وعبد الله البردوني، وكاتب المقال وغيرهم. **أما في المسرحية** «المتنبي يجد وظيفة».

لقد كانت تجربة المتنبي الثرية في شعره وفي حياته المليئة بالأحداث والمواقف دافعا لهؤلاء الأدباء وغيرهم - ومنهم شاعرنا أنس داود - كي يتخذوا منها قناعا (روائيا، أو شعريا، أو مسرحيا)[٤] ليحاكموا واقعهم المعاصر من خلاله، أو يُدلوا بدلوهم في آراء مثارة وقضايا آنية.

● **والمسرحية الثانية «الأميرة التي عشقت الشاعر»** بطلها «وضاح»، ووضاح هذا أحد شعراء العصر الأموي، ويروي صاحب «الأغاني» أن أم البنين - زوج الوليد بن عبد الملك - «عشقت وضاحا، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها، فإذا خافت وارتْهُ في صندوق عندها وأقفلت عليه. فأهدي للوليد جوهر له قيمة، فأعجبه واستحسنه، فدعا خادمًا له فبعث به معه إلى أم البنين، وقال : «قل لها إن هذا الجوهر أعجبني، فآثرتك به» فدخل عليها الخادم مفاجأة، ووضاح عندها، فأدخلته الصندوق وهو يرى. فأدّى إليها رسالة الوليد ودفَع إليها الجوهر، ثم قال : «يا مولاتي هبيني منه حجرا» فقالت : «لا يا ابن اللخناء ولا كرامة» فرجع إلى الوليد فأخبره، فقال الوليد : «كذبت يا ابن اللخناء» وأمر به فوجئت عنقه، ثم لبس نعليه ودَخَل على أم البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط، وقد وَصَف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه فجلس عليه، ثم قال لها : «يا أمّ البنين ! ما أُحبُّ لك هذا البيت من بيوتك ! فَلِم تختارينه ؟» قالت : «أجلس فيه وأختاره لأنه يحمل حوائجي كُلَّها فأتناولها منه كما أريد من قُرْب». فقال لها : «هبي لي صندوقا من هذه الصناديق» قالت : «كلها لك يا أمير المؤمنين» قال : «ما أريدها كلَّها، وإنما أريد واحدًا منها» فقالت له : خذ أيها شئت». قال : «هذا الذي جلست عليه» قالت : «خذ غيره فإن لي فيه أشياء احتاج إليها». قال : «ما أريد غيره». قالت : «خذه يا أمير المؤمنين». فَدَعا بالخدم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه، ثم دعا عبيدًا له فأمرهم فحفروا بئرًا في المجلس عميقة، فنُحِّي البساط، وحُفرت إلى الماء، ثم دعا بالصندوق، فقال : «إنَّهُ بلغنا شيء، إن كان حقا فقد كفّنّاك ودفنّا ذكراك وقطعنا أثرك إلى آخر الدَّهر، وإن كان باطلا فإنا دفنّا الخشب، وما أهون ذلك ! «ثم قذف به في البئر، وهيل عليه التراب، وسُوِّيت الأرض، ورُدّ البساط إلى حاله، وجلس الوليد عليه، ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم. وما رأت أم البنين لذلك أثرًا في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما»[٥].

والقصة كما رواها أبو الفرج تقترب من الحكايات الشعبية، وتعدُّ مصدرا ثرا للكتّاب، وإن كان لم يتناولها أحد غير أنس داود.

● **والمسرحية الثالثة (الشاعر)** : يستوحي فيها «حياة الشاعر صالح الشرنوبي وشعره وإشكالات وجوده وأسرار عالمه النفسي»[٦]. وصالح

المسرح الشعري عند أنس داود



الشرنوبي شاعر رومانسي معاصر، لم يستطع أن يتكيف مع مجتمعه فمات منتحرًا [٧]، وتتشابه مفردات حياته مع مفردات حياة أنس داود مما جعله يتخذ من الشرنوبي قناعا مسرحيا ليحاكم من خلاله واقعنا المعاصر، ويقدِّم رؤاه النقدية والإصلاحية.

الشاعر في مواجهة المجتمع

يبدو الشاعر في مسرح **أنس داود** واقفا في ناحية بينما العالَـمُ يقف في ناحية أخرى. يقول «الشاعر» في المسرحية التي تحمل العنوان نفسه عن المدينة :

مدينة الزجاج والقصديرْ
مدينة الرّصاص والأسمنت
والضمائر المرتهنهْ
وباعة الأقلام والسماسِرَهْ
والشاعر الذي يلهثُ خلف سُدَّة السلطانْ
كالغانية المؤتجره [٨]

لا يمكن أن تتصالح روح شاعر محب للجمال، باحث عن الصدق مع مجتمع يعج بالدمامة، ومن ثم فإننا نرى روحه المتفتحة للحق والعدل والحرية والخير والجمال ترفض أن تتصالح مع كل هذا القبح !

إن أفكاره لن تلتقي مع هذا المجتمع، «كما أنه لا نِيَّة عند هذا المجتمع



طاهر وطار



صالح الشرنوبي

ليتم الالتقاء بين النقيضين : المجتمع بقوته الضاغطة وتقاليده وأعرافه الراسخة وهذا الشاعر الفرد الحالم [٩].

ويمثل الشاعر عند **أنس داود** البكارة في مقابلة الزيف، كما يمثل الوعْد الآتي في مقابلة الواقع الجهم، ويمثل أيضا صوت البشير للمستقبل يقول «وضّاح» في مسرحية «الأميرة التي عشقت الشاعر» :

لكني يا مولاي
عنوانُ الرفضِ، وصَوْتُ الغضبِ الغائب
صوْتُ الوعد الآتي من شُرُفاتِ الغيْب
وضعتْني الأقدارُ على هذا المشرعْ
أرتادُ الدَّربَ لهذا الشَّعْب ولن أرجعْ
حتّى يتعلَّمْ
أن يفتح عينيْـه ويُبْصِـر
أنْ يُرْهفَ أُذنيْـهِ ويَسمعْ
أن يستيقظ، أن يصرخ، أن يتألَّمْ
أن يعرفَ جلّاديه، وسرَّاقيه [١٠]

الشاعر أزمته سياسية

الذي يتأمل في النتاج المسرحي العربي المعاصر «قد يفاجأ بأن الغالبية العظمى من المسرح العربي الجاد في السنوات الأخيرة يجنح إلى السياسة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة» [١١]. وأزمة الشاعر/ البطل في مسرح **أنس داود** **«وضاح، والمتنبي، وصالح الشرنوبي» أزمة سياسية.**

وإذا أخذنا «**المتنبي**» مثلاً، فقد ظل طوال المسرحية على عداء مع السلطة، وظل ثابتا على نقدها وعدم التصالح معها. وظلت السلطة تتهمه وتطارده، ورغم ذلك فإنه لم يكل، ولم يتعب، وهو يعرف أن هذا الأمر قد يكلفه حياته.

يقول المتنبي ردا على الأميرة التي تنصحه بالهرب، حتى ينقذ حياته.

أنا مِلْكُ عناية هذا الشعب الطيِّبْ
فاغتفري لي . . أني لن أهرب
لن أتذمر . . لن أشكو . . لن أبكي
قَدَري قَدَرُ البلبل فوق الأيْكِ
أن يتغنَّى بالـحُسْن وينفرَ من قبح الشَّوْك
أن يصحو الفجر على بسمته، ويطارده جشع الصيَّادْ
فليسمعْ شعبي :
أعطيت لـه قلبي
فيضامن وَهَج الشعر، ومن نبض الحب
وليسمع صوتي الفقراء، ويسمعني الأطفالُ
وأجيال المسحوقين التعساء
وليسمعني السادة، والقادةُ، والأوغادْ
إنِّي : المتنبي
أسمعُ ـ قادمةً ـ صوت الثورة
أبْصِرُ ـ قادمةً ـ زحف الثورة فاختبئي في ظلِّ الشعب الطيبِ، وارتقبي . .
ارتقبي . . ارتقبي.

״ استخدامه المرأة قناعًا أو رمزًا فيه تأثر بتجربة الشاعرين عبد الصبور والشرقاوي ״

ولغة الشاعر هامسة رامزة، لكنها ترتفع أحيانا حينما يصيب السأمُ بَطَلَه كما نجد «وضاحا» يصرخ في نهاية مسرحية «الأميرة التي عشقت الشاعر» :

يا مولاي

في عهدك يزدهرُ الوهم

يقتاتُ الشعب موائد من حُلْم

طالت أيدي السرّاق طعام الشعبْ

وتخطّتْ ثروات مواليك حدودَ التخْمة

وتفسخت الأخلاق

وسادَ العَفَنُ الأسودُ

نَخَر السوسُ كيانَك . . فامتد السوسُ

إلى عَظْمِ الدَّوْلةِ، ونخاع الـحُكْم

سقط القانونُ، وزُيِّف حتى التشريعُ

وضُرِبت آياتُ العَدْل

لكننا لحسن الحظ لا نجد ذلك كثيرًا في مسرح **أنس داود**، وقليلة هي تلك اللحظات التي يعلو فيها صوت البطل، فينفجر بالثورة والخطاب.

المرأة تؤازر البطل

في هذه المسرحيات تقف المرأة، الأميرة، الحبيبة بجانب البطل تؤيده وتشد من أزره حتى لو انفض الجميع من حوله، نجد ذلك في شخصية «الأميرة» في مسرحية «محاكمة المتنبي» حيث تدافع عن المتنبي أمام كافور وتقول :

من خلف قوافيه أرى دنيا تنسجها الصورُ

السحريَّة في أملٍ مرتجفٍ ورجاءْ

تحمل للمحرومين، وللمغلوبين الفقراءْ

أحلى ما تَـحْمِلُهُ الأحلامُ،

وما ترسمُهُ الأوهامُ

وما يصنعه الأملُ البسامْ (١٤)

ويكون «الشعر» هنا معادلاً موضوعيا **للفكرة، والحقيقة، والمستقبل، والعدل**، حيث يصير من المستحيل القضاء على هذه المعاني النبيلة حينما نقتل صاحبها.

ولعل ما يوضّح ذلك قول «الأميرة» لوضّاح في مسرحية «الأميرة التي عشقت الشاعر» :

يبدو أني أهوى الشعر بأكثر مما أهوى الشعراءْ (١٥) و «سعدية» في مسرحية «الشاعر» هي صوت الوطن، الأرض، ورمز الخصوبة والاستمرار، ونكاد نلمح فجيعتها حينما ترى «الشاعر» مغتربا، مكتئبا، تطارده الظنون، فتناغيه بهذه الأبيات الملتاعة، التي تشف عن الرمز وتكشف خيوطه :

أنا لست لغيرك يا صالح

لكنك لا تفهمني

لا أعرف إلا أنت

لم أفهم إلا أنت

لم أعشق إلا أنت وصدِّقْني

ثِقْ أنِّي أمنعُ من عنقاءْ

أخرجني من زوبعة ظنونك وتفهَّمْني (١٦)

إنه يستخدم المرأة قناعًا أو رمزًا ــ متأثرًا بتجربة صلاح عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوي في مسرح الشعر الحر، وإن كان المتأمل المتأني في مسرح أنس داود يرى أن شخصية المرأة عنده أكثر إحكامًا، وتماسكًا، وخصوبةً، وتقوم بدورها المنوط بها في ظل مسرح أزمته زوبعة في الأساس سياسية، ويعانقُ رمزُ المرأة شوق المجموع في مستقبل أفضل، وطموحه إلى غد أكثر رحابة وأمنا، ويحاول أن يتجاوز المثبطات التي تعترض الطريق، وما أكثرها !



صلاح عبد الصبور



عبد الرحمن الشرقاوي

الهوامش

(١) نشرت هذه المسرحيات العشر في مجلد واحد عنوانه «مسرح أنس داود، الأعمال الكاملة - ١» عن دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩م.

(٢) نشرت في مجلة «إبداع» عدد يناير وفبراير ١٩٩١م.

(٣) تحت الطبع في سلسلة «أصوات أدبية» التي تصدرها الثقافة الجماهيرية بمصر.

(٤) في مناقشة هذه الفكرة تُنظر رسالة ماجستير بعنوان «استلهام المتنبي في الأدب العربي المعاصر» لفهمي عبد الفتاح المتولي، مخطوطة، كلية الآداب ــ جامعة الزقازيق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

(٥) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، جـ٦، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت، ص ٣٧، ٣٨.

(٦) أنس داود : مسرح أنس داود، ص ٥٢٣.

(٧) انظر مقالنا عن مسرحية «الشاعر» في مجلة «الهلال» ــ فبراير ١٩٩١، وانظر الجزء المخصص لتناولها في كتابنا «البطل في المسرح الشعري المعاصر» سلسلة «كتابات نقدية» العدد (٦)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ١٩٩١م، ص ١٨١ - ١٩٣.

(٨) أنس داود : مسرح أنس داود، ص ٦٠٨.

(٩) د. حسين علي محمد : البطل في المسرح الشعري المعاصر، ص ١٦٤.

(١٠) أنس داود : مسرح أنس داود، ص ٣٨٨.

(١١) د. أحمد العشري : مقدمة في نظرية المسرح السياسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م، ص ٣٣.

(١٢) أنس داود : مسرح أنس داود، ص ١٥٤، ١٥٥.

(١٣) المصدر السابق، ص ٤٦٩.

(١٤) المصدر السابق، ص ١٣٢.

(١٥) المصدر السابق، ص ٤٢٣.

(١٦) المصدر السابق، ص ٥٧٩.

التحاليل الطبية

وأهميتها في تشخيص الأمراض وعلاجها

د. محمد مصطفى السمري

ليس ثمة شك أن تشخيص الأمراض في وقتنا الحالي لم يعد يعتمد على فحص المريض سريريا (الفحص العام) أو على فراسة الطبيب المعالج ومهارته فحسب، بل أصبح يعتمد بصورة أساسية على الفحوص الطبية المختلفة والاختبارات المعملية اللازمة، والتي تقدمت في السنوات الأخيرة بصورة مذهلة سواء على مستوى التكنولوجيا المستخدمة فيها أو على مستوى دقة هذه الاختبارات وقدرتها على الكشف عن أيّ خلل أو مرض.

وتحليل البول في مقدمة هذه الفحوص والاختبارات، فهو يجرى الآن في كل المستشفيات (روتينيا) لكل مريض. ولقد كان فحص البول في مقدمة الوسائل التي استخدمها الأطباء القدامى في تشخيص الأمراض، فكان قدماء المصريين يستعينون ببول الحامل على معرفة نوع الجنين، وذلك باستخدامه في إنبات بذور معينة بأن تسقى به، ونجحوا في ذلك إلى حد غير قليل. وكان الطبيب الفرعوني القديم أول من اكتشف مرض السكر عن طريق فحص البول عندما لاحظ تجمع النمل على بول بعض الأشخاص، بينما لا يحدث ذلك مع بول الآخرين.

وبرع أطباء العرب والإسلام ـ وبخاصة الرازي وابن سينا ـ في استخدام البول لتشخيص الكثير من الأمراض ومن ثم علاجها. وفي كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) يروي مؤلفه ابن أبي أصيبعة (ت ١٢٧٠م) حكاية طريفة تدل على مدى براعة الطبيب العربي في معرفة البول الإنساني معرفة تامة، فيقول: «أراد الخليفة العباسي هارون الرشيد أن يداعب طبيبه جبرائيل بن بختيشوع ويختبر براعته في معرفة بول الإنسان وتمييزه، فاتفق مع بعض خاصته على أن يعرضوا على ذلك الطبيب وهو في مجلسه قارورة بها بول حصان، زاعمين أنه بول إحدى المحظيات الأثيرات عند الخليفة ففعلوا ذلك، ثم طلب منه الخليفة في المجلس أن يفحص البول ويصف العلاج اللازم لما هناك من مرض. فما كاد الطبيب ينظر إلى البول حتى فطن إلى حقيقته، وقال للخليفة: هذا ليس بول إنسان وإذا لم يكن بد من وصف علاج لصاحبه فليكن تعهده بالشعير ومثله من جيد العلف». ولما سأل الخليفة طبيبه كيف عرف ذلك، أجاب بأنه عرفه بما تبينه من اختلاف ذلك البول عن بول الإنسان من حيث اللون والرائحة والكثافة.

صفات البول الطبيعية

١) **اللون**: يتراوح لون البول الطبيعي بين اللون الرائق عديم اللون إلى اللون الكهرماني الأصفر حسب كثافته أو درجة تركيزه. وبعض الأمراض تؤدي إلى تغيرات مرضية في لونه. وقد يتملكك العجب إذا ألقيت نظرة على مائة كأس بول مثلا في أحد المعامل الطبية لما تجده بينها من ألوان قد لا تخطر لك على بال. فقد يصبح لون البول مثل لون (العرقسوس) أو الشاي في حالة الالتهاب الكبدي الوبائي أو الصفراء الانسدادية، وقد يصبح لونه (أحمر فاتحا) في حالة التهاب الكلى الحاد أو البلهارسيا، ويصبح لونه (أحمر بنيا) في حالات الأنيميا التكسرية. كما قد يتخذ البول ألوانا أخرى نتيجة تعاطي بعض الأدوية أو تناول بعض الأطعمة. وليس معنى عدم تلون البول بهذه الألوان خلوه من الأمراض، فكثيرا ما يحتوي البول على الدم مثلا ولكنه لا يُرَى بالعين المجردة، ويحتاج الأمر حينئذ إلى الفحص المجهري.

٢) **الشفافية**: البول الطبيعي سائل رائق شفاف، بيد أنه قد يتعكر نتيجة وجود الأملاح وبخاصة (أملاح اليوريت)، أو عدوى البول، أو النزيف، أو وجود إفرازات غدة البروستاتا أو الحيوانات المنوية في البول.

٣) **الكثافة النوعية**: تتراوح الكثافة النوعية (Specific Gravity) للبول في الأحوال الطبيعية بين ١,٠١٥ ـ ١,٠٢٥ مقارنة بالماء الذي تبلغ كثافته ١,٠٠٠ (واحد صحيح). وتختلف كثافة البول بحسب كمية السوائل المتناولة. وتزيد كثافة البول في مرض السكر حيث تصل إلى ١,٠٥٠ أو ١,٠٦٠، كما تزيد في حالات وجود الزلال بالبول. وعند نقص كمية السوائل المتناولة، أو زيادة السوائل الخارجة من الجسم مثل حالات الإسهال والقيء. وتقل كثافة البول في حالة زيادة السوائل المتناولة، أو استعمال الأدوية المدرة للبول، ومرض البوال غير السكري الناشئ عن اضطراب الغدة النخامية (Dia-betes Insipidius) أو الفشل الكلوي الذي تنخفض فيه كثافة البول إلى ١,٠١٠.

٤) **تفاعل البول**: البول ـ عادة ـ حامضي قليل الحموضة، حيث تتراوح درجة تركيز أيون الهيدروجين فيه (PH) بين ٤,٦ و٨. وفي بعض الأحيان يصبح البول قلويًا بعد تناول الوجبات ذات الميل للقلويات مثل البيكربونات ومشتقات اللبن، أو تناول أدوية ضد حموضة المعدة، وكذلك عدوى الجهاز البولي.

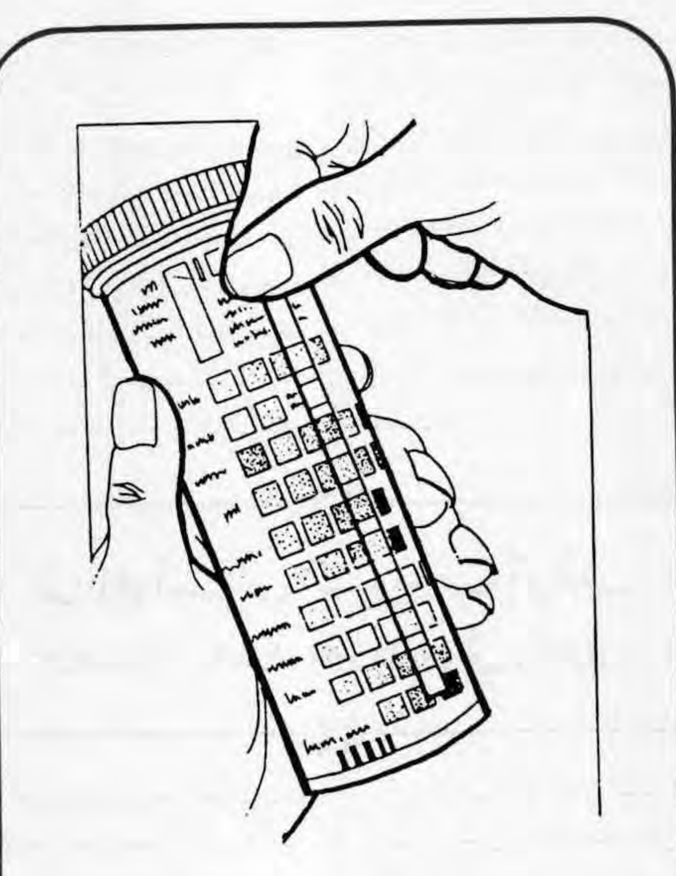
٥) كمية البول: تتراوح كمية البول المطروحة خلال ٢٤ ساعة عند البالغين بين لتر واحد إلى لتر ونصف اللتر أو لترين، وعند الأطفال بين ٣٠٠ و١٥٠٠ ملليلتر. وتتناسب

كمية البول تناسبا طـرديًا مع كمية ما يتناوله الشخص من شراب وطعام، وتنـاسبا عكسيـا مع درجـات الحرارة التي يتعـرض لها وما يفرزه الجلـد من عرق، مما يفسر زيـادة إدرار البول في الشتاء عنـه في الصيف. وتقل كمية البـول المطـروحـة بشكل مـرضيّ إذا نقصت كميـة الـدم الـذي يسري في الكلى، مثلما يحدث في حـــــالات النزيف والصدمات وبعد العمليات الجراحية، وفي مرض الالتهاب الحاد غير الصـديـدي بـالكلى، وحـالات انسداد المسـالك البولية بـالحصيات البولية مثلا. ويدل نقص كمية البول أيضا على نقص السوائل المتناولة عن طـريق الفم أو نتيجـة ضيـاع كميـة كبيرة من الســوائل كما هي الحال في الحميات وحالات الإسهال والقيء.

وتزداد كمية البول بصورة مرضية في مرض السكر، ومـرض البوال غير السكري، وبعض الأمراض العصبية مثل الصرع والهستيريـــــا، وبعض أمــراض الكلى مثل التهـاب الكلى المزمن والفشل الكلـوي المزمن. وقد تزداد كميـة البول بصـورة (وقتية) في حالات شرب كميات كبيرة من الماء، أو شرب السـوائل المدرة للبول بكثـرة مثل الشاي والقهوة، وكذلك الأدوية المدرة للبول.

ماذا يعني وجود هذه المواد في البول؟

ليس ثمـة شك أن تحليل البـول يساعد الطبيب على تشخيص الكثير من الأمراض، ويتيح له الوقوف على حقيقـة حال المريـض، وعلى تقريـر العلاج الأنجع والأسرع لما يعانيه من أمـراض. ليس هـذا فحسب بل إن تحليل البول يؤدي دورًا مهمًّا في متابعة الأمـــراض التي تخضع للعـــلاج، ويعـطي للطبـيب - بـل المـريض أيضـــا - صــورة حقيقية عن مـدى فاعلية الدواء المقدم للمريض.



في المنزل يتم تحليل البـول باستخدام شرائط خاصـة، يتغير لونها عند وضعها في البول، وعن طريق تحديد اللون الجديد ومقارنته بقائمة الألـوان الموجـودة على العلبـة يمكن تحديـد كميـة السكـر أو البروتين الموجودة في البول.

> **نقص كمية الدم في الكلى يقلل كمية البول بشكل مرضي**

وأهم المواد التي يمكن أن يحتويها البـول وتكون ذات دلالـة هامـة على المرض هي السكر والـزلال والصديد والأملاح وأسطوانات البول والدم.

السكر في البول

يحتوى البول في الحالات الطبيعية على مقـادير قليلـة جـدا من سكـر الجلـوكوز، ولا تبـدأ الكلية عـادة في طرح الجلـوكوز في البـول إلا عندمـا يرتفع مقدار الجـلـوكـوز في الـدم إلى نـحو ١٦٠ ــ ١٨٠ ملليجرام/ لكل ١٠٠ سنتمتر دم. وعنـدمـــا يطـرح الجلوكوز في البـول، فإنه يجذب معه كميات كبيرة من الماء، وهـذا يسبب أهم أعراض مرض السكـر وهو كثرة مرات التبول والعطش الشديد.

وننصح مريـض السكر بفحص البـول للسكر والأسيتـون بـاستعمال أحـد الأشرطـة الخاصـة بـذلك مثل (التس تيب) أو (الجلـوكـوتست) أو (الجلـوكوتـر). ويفيد هـذا الفحص مـــرضى السكـــر غير المستقـــر أو المعرّضين للإصابة بغيبوبة السكر أو أثناء الحمل. كما يفيـد الكشف عن الأسيتـون في البـــول في الحالات التي ترتفع فيها نسبة السكر في البول أو في الدم بصفة مستمرة. ويمكن لمريض السكر تحليل بـوله مـرة قبل الإفطار ومرة بعـد العشاء أو حسب تعليمات الطبيب المعـــالـج. وتعتمـــد هـــذه الطريقـة على وجود مادة معينـة لونها أصفـر بطـرف كل شريط، فيغمس طرف الشريط في البول ثم يُعرض في الهواء لمدة ٦٠ ثـــانيـــة، فإن لم يتغير اللـون الأصفر فـلا يـوجد سكـر في البول، أما إذا تغير اللون الأصفر إلى ألـوان أخـرى فهذا يـدل على وجـود السكر في البول. ويتم مقـارنة اللون النـاتج بالألـوان الموجودة على علبـة الشرائط كما يلي:

- أصفر (لا سكر في البول).
- أخضـر مصفر (+).. أي إن نسبة زيادة السكر في البول (قليلة).
- أخضر (++).. أي إن نسبـة زيادة السكر في البول (متوسطة).
- أخضر غامق (+++).. أي إن نسبة زيادة السكر في البول (كبيرة).
- أزرق (++++).. أي إن نسبة زيادة السكر في البول (كبيرة جدا).

ويـوجـد السكـر في البـــول في أمراض أخرى غير مرض السكر مثل: مرض زيادة إفراز الغـدة الدرقية، وبعض أمـــــراض الكلى. وبعـــد استعمال بعض الأدوية المدرة للبول،

وبعض الأدوية المهدئة، والسيترتيدات.

الزلال

نوع من بروتينات الجسم المهمة يقوم بحفظ توازن سوائل الجسم المختلفة. وفي الأحوال العادية تقوم الكلية بامتصاص كل البروتين الموجود بالدم ـ ومنه الزلال بالطبع ـ عند مروره في الكلية، وبالتالي لا يوجد أي زلال في البول. وعندما يظهر الزلال في البول فثمة مرض ما قد أصاب الجهاز البولي أو غيره من الأجهزة المرتبطة به مثل الجهاز الدوري والقلب. ومن أشهر مضاعفات وجود الزلال في البول هو التورم العام بالجسم أو (الأوديما) خاصة تورم الأطراف والوجه.

ووجود الزلال في البول يدل على وجود أحد هذه الأمراض: التورم الكلوي (١٠ ـ ١٥ جرام زلال/ اليوم)، التهاب الكلى المناعي (مرض برايت)، تكيس الكلية الخلقي، التهاب حوض الكلى المزمن، سرطان الكلية، سرطان النخاع المتعدد، ارتفاع ضغط الدم، فشل القلب الاحتقاني، فقر الدم الشديد، التسمم بالرصاص أو الزئبق، والتسمم الحملي.

وهناك أسباب (فسيولوجية) أو غير مرضية لوجود الزلال في البول، بمعنى أن وجود الزلال لا يدل على وجود مرض ما بالجسم مثل: وجود الزلال في البول عقب الألعاب الرياضية المجهدة، وأثناء الحمل، وعند الأطفال الحديثي الولادة (خلال الأسبوع الأول بعد الولادة).

وهناك ظاهرة شهيرة تسمى (طرح الزلال بالبول المتعلق بالوقوف) Orthostatic Albuminuria وفيها يظهر الزلال في البول بمقادير قليلة (٢ ـ ٣ جرام في اليوم) أثناء الوقوف فقط ويختفي أثناء وبعد النوم. أي إن الزلال يوجد في البول طوال اليوم ويختفي في الصباح. وتحدث هذه الظاهرة عند نحو ٥ ـ ١٠٪ من الشباب الذين تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة، وخصوصا الذكور الطوال القامة. ومن هنا أطلق على هذه الظاهرة اسم (زلال المراهقة). ووجود الزلال في البول هنا لا يؤثر مطلقا في صحة الشباب أو نشاطهم المعتاد. وتختفي هذه الظاهرة في معظم الحالات مع التقدم في العمر (٤٠ ـ ٥٠ سنة).

> ”هناك أسباب فسيولوجية أو غير مرضية لوجود الزلال في البول“

الصديد

هو خلية دم بيضاء التهمت ميكروبا داخلها. ويوجد في البول الطبيعي نسبة معينة من خلايا الدم البيضاء لا ترى بالعين المجردة تصل إلى (١٠) في السنتمتر المكعب من البول أو (١ ـ ٥ خلايا/ في الساحة المجهرية). تزيد هذه النسبة مع بعض الأمراض مسببة ما نطلق عليه (الصديد البولي). وتختلف شدة الصديد من حالة إلى أخرى حسب عدد الخلايا الصديدية في السنتمتر المكعب من البول. ويكون البول عندئذ معتما، وقد تنبعث منه رائحة كريهة، ويختلف لونه حسب نوع الميكروب المسبب. ووجود الصديد يستلزم عمل (مزرعة) واختبار حساسية لمعرفة نوع الميكروب أو الميكروبات المسببة للمرض بدقة، ومن ثم إعطاء المضاد الحيوي المناسب لها.

ومن أشهر الأمراض المسببة للصديد البولي: التهابات حوض الكلى الحادة والمزمنة، التهاب المثانة، التهاب البروستاتا، التهاب مجرى البول، البلهارسيا، الدرن الكلوي، السيلان، حصيات الجهاز البولي وغيرها.

الأملاح

تترسب أحيانا وتحت ظروف معينة أنواع عديدة من الأملاح في الجهاز البولي. وتختلف هذه الأملاح باختلاف تفاعل البول. ففي البول (الحامضي) تترسب أملاح أو كسالات الكلسيوم وحامض اليوريك والسستين وغيرها. وفي البول (القلوي) تترسب أملاح الفوسفات وكربونات الكالسيوم ويوريت الأمونيوم وغيرها.

وأهم العوامل التي تساعد على تكون أملاح البول: التهاب الكلى والمسالك البولية، وجود ركود (Sta- sis) في البول نتيجة انسداد المجاري البولية في مكان ما، زيادة نشاط الغدة فوق الدرقية، احتواء الطعام على كميات زائدة من الكالسيوم (خاصة اللبن) وفيتامين (د)، تناول الأطعمة التي تحتوي على الأكسالات مثل الطماطم والسبانخ والشيكولاته، نقص فيتامين (أ)، عدم تحرك الشخص مدة طويلة.

أسطوانات البول

تتكون كل كلية من مليون وحدة وظيفية تسمى النفرون (Nephron)، وهي تختص باستخلاص كثير من المواد وترشيحها من الدم المار بالكلية. وعند حدوث التهاب لأنسجة الكلية المحتوية على هذه الوحدات تترسب بعض المواد مثل (الدم والهيالين) في قنوات دقيقة بالكلية، وتُفرز في البول على هيئة أسطوانات (Casts) متخذة شكل هذه القنوات التي ترسبت فيها.

وأسطوانات البول هذه أنواع فهي إما حبيبية أو هيالينية أو قنوية أو دموية. ووجود هذه الأسطوانات في البول دليل مهم على وجود التهاب أو ضرر بأنسجة الكلى الداخلية.

وأهم الأمراض التي توجد فيها أسطوانات البول: التهاب الكلى الحاد والمزمن، التهاب حوض الكلى، حصيات المثانة، ارتفاع ضغط الدم، الحروق، نقل دم لفصيلة مختلفة، تعاطي جرعات كبيرة من السلفاناميد، التسمم بالزئبق والزرنيخ.

الدم في البول (البول الدموي)

في الأحوال الطبيعية لا يوجد دم أو هيموجلوبين في البول، وعند وجود كمية قليلة من الدم فربما ظهر البول بلونه الطبيعي واحتاج اكتشاف

الدم فيه إلى الفحص المجهري . أما إذا كانت كمية الدم كبيرة فإن البول قد يظهر مدخنا أو أحمر فاقعا أو بنيا حسب نوع المرض المسبب، ويمكن حينئذ رؤيته بالعين المجردة .

(البول المدخن) : أي يظهر البول مدخنا (Smoky) أي بلون الدخان . وأشهر مثال على ذلك هو مرض التهاب الكلى الحاد (مرض برايت) في الأطفال .

(البول الأحمر) : ويحدث ذلك عندما تزداد كمية الدم في البول، والأمثلة على ذلك كثيرة من أشهرها : التهاب الكلى الحاد في الحالات الشديدة، تكيس الكلى الخَلْقي، أورام الكلى والمثانة، بعض حالات البلهارسيا، حصيات الجهاز البولي (خاصة الحصيات المنحشرة)، التهاب مجرى البول والبروستاتا، إصابة الكلى أو المسالك البولية أو وجود ضيق بها، استعمال آلات فحص المثانة مثل قسطرة ومنظار المثانة، وبعد عمليات المسالك البولية .

(بول أحمر بني) : قد يتلون البول باللون الأحمر البني ولكنه لا يحتوي على كرات الدم الحمراء وإنما يحتوى على الهيموجلوبين الناتج عن تكسير هذه الكرات . وتحدث هذه الحالة - التي تسمى (هيموجلوبينوريا) - نتيجة للأمراض التي تسبب انحلال أو تكسير كرات الدم الحمراء مثل :

بعض أمراض الدم كأنيميا الفول عند الأطفال والأنيميا الخبيثة والأنيميا المنجلية، وسرطان الدم (اللوكيميا)، وأمراض الملاريا والتيفود والزهري، ونقص فيتامين (ج) . كما تحدث بعد التعرض للبرد في المرضى المصابين بالزهري الوراثي، وبعد الحروق الشديدة، وتعاطي بعض الأدوية مثل السلفا والكينين والأسبيرين، وبعد نقل فصيلة دم مختلفة، وبعد التمرينات الرياضية العنيفة أحيانا .

وتجب التفرقة بين البول الدموي المحتوي على كرات الدم الحمراء أو الهيموجلوبين، وذلك بفحص البول مجهريا، وبين مجرد تلون البول باللون الأحمر الناتج عن تعاطي بعض الأدوية مثل الحديد والريفامبين، أو تناول بعض الأكلات مثل البنجر. ويجب على المريض ملاحظة متى يظهر اللون الأحمر في البول : فإذا ظهر اللون الأحمر في بداية التبول فهذا دليل على وجود التهاب حاد في قناة البول أو مرور حصيات في القناة البولية، وإذا ظهر وسط التبول فالسبب إما في الكلى أو الحالب أو المثانة، وإذا ظهرت قطرات الدم في نهاية التبول فإن ذلك علامة مميزة على وجود مرض البلهارسيا .

(البول بلون العرقسوس) : في بعض الحالات يظهر البول غامقا مثل لون الشاي أو العرقسوس (Li-quorice)، ويحدث ذلك في حالة الالتهاب الكبدي الوبائي أو الصفراء الانسدادية، نتيجة انسداد المسالك الصفراوية بواسطة حصيات أو أورام أو ضيق بها .

أهم المراجع

1) Elements of Clinical Medicine/Volume 1&11/ Essam Fikry & Morsi Arab/Faculty of Medicine, University of Alexandria Third Edition/1970.

2) Medical Diseases of the Kidney.

Essam Fikry & A.A. Hozayen.

Faculty of medicine, University of Alexandria/Third Edition/1985.

٣) قبل أن تذهب إلى معمل التحاليل/ د. عبد الفتاح محمد عطا الله/ كتاب اليوم الطبي/ مؤسسة أخبار اليوم بمصر/ العدد رقم ٨٤/ مارس ١٩٨٩م .

بين الأمانة والعناية



التاريخ لا يعيد نفسه، وإلا أصبح نسخة واحدة، إنسان الغاب كإنسان اليوم .

والتاريخ لا يتطور تلقائيا، وإلا أصبح مثلما قال هيجل : روحا كبيرا يحرك البشر كأنهم آلات ميكانيكية .

التاريخ قد ينتكس إلى الوراء .

وقد يصيب القوم مثلما أصاب قوم عاد .

قالت له : أراك تنقد طبيعتك، وتصبح متشائما . قال لها : ليس الأمر كما تظنين، فالتاريخ إذا كان لا يتطور تلقائيا، فإنه يتطور بتدخل الإنسان، وإرادة الله لا تساند الضعفاء، الذين يعتمدون على «الروح الكبير» .

كانت ملكة النحل مسترخية، وحولها الشغالة يرصون بيضها بلا توقف . وتقدم طفل صغير يختلس رحيقها، دون أن يبالي بجماعات النحل التي تئز حوله، فقد علّمه أبوه كيف يتقي شرها .

قالت له : إنك تقلقني .

قال لها : بل أضعك أمام مسؤوليتك، والمسؤولية قلق، ولكنها قدر الإنسان منذ الأزل وخلاصه، خرج أبوه من الجنة وكان لا يعرى فيها ولا يضحى، وتحمّل قدره، وأعطي الأشياء أسماءها، وعمر الكون، وأصبح خليفة في أرض الله .

قالت له : زدني .

قال : أزيدك آيات من القرآن، تغنيك عن هيجل و«وجع الدماغ» .

وأخذ يتلو عليها من سورة الأحزاب :

﴿ إنّا عَرَضْنَا الأمانةَ على السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ فَأَبيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها، وَحَمَلَها الإنسانُ ﴾ آية ٧٢ .

قالت له : إني أرتعد، فأنا لست أقوى من الجبال .

قال : لا تخافي، معك عناية الله .

قالت : أعُدتَ إلى هيجل من جديد؟

قال : كلا، هناك فرق بين روح كبير يعمل كما يعمل النحل، وبين عناية تخلق كل شيء بقدر .

وأضاف : لقد اختص الله الإنسان بالمسؤولية، لأنه أقوى المخلوقات، حتى لوكانت هذه المخلوقات هي السموات والأرض والجبال .

إن المسؤولية أمانة وتكريم وتشريف .

قالت : أحس الآن أنني أقوى مما كنت ألف مرة، معي عناية الله، وبها أغزو السموات والأرض والجبال .

كان الطفل قد خرج لتوه من الخلية منتصرا، يحمل بين يديه شهده، وينظر إلى جماعات النحل نظرة إشفاق .

د. عبدالحميد إبراهيم



نافذة على ثقافة الغرب



تأليف:
دوروثي نيلكين
عرض وتقديم:
عدنان عضيمة

SELLING SCIENCE
بيع العلم

يعالج كتاب (بيع العلم **SELLING SCIENCE**) لمؤلفته دوروثي نيلكين قضية حسّاسة قلما تصدى لها الدارسون والباحثون بالرغم من أهميتها البالغة والمتزايدة بالنسبة للشرائح الاجتماعية كافة، وتتمثل في تقييم دور الصحافة في تغطية أخبار التطوّر العلمي والتكنولوجي. ولقد أبرزت جملة من المناقشات والندوات والإحصاءات التي سبقت نشر الكتاب أهمية مثل هذه الدراسة بعد أن تبيّن منها تفشي ظاهرة الجهل العام بطبيعة التطورات المتسارعة في حقول العلم والتكنولوجيا وضآلة الثقافة العلمية على المستوى الشعبي حتى في أكثر بلدان العالم تطوّرًا. وتتجلى آثار هذه الظاهرة الآن في ضعف وتناقض وعدم وضوح النصوص الصحفية التي يراد منها إلقاء الضوء على قضية علمية أو الحديث عن اكتشافات جديدة أو شرح أنظمة تكنولوجية مبتكرة. وتوصلت نيلكين من خلال دراستها العمليّة لهذه الظاهرة إلى أن معظم العلماء والأطبّاء والمهندسين المبدعين يشعرون بعجز الأنظمة الصحفية القائمة حاليا في مختلف بلدان العالم وقصورها الشديد في ميدان التغطية الأمينة لأخبار التطور العلمي. وأشارت الكاتبة إلى استنتاج عملي مفاده أن معظم الصحفيين يكونون في أغلب الأحوال عاجزين عن تفهم الظاهرة التي يتولون تغطيتها. وترى الكاتبة أن هذا الحال أدى إلى فشل الصحافة في حفز عامة الناس على متابعة التطوّرات المتسارعة في ميادين العلم والتكنولوجيا، هذه التطوّرات التي تزداد أهميتها يوما بعد يوم بالنسبة لكافة مجتمعات الأرض. ولم تنس الكاتبة تخصيص حيّز من كتابها لتحليل العلاقة بين العالم والصحفي بصفتهما صانعي الخبر العلمي.

دوروثي نيلكين Dorothy Nelkin

- أستاذة مشاركة في برنامج جامعة كورنيل للعلوم والتكنولوجيا والمجتمع.
- أستاذة في كلية علم الاجتماع التابعة لجامعة كورنيل.
- عضوة استشارية في الأكاديمية الوطنية للعلوم (NAS).
- عضوة في لجنة تطوير الكتابة العلمية (CASW).
- مستشارة في مكتب تقييم التكنولوجيا التابع للكونجرس الأمريكي (OTA).
- مستشارة في اللجنة الوطنية لتكنولوجيا الرعاية الصحية (NCHCT).
- أصدرت عدة مؤلفات ودراسات تمحورت حول قضايا التطور العلمي والتكنولوجي والوقوف على التأثيرات الاجتماعية لهذا التطوّر.



بيع العلم

وركــزت نيلكين دراستهــا التحليليـــة على الصحافة الشعبية التي تشتمل على:

١ ـ الصحــف الوطنيـة مثل (نيويورك تايمز) و(كـريستيـان سـاينـس مـونيتـور) و(وول ستريت جورنال) و(واشنطن بوست).

٢ ـ الصحـف المحلية التي تصـدر في مراكـز الولايات أو المدن أو القرى.

٣ ـ المجلات المتخصصة ذات المستوى العالي للتـوزيع كـالمجـلات الصحية والنسـائيـة ومجلات العمل.

واستبعدت الكـاتبة عن هذه الدراسـة التطرق إلى تحليل المقـالات العلميـة الصادرة في المجـلات المتخصصة مثل **(ساينتيفيك أمير يكان)** و**(ساينس)** والموجهـــة إلى قـــرّاء يفترض أنهم متخصصــون ومطلعــون على تفــاصيل التطــورات العلميــة والتكنولوجيـة. يضاف إلى ذلك أن نيلكين أهملت إلى حد بعيـد الولـوج في تحليل دور وسـائل الإعلام المسموعـة والمرئية كـالإذاعة والتلفـاز في نشر أخبار التطورات العلمية والتكنولوجية، على الرغم من أن مواد الأدب العلمي والبرامج الطبيّـة والتكنولـوجية التي تقـدم من خلال البرامج التلفـازية والإذاعيـة ذات تأثير كبير في أداء هذا الدور.

المجتمع والثقافة العلمية

تتعرض نيلكين في الفصل الأول لأهمية التغطية الصحفية للتطـور العلمي والتكنولـوجي بما يسمح بوقوف المجتمع على التغيّرات العميقة التي يشهدها يوميا. وكـان من الطبيعي أن تستجيب الصحـافـة الشعبيـــة لهذا التطـــوّر من خـــلال نـــزوع معظم الصحف ذات الانتشــار الــواسـع إلى إضــافــة صفحـات علمية يـومية أو أسبوعيـة. وأصبحت قضـايـا العلم والتكنـولـوجيـا تطـرح بـانتظـام في المجلات الإخبارية المعروفة مثل **(تايم)** و**(نيوزويك)** بعد أن استحـدثـت معظم هذه الدوريات أقسـامـا خاصة بالتحرير العلمي.

وتأتي الأهمية المتزايدة لدور الصحافة في تغطية أخبار التطور العلمي والتكنولـوجي نتيجةً لتهاطل المعلومـات والنظريات العلميـة الجديدة بالإضـافة للتسارع الـذي ميّز نمط الابتكـارات التكنولـوجية بحيث لم يعد يمر يوم واحـد إلا ونسمع خلاله عن اكتشـاف أو ابتكار جـديد. فـالتغطية الصحفيـة الشاملة لهذه التطوّرات هي وحدها التي من شأنها أن تجعل العـــالم والمتخصـص والـــدارس والمواطن العادي على بيّنة من التغيّرات والتحوّلات التي تطرأ ضمن بيئتـه الاجتماعية والحيـاتية والعمليـة. ولقد كتب لبعض الأحـداث ذات الطـابع العلمي أن تقفز إلى الـواجهات الـرئيسة للصحـف والمجلات والنشرات الإخبـاريـــة وأن تستأثـر بخطــوطهـــا العريضة، ومنها حوادث المحطـات النووية كالتي سجلت في (ثري مايلز آيلاند) في الولايات المتحدة و(تشيرنـــوبيل) في الاتحاد الســـوفييتـي المنحلّ بـالإضافـة لأحـداث عديـدة أخرى من أشهرهـا انفجـار المكـوك الفضـائي الأمريكي (كـولـومبيـا) وتسرب الغاز القاتل من مصنع (بوبال) في الهند.

وتشير نيلكين إلى أن الوعي الشعبي بالتطورات الطـارئة في حقول العلم والتكنـولوجيـا أصبح على درجة عالية من الأهميـة بالنسبة للشرائح الاجتماعية كافة، بمن فيهم أصحاب القرار السياسي، الذين أصبح نجـاحهم يستند إلى حـدّ بعيد على مستـوى خبرتهم العلمية. وعلى سبيل المثال، يحتاج صاحب القـرار إلى المعـرفـة الأوليـة على الأقل بمبـدأ عمل محطات الطاقة النووية وفوائدها وأخطارها، قبل أن يتخذ قرارا بوضع خطط إنشائها، ويحتاج أيضا إلى الإلمام ببعض الأسـاسيات والمعلومـات الابتدائيـة حول مرض (الإيدز) قبل أن يأمر بتدريس أخطاره وطرق العدوى به لتـلاميذ المدارس. وعلى مستوى الأفـــراد، يتطلب الأمـر بعض المعــرفـة العلميـــة والتكنولوجية، حتى يتمكن الإنسان من اتخاذ قرار شخصي بتناول أطعمة معينـة أو شراء أجهزة معينة واستعمالها. وتقـول نيلكين: إنه ليـس هنـاك أدنى شك في أن من واجبات الصحافة تقديم المعلومات والمفاهيم العلمية والتكنولوجية الضرورية إذا أرادت أن تجعل الرأي العـام على دراية بالفـوائد والأخطار التي يواجهها يوميا من جـراء استخدامه واستغلاله لنواتج الابتكارات العلمية والتكنولوجية.

وخلال العقدين الخامس والسادس الميلاديين لم تكن الصحـافة تعنى إلا بـالأحداث والتطـوّرات العلميـة ذات الطـابع العسكـري كإطـلاق الأقمار الصناعيـة وتجريب الصواريخ والأسلحة النـووية،



أما اليوم فإن مهمتها أصبحت أكثر اتساعا بحيث باتت تقوم بتغطية أخبار الطب والفلك والطاقة والتلوّث والبيئة وباقي القضايا الحسّاسة ذات الطابع العلمي.

عثرات الصحافة العلمية

تتعرض نيلكين في الفصول الثلاثة التالية لنتائج تقييمها لما كتبته الصحف الأمريكية حول القضايا العلمية والتكنولوجية خلال العقود الماضية فتسجل في هذا الصدد جملة من العثرات في منهجية الطرح تعود أسبابها إلى ضعف خبرة الصحفيين في القضايا العلمية وعزوفهم عن البحث عن المصدر الرئيس للخبر ولجوئهم في بعض الأحيان إلى المبالغة والتحوير لهدف جعل الموضوع المطروق أكثر جاذبية وتشويقا للقارئ. وتضرب الكاتبة عن ذلك أمثلة متعددة نسوق منها تحليلها لما كتبته الصحف والمجلات عن تفصيل اكتشاف (البروتين المضاد) Interferon الذي اكتشف لأول مرة عام ١٩٥٣م كعامل استشفاء طبيعي من مرض السرطان وكمانع للالتهاب. ولقد أثار هذا الاكتشاف حماسة الصحفيين العلميين أكثر مما أثار فيهم الرغبة في البحث المنهجي عن الحقيقة. وتجلى ذلك من خلال التفاؤل المضخّم الذي رافق النصوص التي كتبت حول الموضوع، للدرجة التي جعلت المعلومات المتعلقة بالبروتين المضاد تنطوي على التضليل بأكثر مما تنطوي على الحقيقة العلمية. ففي مجلة (ريدرز دايجست) ذات الانتشار الواسع وصف البروتين المضاد بأنه (العلاج السحري)، كما وصفته (النيوزويك) بأنه (السلاح الفعّال ضد السرطان) و(الجرعة السحرية) و(المصل الخارق ذو القدرة الفائقة على الشفاء من السرطان وأمراض البرد). ولم يمض وقت طويل حتى تأكد علماء الطب من أن البروتين المضاد اكتسب من الشهرة أكثر بكثير مما يستحق، وذهب بهم الأمر إلى حدّ تعليق الأبحاث الخاصة به نهائيا. وليس هناك ثمّة شك في أن مثل هذه العثرات من شأنها أن تترك أبلغ الأثر على مصداقية الخبر العلمي لدى الرأي العام.

وترى نيلكين أن أهم مشكلات الصحافة العلمية تنبثق من العلاقة الغامضة بين العالم والصحفي. فبالرغم من أن العلماء والمبتكرين المعاصرين أصبحوا أكثر اهتماما بالتغطية الصحفية لإنجازاتهم وابتكاراتهم إلا أنهم لا يتوقفون عن الشكوى من جهل الصحفيين بحقيقة هذه الإنجازات. ويتجلى هذا الجهل من خلال الطرح المغلوط أو المحرّف لمعظم الإنجازات العلمية الجديدة. وبدلا من طرح نماذج من الأمثلة العديدة التي قدمتها نيلكين حول هذه الظاهرة فإنني أفضل أن أسوق مثالا عنها من صحافتنا العربية. فلقد أوردت إحدى الصحف خبر فوز أحد الباحثين العرب بجائزة علمية فرنسية على النحو التالي:

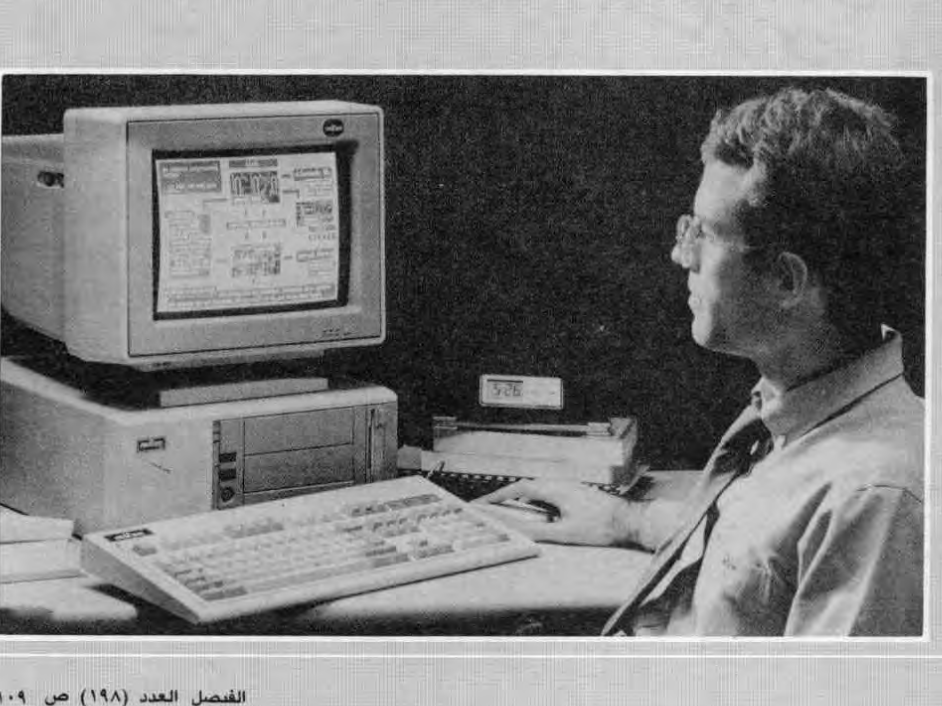
(.. وقد افتكّ هذا الشاب الجائزة بسبب تطرقه إلى موضوع جديد يتعلق أساسا ببحث مغناطيسية «اللانثان» باعتباره مادة مشحونة بالأوكسيجين من الدرجة العالية جدا)!

ولا يتطلب الأمر إلا القليل من الثقافة العلمية بالنسبة للقارئ حتى يتأكد من أن مستوى الطرح الصحفي المتدنّي للخبر جعله لا يعني شيئا مفهوما على الإطلاق.

ولعل مثل هذه الأمثلة تؤكد ضرورة إقامة تعاون مثمر بين العلماء والصحفيين من أجل إخراج الأخبار العلمية على النحو السليم إلا أن العلاقة بينهما ما تزال ضعيفة وغامضة. ولقد وصف



جهل بعض الصحافيين بحقيقة الانجازات يجعل أخبارهم تنطوي على التضليل





بيع العلم

الكاتب العلمي الأمريكي وليام بوروز هذه العلاقة بالقول:

(يظن العلماء أنه كائنا ما كان الموضوع العلمي الذي يقدمونه للصحفي فإنه لابد أن يخرج خاطئا، وفي المقابل يرى معظم الصحفيين أن العلماء أناس عديمو القدرة على التعبير والإبداع الفكري والاتصال مع الآخرين، فهم بنظرهم مخلوقات تفضل الحديث بلغة المعادلات التفاضلية واللوغاريتمات والخطوط البيانية على النحو الذي يستعصي فهمه على الغالبية العظمى من القراء).

وتشير الكاتبة إلى أنه بالرغم من نجاح الصحافة في الكثير من الحالات في طرح بعض القضايا العلمية على الوجه المطلوب، إلا أن ذلك لم يغيّر كثيرا من النظرة الشعبية نحو العلماء، والتي تنطوي على اعتبارهم من أمثال السحرة المعزولين عن مجتمعاتهم.

أدب الحاسوب والتكنولوجيات المتطورة

إن التطوّر المذهل الذي يشهده قطاع التكنولوجيات المتطورة دفع المجتمع العالمي إلى دخول عصر المعلومات والأجهزة والأدوات الرقمية الذكيّة. ومع تزايد تأثير هذا التطوّر على المجتمعات، أصبح الأدب العلمي أكثر أهمية من أي وقت مضى، فهو الوعاء الفكري لهذه الثورة الجديدة، والميدان الوحيد لتدارس عناصرها وفوائدها وأضرارها. ومع التزايد المطّرد لاستعمال الحواسيب في الأعمال العادية، ونظرا للتطورات المتلاحقة التي تشهدها صناعتها، فقد كان من الطبيعي أن يستأثر (أدب الحاسوب) بحيّز كبير من مساحات الأدب العلمي. وعلى الرغم من الصعوبات التي يواجهها الصحفيون أثناء الحديث عن تطوّر استعمال الحواسيب والتحسن المستمر الذي يطرأ على عناصرها الإلكترونية المعقدة فإن هذا لم يمنع الصحف والمجلات الشعبية من كتابة آلاف الصفحات والأخبار المتعلقة بها. وبقيت قدرة العوام على فهم هذه النصوص مرتبطة بمدى تحصيلهم العلمي وبقوّة خلفيتهم الثقافية في قضايا العلم والتكنولوجيا. وتشير نيلكين إلى أن دراستها هذه أكدت وجود فجوة كبيرة بين مستوى الطرح ومستوى الفهم حيث تقول في هذا الصدد:

(.. وعلى أن درجة فهم القرّاء للمقالات والنصوص العلمية تؤكد بأن أنظمتنا المدرسية أصبحت قاصرة عن إنجاز مهمة إعداد التلاميذ للعصر التكنولوجي. إن القضية، بمعنى آخر، تتلخص بظهور فجوة واسعة بين الخبرات المنبثقة عن النظام المدرسي ودرجة القدرة على تفهم عناصر التكنولوجيات التي تقذف بها المصانع إلى المجتمع. ولقد أدت هذه الفجوة إلى تراجع محسوس في وضع أمريكا كدولة رائدة عالميًا في ميدان التطوّر التكنولوجي).

أدب الحاسوب استأثر بحيّز كبير من مساحات الأدب العالمي

ولقد أشارت نيلكين أيضا إلى خطورة هذه القضية من خلال تسجيلها لتصريح ورد على لسان أحد خبراء شركة (أجهزة تكساس Texas Instruments) حيث قال:

(.. وإذا لم نسارع إلى فعل شيء ما في مجال تطوير القدرة على فهم النصوص المتعلقة بأدب الحاسوب فإننا سنجد أنفسنا في حالة جديدة من حالات وجود «من يملك» و«من لا يملك» في مجتمعنا، وسوف تكون هذه الحالة أكثر سوءًا بكثير من حالة تقسيم المجتمع إلى أبيض وأسود).

وفي إحدى الندوات التي نظمت في أمريكا لتدارس مشكلة الكتابة العلمية عبّر أحد الخبراء عن اعتقاده بأن عدم تجانس الثقافة العلمية بالنسبة للمجتمع الأمريكي سوف يخلق مجتمعا ذا ثقافتين بحيث ستفصل هوّة واسعة بين الثلاثة الملايين من العلماء والمهندسين والخبراء والمائتين والأربعة والعشرين مليونا الباقية من الشعب الأمريكي، والذين سينظرون إلى التكنولوجيا كصندوق أسود مجهول المحتوى.

وتسجل الكاتبة أنه في عام ١٩٨٢م دعت صحيفة (يونايتد ستيتس نيوز أند وورلد ريبورت) في افتتاحية لأحد أعدادها إلى ضرورة تطوير أساليب تغطية الثورات المتلاحقة الحاصلة في علوم الاتصالات الفضائية والطب والزراعة، وفي التكنولوجيات التي تستجد كل يوم في حياة الشعب الأمريكي. وقالت: إن النصوص التي تصف تطبيقات المعرفة العلمية يجب أن ترتقي إلى مستوى التغطية الصحيحة والأمينة لهذه التطورات في الصحافة.

كلمة أخيرة

في خاتمة هذا العرض الموجز لكتاب (بيع العلم) يبقى أن نشير إلى أننا استبعدنا التطرق للعديد من محاوره التي رأينا أنها تطرح قضايا علمية تقل أهميتها عن الفكرة الرئيسة للدراسة، ونذكر منها ما يتعلق بموقف الصحافة من مشكلة التلوث وتحلل طبقة الأوزون وأخطار الانتشار الواسع لمحطات إنتاج الطاقة النووية.

ويجدر بنا أخيرا أن نشير إلى أن نيلكين فضلت أن تستعمل في كتابها (إنجليزية القمّة) حيث استخدمت مفردات وتعابير توحي بأن كتابها موجه في الأساس إلى كبار المتخصصين في الوقت الذي تدعو فيه الصحفيين إلى الهبوط بمستوى النص العلمي، حتى تتمكن عامة الناس من فهمه واستيعابه.

ذريني للمعالي

شعر: عبدالسلام كامل عبدالسلام

ذريني يا أميمة للمعالي | لكي أُحيي ليالِيَ الأوالي
ذريني أشتر الأُخْرى بنفسٍ | ترى ذلّ الحياة من الضَّلالِ
وتبغي بالفِداءِ بقاءَ ذكرٍ | وإن تفْنَ الجسوم فلا تبالي
لها من رُوح « مُصْعبٍ » التأسيّ | ومن إيْمَانِه أبْقى مِثالِ
فقد أعْلَى لواءً ذا معانٍ | بيمناه وثَنَّى بالشِّمالِ
ولما قطَّعُوا الأوصالَ منهُ | أبى إلاّ يراها كالهِلالِ
فَضَمَّ السَّاعِدَيْن لها وِقَاءً | وأوْفَى العهدَ في ساحِ القِتَالِ
ذريني إنني من نَسْلِ أُسْدٍ | مُرَبَّاةٍ على حَرِّ النِّزالِ
سَقَاهَا الدينُ عِزًّا وهي تحبو | فَكَمْ نَهلَت مِنَ الشُّرْبِ الحَلالِ
وأَوْرَى زَنْدها صيحاتُ بأسٍ | تنادي يا كتائبُ : لا تبالي
وأفراسٌ على الأهوال صُبْرٌ | تُحَمْحِمُ عند إرْخاصِ الغوالي
فَكَمْ قَدحَت شُواظًا عادياتٍ | وكم نقعا وسَطْنَ مِن المجالي
وَكَمْ أَهْوَتْ على البَاغِين صُبْحًا | فأضْحَوْا نَاكِثِينَ على وَبَالِ
متى نُضحي، أميمةُ، كالأوالي | أرَوْنا كيف تُكتسب المَعَالِي
متى نُضحي وفينا باسلاتٌ | مِنَ الزَّهرَات رَبَّاتِ الحِجَالِ
يردِّدْنَ الشَّهادَةَ لا غِنَاءً | خَواءً من معانٍ من كَمَالِ
نساء من نُسَيْبَةَ قد تَسَامَى | هواها للحقيقةِ لا الخَيَالِ
وأسماءَ . . التي أحْيَتْ جناها | بأقْوَالٍ كما حُرِّ اللآلي
يقول لها : أَخَافُ إن استطالوا | يمثَّل بي فقالت : لا تُبالِ
يقول: الصَلْبُ يجعلني هوَاءً | ولستُ أهاب قتلاً في النِزَالِ
تقول له: تسوق الناسَ كيما | تعزَّ وتصطلي حَرَّ القِتَالِ
لبئس العبد أنت إذنْ ولكنْ | فعش بالحَمْدِ محمودَ الخِصَالِ
وقتل في اعتزازٍ فهو أسْمَى | مِنَ الضَّرْبِ المُحَقَّرِ للرِّجَالِ
نساءٌ لا يعِشْن العُمرَ هزلاً | ولا لُبسًا ولا فُحشَ اكْتِحَالِ
ينشِّئْن الرجولةَ لا بلهوٍ | ويبذلن الرَّوَاخِص والغَوالي
نِسَاءٌ إنْ رَغِبْنَ ففي الكَمالِ | وإن هُنَّ ابتَعَدْنَ فَعَنْ تَعَالِ
نساءُ يشترين النصر يَغْلُو | ويبغين ارتقاءً من سِفَالِ
« ولو كان النساء كَمَنْ ذَكَرْنَا | لفُضِّلَتِ النِّساءُ على الرِّجَالِ »(١)

(١) البيت الأخير للشاعر أحمد بن الحسين الكوفي، الشهير بالمتنبي.

"الدوق" الذي أصبح أول مُخرج في التاريخ المعاصر

بقلم: د. محمد أبوبكر حميد

وتجيء سنة ١٨٧٤م لتعلن عن ظهور حركة مسرحية جديدة تدعم خطى المسرح الحديث وتؤكد ـ أهمية ظهور المخرج بمعناه المعاصر، وقد برزت هذه الحركة في دوقية ساكس ـ مينجن Saxe-Meiningen بألمانيا على يد دوق المقاطعة نفسه جورج الثاني George II (١٨٢٦ ـ ١٩١٤م). وتزامن ظهور مسرح ساكس مينجن مع أوبرا فاجنر، وإن كان أثر مسرح الدوق أكبر من أثر أوبرا فاجنر مع الاعتراف بأن ما حققته فرقة ساكس مينجن من نجاح في توحيد قيادة العرض المسرحي لم يكن إلا تطبيقًا وتأكيدًا لآراء فاجنر.

الميلاد الحقيقي

والحقيقة أن فرقة ساكس مينجن قد ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٧٨١م، وافتتح مسرحها لأول مرة سنة ١٨٣١م، وظلت الفرقة قليلة الشأن حتى تولى جورج الثاني الحكم سنة ١٨٦٦م فأشرف على المسرح وقاد الفرقة بنفسه. وكان الدوق قد تلقى قبل توليه الحكم تعليمًا عاليًا، وأتاحت له أسفاره واطلاعاته ثقافة فنية واسعة، ومشاهدة العديد من العروض المسرحية في عواصم أوربا الكبرى، لندن، باريس، فيينا وبرلين وغيرها.

وتعد الفترة من ١٨٧٠ ـ ١٨٩٥م سنوات ازدهار هذا المسرح، إذ أشرف عليه الدوق مباشرة وعيّن له مخرجًا ينفذ أفكاره المسرحية وتجتمع بين يديه كل خيوط العمل المسرحي. وكانت سنة ١٨٧٤م الميلاد الحقيقي لساكس مينجن عندما قدمت عروضا في برلين لمدة شهر ونصف لاقت فيه نجاحًا منقطع النظير، حمل شهرتها إلى أنحاء أوربا كافة، ودخلت هذه الدوقية الصغيرة التاريخ بسبب فرقتها المسرحية، وكان سكان مقاطعة الدوق لم يزد على ثمانية آلاف نسمة.

الواقعية الرومانسية

وقد اتجه دوق مينجن بالإضافة والتجديد إلى عناصر العرض المسرحي كافة. ففي مجال الأزياء وملابس الممثلين حرص على التزام الدقة التاريخية في تصميمها وألوانها، بحيث تناسب الفترة الزمنية التي تدور فيها أحداث المسرحية، وكانت الأزياء



فاجنر

"كان جورج الثاني أول حاكم أوربي يقود فرقة مسرحية دخلت بها بلاده التاريخ."

في ذلك الوقت خاصة لهوى الممثلين ورغباتهم في الظهور أكثر من انتمائها لعصر المسرحية. وبالمثل حرص الدوق على التزام الدقة التاريخية في قطع الديكور المسرحي كافة ومستلزمات المشهد، وقد استورد مواده من العواصم الأوربية المجاورة مثل باريس وروما التي أصبحت تصنع له خصيصا أثاث عروضه المسرحية. وعلى الرغم من أن الدوق لم يمل كثيرًا في عروضه إلى الواقعية بمعناها الحقيقي، وإنما نستطيع القول: إن اتجاهه كان نوعًا من الواقعية الرومانسية، فقد حرص ـ مثل معاصره فاجنر ـ على تحقيق عنصر الإيهام واستخدم المنظور في سبيل تحقيقه، وهو المنظر الذي يعطى إيهامًا بعمق المكان واتساعه، كما اعتبر السقف وأرضية خشبة المسرح جزءًا من المشهد، وهو أمر لم يكن في اعتبار الكثير من مهندسي الديكور في عصره.

منهج التمثيل والإخراج

ويُعتبر الإصلاح والتجديد الحقيقي الذي أحدثه الدوق في مجال التمثيل والإخراج أساس شهرة مسرح مقاطعة ساكس مينجن، فقد جعل فريقه المسرحي من ممثلين يتساوون في كل شيء، وحرص على أن لا يكون بينهم من حقق شهرة سابقة، وبهذا ألغى الدوق مسرح الممثل النجم الذي عادة ما تدور حوله الأحداث وبقية الشخصيات. وأصبح التركيز على الحدث الدرامي، ومن ثمّ ألغي احتكار الأدوار لممثلين بأعينهم. كما قسم الدوق جورج الثاني فرقة مسرحه



إبسن

"أصبح أسلوب ساكس مينتجن في الإخراج مصدر إيحاء لكل رواد المسرح العالمي الحديث"



شكسبير



شلر

إلى مجموعــات صغيرة من الممثلين يشرف على كل مجموعة ممثل عـالي الكفـاءة، وتقـوم كل مجموعـة بـالتــدريب على أدوارهــا منفصلـــة، وفي المراحل النهـائية تجتمع كلهـا تحت قيـادة المخرج للعـرض المسرحي. وكان الدوق حازمًا في إخراج مسرحياته، إذ لم يكن يقدم المسرحية للعـرض إلا بعد تدريبات طـويلة لممثليـه، وحتى يصل إلى قناعـة تامـة بأن الممثلين وعنـاصر العـرض كـافـة قـد عبّرت تعبيرًا صادقًا عن روح النص.

وكـانت التـدريبات المسرحيـة تتم في العـرض المكتمل. فالمسرح يجهز بالعنـاصر كافة من ديكور وأثـاث ومناظـر، ويرتـدي الممثلون أزيـاء أدوارهم كاملـة. وكان الدوق يطلـب من كل ممثل أن يقوم بأداء دوره أثنــاء التـدريبـات بــالجديـة والاهتمام نفسيهما، وكأنــه أمـام الجمهـــور، وذلك حتى لا يُفاجأ الممثل بشيء جديـد ليلة العرض لم يستعمله من قبل، وفي الـوقت نفسه يكون الممثـل قد تطبع مع جـو المسرحيـة وبيئتهـا ومع دوره وطبيعتـه فـلا يتعرض للارتباك أو الارتجال.

نجاح باهر

وقـد حققت الفـرقة أداءً مميزًا على يـد لـودفج شرونك Ludwig Shronegk (١٨٣٧ ـ ١٨٩١م) الـذي انضم إلى سـاكس مينتجن سنـة ١٨٦٦م،

"كان أسلوب ساكس مينتجن تطبيقًا عمليًا لأفكار فاهنر عن وحدة عناصر العرض المسرحي كافه."

وعين الدوق مخرجًا للفرقة، واستطاع أن يفهم أفكار الـدوق ويحولها إلى لغـة المسرح العمليـة. وأهم مـا أنجزه هذا المخرج هو إقناع الدوق بالسفر بفرقته إلى خارج المقـاطعة فكـان نجاحهـا البـاهـر في رحلتها الأولى إلى بـرلين سنة ١٨٧٤م، حيث مُـددت فترة العروض من شهر إلى شهر ونصف ومنذ ذلك الحين ازداد تجول الفرقـة بين المدن الألمانية حتى أصبحت تقضي ما بين ستة إلى ثمانية أشهـر خارج المقاطعة، وفي مختلف البلـدان الأوربيـة، وقد تـوقفت هـذه الرحلات المسرحية بوفاة شرونك، الذي كان يديرها ويـشرف عليـها كلية إذ لم يكـن بإمكان الـدوق ـ الحاكم ـ أن يغادر مع الفرقة في كل رحلاتها.

وأشهر ما حققتـه ساكس مينتجن من عروض كـان بمسرحيـات: «يــوليوس قيصر»، «وقصـة الشتاء»، و«الليلة الثـانية عشرة» لشكسبير و«وِلهلم تل»، و«خـادمـة أوريلنــز» و«اللصـوص» لشلـر Schiller ومسرحيــات كليست Kleist، وبعض مسرحيات موليير. ورغم حـرص الدوق على تحقيق الكمال في عنصر الإيهام في عـروضه، إلا أنـه كـان واضحًا أن ميلـه للمسرحيات الواقعيـة لم يكن بقوة ميله نفسه للمسرحيات الرومانسية، ومع ذلك فقد خرق هـذه القـاعــدة عنـدمـا أعجب بمسرحيـة «الأشبـاح» لإبسن ـ التـي رفضهـا عصره لجـرأتها الشديـدة. وقدم لها عـروضًا مميـزة سنة ١٨٨٧م. وبالطبع لم تُعرض هذه المسرحية إلا داخل مقاطعته وفي مكـانٍ أو مكـانين خـارجهـا؛ لأنها مُنعت من العرض في كثير من البلدان الأوربية.

ريادةٌ وتميز

ولقـد حقق دوق سـاكس مينتجن في مسرحـه أحـلام من سبقـوه، ووضع أحجارًا لـلأسـاس لمن جاءُوا بعده، فقد وضع صلة حميمة في العلاقة بين الممثل والوسائل المسرحية مـن حوله، وأسقط فكرة الممثل النجم، وجعل للتــدريب المسرحي أسسًـا ونظامًـا وأبرز إلى حيـز الوجـود فكرة المخـرج الذي يمسك بيـديـه بعناصر العـرض المسرحي كـافـة، ويوجهها لخدمة تفسير النص، وبهذا دخل التاريخ كأول مخرجٍ مسرحيٍ معـاصر، وأصبحت فـرقـة سـاكس مينتجن قُدوة لحركـات التجديـد كافـة في المسرح من بعدهـا، فقد تأثر بها أندريـه أنطوان في فرنسـا وستانسـلافسكي في روسيا وهنـري أرفنج في إنجلترا وغيرهم كثير ممن استلهموا مـدرسة ساكس مينتجن في التمثيل والإخراج.

المصادر

1 - Brereton, Anstin. The Life of Henry Irving 2 Vols. London, 1908.

2 - Grube, Max. Story of Meningen. Translated by Ann Marie Koller. Coral Gables, Fla., 1963.

3 - Gutman, Robert. W. Richard wagner : The Man, his Mind, and his Music. New York. 1968.

إعداد : محمد عبد العظيم دكروري

أعلام المفسرين (٣)
"الفقهاء"

أ

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (الحنبلي) :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي . الإمام العلامة الفقيه المجتهد الناقد المفسر البارع الأصولي شيخ الإسلام علم الزهادة نادرة عصره تقي الدين أبو العباس ، ابن الإمام شهاب الدين عبد الحليم ، ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين ، شهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره .

مولده : ولد يوم الإثنين عاشر من ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحرّان ، وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق ، عند استيلاء التتار على البلاد سنة سبع وستين وستمائة ، فسمع بها من خيرة علمائها ، كالمجد بن عساكر ، وابن أبي اليسر ، ويحيى بن الصيرفي الفقيه وغيرهم .

تكوينه العلمي :

تسلم والده مشيخة المدرسة «السكرية» بدمشق ، وفيها بدأ ابن تيمية دراسته ، فقد درس علوم القرآن والحديث واللغة ودقائق المذهب الحنبلي ، وأقبل على تفسير القرآن الكريم ، وبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه ، والفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، ونظر في علم الكلام والفلسفة ، وبرز في ذلك على أهله ، وردّ على رؤسائهم وأكابرهم ، ومهر في هذه الفضائل ، وتأهل للفتوى والتدريس ، وله دون العشرين سنة ، وأفتى من قبل العشرين ، وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ ، وقوة الإدراك والفهم ، وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد : لم يكن يحفظ شيئا فينساه!

وحين اشتهر أمره تولى المدرسة الحنبلية في دمشق ، ودرس في أكبر مدرسة حنبلية في القاهرة من سنة (٧٠٩ إلى ٧١٢هـ) ، ثم عاد إلى دمشق .

قال الذهبي : «برع ابن تيمية في تفسير القرآن ، وغاص في دقيق معانيه ، بطبع سيّال ، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميّال ، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها ، وبرع في الحديث وحفظه ، فقل من يحفظ ما يحفظه معزوا إلى أصوله وصحابته ، مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب ، وفتاوى الصحابة والتابعين ، بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده ، وأتقن العربية أصولا وفروعًا وتعليلا واختلافا ، ونظر في العقليات ، وعرف أقوال المتكلمين ، وردّ عليهم ، ، ونبه على أخطائهم ، وحذّر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين» .

وكان إذا سئل عن فنّ من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله .

وكان الشيخ تاج الدين الفزاري ، يبالغ في تعظيمه ؛ بحيث إنه علق بخطه درسه (بالسكرية) ، ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع ، لتفسير القرآن العظيم ، وشرع من أول القرآن ، وكان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو أكثر ، وبقي يفسر في سورة نوح عليه السلام ، عدة سنين أيام الجمع .

والواقع أنه كان دائرة معارف واسعة ، فقد أحاط بعلوم الدين واللغة والتاريخ والأدب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغير ذلك .

محنته وابتلاؤه

كان للأفكار الجريئة القيّمة التي صدع بها ابن تيمية أثر بالغ في نفوس كثير من الناس ، بيد أن أهل البدع والأهواء الفاسدة تصدّوا له بالتهم والدسائس للإيقاع به ، كيف لا وهو الذي يرى ـ بحق ـ أن الحياة الإسلامية لا تنهض إلا على دعائم منها :

١) بناء تصور سليم للحكم الإسلامي .

٢) إقامة حكومة قوية .

٣) بعث روح الجهاد ومقاومة الطواغيت .

وكان السجن هو الثمن الذي دفعه وهو يجاهد لاجتثاث جذور الضعف التي أوهنت الأمة الإسلامية في عصره ، ولقد تقبل ابن تيمية السجن صابرًا محتسبًا . وكان سجنه ست سنوات في الفترة الواقعة بين سنة ثلاث وتسعين وستمائة إلى ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية ، ولما سيق إلى السجن قال كلمته

الشهيرة :

«ما يصنع أعدائي بي؟!

أنـا جنتي وبستاني في صـدري أينما رحت فهي معي، إن حبسـوني فحبسي خلوة، وإن أخرجوني من بلدي فخـروجي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة في سبيل الله، إن في صدري كتاب الله وسنّة رسوله».

لقـد أوذي الـرجل في ذات الله مـن المخـالفين، وأخيف في نصر السنـة المحضة، حتـى أعلا الله منـاره، وجمع قلوب أهل التقـوى على محبته والـدعاء لـه، وكبت أعـداءه، وهدى بـه رجـالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلـوب الملـوك والأمراء على الانقيـاد لـه غالبـا، وعلى طـاعته، وأحيـى به الشـام، بل الإسـلام، بعد أن كـان ينثلم بتثبيت أولي الأمـر لما أقبل حـزب التتر والبغي في خيـلائهم، فَظُنَّت بـالله الظنـون، وزلـزل المؤمنـون، واشرأب النفـاق وأبـدى صفحته. ومحاسنه كثيرة ـ رحمه الله ـ وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت : أني ما رأيـت بعيني مثله، وأنه ما رأى مثل نفسه (١).

تصانيفه (٢) :

هي أشهـر من أن تذكـر، وأعـرف من أن تنكر، سـارت مسير الشمس في الأقطـار، وامتلأت بها البـلاد والأقطار، قـد جاوزت حـد الكثرة، فـلا يمكن حصرهـا، ولا يتسع هـذا الكلام لعـد المعـروف منهـا ولا ذكرهـا، وقـد بلغت ثلاثمائة مجلدة، منها :

«كتاب الصـارم المسلول على منتقصي الـرسول»، «كتـاب اقتضاء الصراط المستقيم»، و«كتاب السيـاسة الشرعيـة»، و«كتاب التصـوف» وكتاب «الكلم الطيب»، وكتـاب «الرد على طـوائف الشيعـة»، وكتاب «تأسيس التقـديس» وكتاب «مناسك الحج» و«الفتاوى الكبرى» و«دقائق التفسير» وغيرها.

وفاته :

مات ــ يرحمه الله ــ في سحر ليلـة الإثنين والعشرين من ذي القعـدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة معتقلا بقلعة الشام، وقد وقع أجره على الله.

أحمد بن علي الرازي الجصّاص (الحنفي) :

هو أبـو بكر، أحمد بن علي الرازي، المشهـور بالجصّـاص (نسبة إلى العمل بالجص).

ولد ـ يرحمه الله ـ ببغداد سنة خمس وثلاثمائة من الهجرة.

مكانته ومؤلفاته :

كان «الجصاص» إمـام الحنفية في وقته، وإليه انتهت ريـاسة الأصحاب، وقد أخذ العلم عن أبي سهل الـزجاج، وأبي الحسن الكرخي، وعن غيرهما من فقهاء عصره، واستقـر له التدريس ببغداد، وانتهـت الرحلة إليه، وقـد عرض عليه القضاء فامتنع، وأعيد عليه الخطاب فلم يقبل.

وأما مصنفاتـه فأهمها : كتاب أحكام القرآن، وهو من أهم كتب التفسير الفقهي خصوصـا عند الحنفيـة، لأنه يقوم على تـركيز مـذهبهم والترويج له، والدفـاع عنه وهـو يعرض لسور القـرآن كلها، ولكنـه لا يتكلم إلا عن الآيات التي لها تعلق بالأحكـام فقط، وقد بَوَّبَه كتبـويب الفقه، وكل باب من أبـوابه معنون بعنوان تندرج فيه المسائل التي يتعرض لها المؤلف في هذا الباب.

ومن مـؤلفاتـه، شرح مختصر الكرخي، وشرح مختصر الطحـاوي، وشرح الجامع الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيبـاني، وكتاب أصول الفقه، وكتاب أدب القضاء وغيرها (٣).

ما يؤخذ على الجصاص : (٤)

يعتبر «الجصـاص» من خيرة علماء الحنفيـة، وله أثـر في تـدعيم مـذهبهم ونشره، بيد أن الرجل لم يكن موفقا في **أمور أربعة** :

الأول : التعصب المذهبي :

وهـذا لا يليق بعـالم في مثل مكانـة الجصـاص، فهما وفقهـا، ولقد دفعـه تعصبه هذا إلى التعسف في تأويل بعض آيات القرآن الكريم لتؤيد مذهبه، أو جعلها غير صالحة للاشتهاد بها من جانب مخالفيه في الرأي.

فمثلا عند قوله تعـالى ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكِحنَ أزواجهنّ ﴾ البقرة ٢٣٢، نجـده يحاول الاستدلال بالآيـة من وجوه متعددة على أنه يجوز للمرأة أن تنكح نفسها بغير إذن وليها.

الثاني : شدته على مخالفيه في الرأي :

فهو يرمي من خـالف الحنفية بألفاظ جارحة، لا يصح صـدورها من عالم متمكن، وعلى العلماء أن ينـزهـوا أنفسهم وألسنتهم عن صـدور عبـارات السخـريـة والتهكم والاستخفـاف بـالمعـارضين والمخـالفين في الفهم والـرأى والاستنباط، وليكن رائدهم القول المشهور : «لنتعـاون فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه».

الثالث : ميله إلى عقيدة المعتزلة :

وتأثـره بـآرائهم المخـالفة لعقيـدة أهل السنـة والجماعـة، وذلك دفعـه إلى الاجتراء على إنكار حديث البخاري في «سِحْرِ» رسول الله ﷺ.

الرابع : بغضه لمعاوية رضي الله عنه :

فعند تفسيره قوله تعالى : ﴿ وإن طـائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الحجرات ٩، يجعل عليًّا رضي الله عنـه هو المحق في قتالـه، ومعاوية ومن معـه هم الفئة البـاغيـة، وكذلك كل من خرج على علي رضي الله عنه، والصـواب : تفويض الأمر إلى الله تعالى، واعتبارهم تقاتلـوا بناء على اجتهاد وتأويل نكل الحكم فيه إلى الله وحده والله بصير بالعباد، فذلك أسلم لصدورنا وعقيدتنا.

وفاة الجصاص :

توفي ـ يرحمه الله ـ سنة سبعين وثلاثمائة من الهجرة.

ح

الحسن البصري

نسبه ونشأته [٥] :

هو أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري مولى الأنصار.

وأمه «خيرة» مولاة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ، قال ابن سعد : وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ونشأ «بوادي القرى»، وكان فصيحا ورعًا زاهدًا، لا يُسبق في وعظه، ولا يداني في مبلغ تأثيره على قلوب سامعيه. روى عن علي، وابن عمر، وأنس، وخلق كثير من الصحابة والتابعين.

مكانته في التفسير :

يجمع الحسن البصري إلى صلاحه وورعه وبراعته في الوعظ، غزارة العلم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وأحكام الحلال والحرام، وقد شهد له بالعلم خلق كثير، فقال أنس بن مالك : سلوا «الحسن»، فإنه حفظ ونسينا، وقال سليمان التيمي : «الحسن شيخ أهل البصرة». وقال مطر الوراق : كان «جابر بن زيد» رجلَ أهل البصرة، فلما ظهر الحسن، جاء رجل كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما رأى وعاين.

وقال الحجاج بن أرطاة : سألت عطاء بن أبي رباح فقال لي : عليك بذلك ـ يعني الحسن ـ ذلك إمام ضخم يقتدى به. وكان إذا ذكر عند أبي جعفر الباقر قال : ذلك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

وقال ابن سعد : كان الحسن جامعًا، عالمًا، رفيعًا، فقيهًا ثقة، مأمونا، عابدًا، ناسكًا، كثير العلم، فصيحًا جميلاً، وسيمًا.

وقال حماد بن سلمة عن حميد : قرأت القرآن على الحسن ففسّره على الإثبات ـ يعنى إثبات القدر ـ وكان يقول : من كذّب بالقدر فقد كفر.

توفي ـ يرحمه الله ـ سنة عشر ومائة من الهجرة وهو ابن ثمان وثمانين سنة.

ع

علي بن محمد الطبري الكيا الهراسي (الشافعي) : [٦]

هو عماد الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، المعروف بالكيا الهراسي «الكبير القدر المقدم بين الناس»، الفقيه الشافعي، المولود سنة خمس وأربعمائة من الهجرة.

رحلاته في طلب العلم :

وُلد (الكيا الهراسي) بخراسان ثم رحل عنها إلى نيسابور، وتفقه على إمام الحرمين (الجويني) مدة حتى برع، ثم غادر نيسابور إلى «بيهق» ودرس بها فترة، ثم خرج إلى العراق، وتولى التدريس في المدرسة «النظامية» ببغداد، وكان فصيح العبارة، محدثًا، يستشهد بالأحاديث في مناظراته ومجالسه.

تفسيره وطريقته :

يعتبر هذا التفسير (أحكام القرآن) من أهم المؤلفات في التفسير الفقهي عند الشافعية، وفيه فسَّر آيات الأحكام على وفق قواعد مذهبه الشافعي، وهو متعصب لمذهبه، وقد دفعه تعصبه إلى التعسف في تأويل الآيات، وفي مقدمة تفسيره يقرر قائلا : إن مذهب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ أسد المذاهب وأقومها، وأرشدها وأحكمها، وإن نظر الشافعي في أكثر آرائه ومعظم أبحاثه يترقى عن حدّ الظن والتخمين، إلى درجة الحق واليقين، والسبب في ذلك أنه ـ يعني الشافعي ـ بنى مذهبه على كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأنه أتيح له درك غوامض معانيه، والغوص على تيار بحره لاستخراج ما فيه، وأن الله تعالى فتح له من أبوابه، ويسَّر له من أسبابه، ورفع له من حجابه ما لم يسهل لمن سواه، ولم يتأت لمن عداه» [٧].

والشافعي إمام جليل القدر، عالي الهمة، ثاقب البصيرة، لا يختلف على ذلك إلا من في قلبه مرض، ولكن تقديم الهراسي كتابه بهذه المقدمة يدل على أن الرجل منحاز لمذهبه وفروعه.

عفة وخصومة

كان «الكيا الهراسي» عفّ اللسان، نزيه الردِّ، مع أئمة المذاهب الأخرى، ومع كل من خالف مذهبه من العلماء، عدا «الجصاص الحنفي»، فلقد هاجمه «الهراسي» هجوما شديدًا، واتهمه بالجهل والغباء، وسوء الفهم، قال عن الجصاص [٨] : «وكيف يتصدى للتصنيف في الدين من هذا مبلغ علمه، ومقدار فهمه، فيرسل الكلام من غير أن يتحقق ما يقول، ثم يتعرض للطعن فيمن لو عُمِّرَ عُمْرَ نوح ما اهتدى إلى مبادئ نظره في الحقائق، فنسأل الله تعالى التوفيق، ونعوذ به من عمى البصيرة واتباع الهوى» ص٢٦٦ (أحكام القرآن).

وفاته :

ظل يعمل ببغداد معلما بالمدرسة النظامية إلى أن توفي سنة أربع وخمسمائة من الهجرة، يرحمه الله.

م

محمد بن العربي (المالكي) :

هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري، الأندلسي، الإشبيلي، الإمام، العلامة، المتبحر، ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها.

مولده ورحلاته في طلب العلم :

ولد ابن العربي بإشبيلية سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة من الهجرة، وكان أبوه من فقهاء إشبيلية ورؤسائها، وببلده قرأ ابن العربي القراءات، ثم رحل إلى

مصر، والشام، وبغداد، ومكة، وكان يأخذ عن علماء كل بلد يرحل إليه حتى أتقن الفقه، والأصول، وقيد الحديث، واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والكلام، وتبّحر في التفسير، وبرع في الأدب والشعر.

قال القاضي عياض ـ وهو ممن أخذوا عنه ـ : «استقضى ببلده (عمل قاضيًا)، فنفع الله به أهلها لصرامته، وشدة نفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة، وتؤثر عنه في قضائه أحكام غريبة، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه».

مؤلفاته وآثاره :

لابن العربي تصانيف كثيرة نافعة مفيدة، منها : «أحكام القرآن»، وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك، وكتاب القبس على شرح موطأ مالك ابن أنس، وعارضة الأحوذي على كتاب الترمذي، والعواصم من القواصم، والمحصول في أصول الفقه، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب القانون في تفسير القرآن العزيز، وكتاب أنوار الفجر في تفسير القرآن، قيل : ألفه في عشرين سنة، ويقع في ثمانين ألف ورقة، وذكر بعضهم أنه رأى هذا التفسير وعدَّ أسفاره فوجد عدتها ثمانين مجلدًا.

تفسيره «أحكام القرآن» :

يعتبر هذا المؤلف مرجعا مهما للتفسير عند «المالكية»، وقد تعرض المؤلف لسور القرآن كلها، فهو يذكر السورة ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام، ثم يأخذ في شرحها آية آية، قائلا : الآية الأولى وفيها خمس مسائل «مثلا» والآية الثانية وفيها سبع مسائل «مثلا» ونحو ذلك وهكذا، حتى يفرغ من آيات الأحكام الموجودة في السورة.

إنصاف وتحيّز :

من يطالع تفسيره «أحكام القرآن»، يجده أحيانا ينصف مخالفيه وأحيانا يتعصب لمذهبه «المالكي»، وقد دفعه هذا إلى رمي بعض الأئمة الأعلام بكلمات قاسية تصريحا أو تلميحًا، ـــ غفر الله لنا وله ـ ومن أمثلة إنصافه يرحمه الله :

ما ذكره عند تفسير الآية السادسة من سورة المائدة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾ المائدة ٦ . حيث يقول : «المسألة السابعة والعشرون في قوله تعالى : «برؤوسكم» . . . ثم يذكر أن العلماء اختلفوا في مسح الرأس على أحد عشر قولاً، ثم يأخذ في بيانها واحدًا واحدًا، ثم يقول : «ولكل قول من هذه الأقوال، مطلع من القرآن والسنة، ثم يذكر لنا مطلع كل قول، ثم يقول بعد أن يفرغ من هذا كله : «وليس يخفى على أحد عند اطلاعه على هذه الأقوال والأنحاء والمطلعات أن القوم لم يخرج اجتهادهم عن سبيل الدلالات في مقصود الشريعة . ولا جاوز طرفيها إلى الإفراط، فإن للشريعة طرفين، أحدهما : طرف التخفيض في التكليف والآخر طرف الاحتياط في العبادات، فمن احتاط استوفى الكل، ومن خفف أخذ بالبعض» (٩) .

ومن أمثلة تعصبه المذهبي ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو رُدُّوها ﴾ النساء ٨٦ . حيث قال : إن هذه الآية دليل وجوب الثواب في الهبة للعين، وكما يلزم أن يَرُدَّ مثل التحية يلزمه أن يرد مثل الهبة، وقال الشافعي : ليس في هبة الأجنبي ثواب وهذا فاسدٌ، لأن المرء ما أعطى إلا ليُعطى، وهذا هو الأصل فيها، وإنَّا لا نعمل عملا لمولانا إلا ليعطينا، فكيف بعضنا لبعض» (١٠) .

موقف ابن العربي من الإسرائيليات :

كان ـ يرحمه الله ـ يكره الخوض في الإسرائيليات، لما جرته من بلاء على الأمة، وما فيها من خطر قاتل، وشُبَهٍ أثارت بين قوم بلبلة وأوقعتهم في تخبط وحيرة، ولذلك قال «ابن العربي» : عندما تعرّض لقوله تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ البقرة ٦٧، «المسألة الثانية : في الحديث عن بني إسرائيل : كثرة استرسال العلماء في الحديث عنهم في كل طريق، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» ومعنى هذا الخبر : الحديث عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم وقصصهم، لا بما يخبرون به عن غيرهم، لأن أخبارهم عن غيرهم مفتقرة إلى العدالة وللثبوت إلى منتهى الخبر، وما يخبرون به عن أنفسهم، فيكون من باب إقرار المرء على نفسه وقومه، فهو أعلم بذلك، وإذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله، ففي رواية مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : رآني رسول الله ﷺ وأنا أمسك مصحفًا قد تشرمت حواشيه، فقال ما هذا ؟ قلت : جزء من التوراة، فغضب وقال : «والله لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي» (١١) .

وكان يوصي طلابه بترك الحديث الضعيف ويحذرهم منه قائلا : «وقد ألقيت إليكم وصيتي في كل ورقة ومجلس، ألا تشغلوا أنفسكم من الأحاديث بما لا يصح سنده» .

وفاته :

توفي ـــ يرحمه الله ـــ سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة من الهجرة ودفن بمدينة «فاس» المغربية .

□ □ □

المراجع

(١) طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ٤٨ .
(٢) طبقات المفسرين جـ١ ص ٤٩ .
(٣) التفسير والمفسرون د. الذهبي جـ٢ ص٤٢٠ وما بعدها .
(٤) التفسير والمفسرون د. الذهبي جـ٢ ص٤٢٢ وما بعدها .
(٥) التفسير والمفسرون د. الذهبي جـ١ .
(٦) التفسير والمفسرون د. الذهبي .
(٧) أحكام القرآن للكيا الهراسي جـ٢ .
(٨) التفسير والمفسرون د. الذهبي ص٤٢٨ .
(٩) أحكام القرآن لابن العربي جـ١ ص٤٠ والتفسير والمفسرون للذهبي جـ ٢ ص٤٣٢ .
(١٠) المصدران السابقان .
(١١) المصدر السابق .

مسافر.. لم يصل

شعر: محمد السيد محمد جاب الله

قـــالـت تحاورني بعينيَهـــا   يحنُـــو ويقسُـــو فيهما الطِّفلُ
أَلْقَتْ إلَـــيَّ بنجمـــةٍ حَيْرَى !   مـن خـــافقي تــرمي وتشتَعِـــلُ
والوجدُ يغمر أحرف النجوى   مــا للهــوى بــالــوجـدِ يغتَسلُ !
فتَـــوَسَّـــدتْ في الليل أشعــاري   في مهجتـي تغفـــو وتعتَمـلُ
والجدولُ الـــمــرقـــراقُ أظمـأني   مـن ذا لهذا السحـــر يحتمـل ؟
إنِّـــي امـــرؤٌ كلِفٌ وَلي نَـــزَقي   بـــالـــزهـرة الحسنـــاءِ أكتحـــلُ
لا القلـــبُ في حِـــلٍّ إن امتلَـــتْ   لَهَفـي ولا الأيـــامُ تمتثـلُ !
والجنـــةُ الفيحـــاءُ تُنْبِتُني   يحبـــو ربيعي ثـم يكتَهِـــلُ
صُبِّي شغـــاف الحرفِ في أُذُنِـــي   هَمْسًـــا على الأوتـــارِ يَنْسَـــدِلُ
لا تـــرسلي النظـــرات تأخذُنـــي   ويعيث قلبُـك كيفما يحلُـــو
وتعـــانقين الليل في وَلَـــهٍ   وتطـــوقين البـــدرَ . . . يكتمـلُ
لا تعـــذليني إن يكـن ذنبي   أنِّـــي أُحِبُّكِ فـــالهوى أجَـــلُ
أَتَلُـــوحُ في شطّيكِ أحـــلامي ؟   تَلِـــدُ الـــمُنَى والجرح ينـــدمِلُ
بـــاحتْ بلـــون العِشقِ عينـــاهـــا   لا البـــوحُ يشفيني ولا الأمـــلُ
فأنـــا المســـافـــر في الهوى أبـــدًا   أدْنُـــو مـن الشطـــآن تـــرتحلُ
ضلّت على الأيـــام راحلتـي   لا ينتهـي سفـــري ولا أَصِـــلُ

المثل أنواعه وخصائصه

مصطفى عيد الصياصنة

من المعلوم فيما يتعلق بحقيقة المثل، أنّه لا يعدو كونه محاولةً لإخراج الأغمض إلى الأظهر، عن طريق استخدام عبارةٍ لفظيةٍ مسبقه الإعداد، في حالةٍ شبيهة لتلك الحالة التي كانت سببًا في صياغة هذه العبارة وانتشارها على ألسنة الناس وذيوعها بينهم، حتى غدت تلك العبارة (المثل) بمثابة العلم للتشبيه بحال الأول، وذلك كقول كعب بن زهير رضي الله عنه :

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلاّ الأباطيلُ

فمواعيد عرقوب غدت علمًا ـ أو مثلاً بتعبير أصحّ ـ لكل ما لا يصحّ من المواعيد .

وللمثل أنواع كثيرة وصور شتّى، بحسب الزاوية التي ينظر منها إليه، فهو من حيث صورة ناطقة إمّا أن يكون :

مفترضًا ممكنًا : وهو عبارة عن كلّ مثل نسب فيه النطق والعمل إلى عاقل، كالغالبية العظمى من الأمثال التي يتداولها الناس قديما وحديثا، كقولهم : (حبّك الشيء يعمي ويصم) أي : يخفي عليك مساويه ويصمّك عن سماع العذل فيه، وقولهم : (حلمي أصمّ وأذني غير صمّاء) بمعني : أعرض عن الخنا بحلمي، وإن سمعته بأذني [١].

أو يكون مستحيلا مخترعا : وهو ما جاء على ألسنة الحيوانات والجمادات، حيث يعزى إليهما النطق أو العمل. والهدف من مثل هذا النوع من الأمثال إرشاد الإنسان وعظته ودفعه إلى الاعتبار، وقد حفل كتاب (كليلة ودمنة) بمثل هذا النوع من المثل، بل وبني عليه، ومن أمثال هذا النوع قولهم على لسان الحيّة : (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك) يضرب لمن لا يفي بالعهد، فيستحال الاطمئنان إلى صحبته، وهو من مشاهير أمثال العرب [٢].

المثل من حيث وقوعه

أمّا من حيث كونه وليد حادثٍ فعلي على صفحة الواقع، فالمثل نوعان :

مثل حقيقي : وهو عبارة عن المثل الذي يكون له مورد (حادثة أو قصة أو مناسبة) وقع على وجه الحقيقة في زمنٍ ما ومكانٍ ما، من مثل قولهم : (سبق السيفُ العَذل) و(الحديث ذو شجون) إذ إن لهما رصيدًا من الواقع في قصة حدثت لضبّة بن أُدّ موسمَ الحجّ، في سوق عكاظ، في العصر الجاهلي [٣].

مثل فَرَضي : وهو عبارة عن كلّ مثل، ليس له رصيد من الواقع، بل اخترع اختراعًا، ثم نسب إلى جماد أو حيوان أو غير ذلك.

من حيث شكله

وينقسم المثل من حيث شكله إلى نوعين أيضًا :

١ ـ أن يأتي على صورة عبارةٍ لفظيةٍ موجزة، منطوية على شيء من الحكمة أو الرأي السديد، من مثل قولهم : (تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها)، يضربونه في الرجل الكريم يصون نفسه عن المكاسب الخسيسة، وقولهم : (مقتل المرء بين فكّيه) يريدون : لسانه وما يتكلم به، وقولهم : (استنوق الجمل) لمن يدّعي أن لديه رأيًا حصيفًا، ثم يتضح عجزه وعيّه [٤].

٢ ـ ما كان مبنيًّا على الحوادث والقصص والحكايات، كقولهم : (وافق شنٌّ طبقة) وقولهم : (قطعت جهيزةُ قول كلّ خطيب) و(عند جهينة الخبر اليقين) [٥].

أنواعه بحسب حاله

وقد لحظ أبو عبد الله البكراباذي في المثل أربعة أنواع :

١ ـ ما يقوم بإخراج ما لا يقع عليه الحسّ إلى ما يقع عليه.
٢ ـ ما يقوم بإخراج ما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة.
٣ ـ ما يقوم بإخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة.
٤ ـ ما يقوم بإخراج ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة [٦].

شروط المثل

وقد وضع العلماء طائفة من الشروط التي ينبغي أن تتوافر في المثل حتى يُعَدَّ ـ في العرف الاصطلاحي ـ مثلاً، وهي في حقيقة الأمر عبارة عن صفات بارزة في العبارة المثلية، وأهم هذه الشروط التي تحدّثوا عنها :

١ ـ صحة المعنى ومطابقته للواقع والحقيقة : وبه تضمن سلامة المثل، كما يضمن شيوعه وانتشاره، ومع ذلك فإن كثيرًا من الأمثال الشائعة، لا تدلّ إلاّ على وجهة نظر قائليها، أكثر ممّا تدل على صحة معناها، كقولهم : (اتق شرّ

مَنْ أحسنتَ إليـه)، ففيه من فسـاد المعنى وعدم مطـابقته لـوجه الحقّ والـواقع السليم ما فيـه، ولو أنّ الناس أخذوا بـه في معظمهم، لانتفي المعروف من بين أظهرهم، ولسادت القطيعـة بينهم، وحلّت محلّ التعاطف والمودة، ولعل عدم مـراعاة هـذا الشرط في بعض الأمثال، هـو السبب الأساسُ في انتشـار ظاهـرة التناقض في التعبير عن معنى الواحد بمثلين متعارضين أحيانًا كثيرة، ومن ذلك المثلُ الشائعُ الذي يقول: (اصرفْ مـا في الجيب يأتيك ما في الغيب)، ونقيضه المثل القائل: (احفظ قـرشك الأبيض ليومك الأسود). فالمثل الأول يـدعو إلى الإنفاق بـلا هوادة أو حسـاب، والثاني عكسه تمامًـا، يدعـو إلى الاكتناز وقت الرخاء، تحسبًا لقدوم يوم يزول فيه هذا الرخاء.

قـال الإمـام الـزركشي: (ولا ينتظم مقصـود التمثيل إلاّ بـأن يكـون المثلُ المضروب مجرّبًا مسلمًا عند السامع)(٧):

٢ - التشبيه وحسن التمثيل: فقد عـدّ المبرّد التشبيه أصلاً في المثل، قال: (فقولهم: مثل بين يـديه إذا انتصب، معنـاه: أشبَهَ الصورةَ المنتصبـةَ، وفلان أمثل من فـلان: أي أشبـه بحالـه الفضل، وحقيقـة المثل: مـا جعل كـالعلم للتشبيه بحال الأول)(٨)، والمقصود بحسن التمثيل أن يكون على وفق الممثّل له من الجهة التي تعلّق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف، كقولهم: (أسمع من قُراد) و(أطيشُ من فراشة).

٣ - الغـرابة: وقد عـدّها الـزمخشرى المفّسر شرطًا لاشتهار القـول وتسميته مثـلاً، قال: (قـد استعير المثلُ للحال أو الصفـة أو القصة، إذا كـان لها شأنٌ وفيها غرابة)(٩)، إلاّ أنّ الزركشي صـاحب (البرهـان في علوم القـرآن) ردّ هذا الشرط، واعتبره مخالفًا لكلام اللغويين(١٠).

٤ - الـروح الساخـرة: فغـالبًا مـا يلحظ في المثل الطعم الـلاذعُ أو الروح الساخـرة، وهو العنصر الفكـاهي فيه، الذي ينقـد الحياة، ويسخـر من أحد جوانبهـا، فيجعل للمثل قـوة التأثير، وسهولـة التعلّق بالـذاكرة، كما يمهّـد له سبيل الذيوع.

٥ - الموسيقيـة: كما يمتاز المثل بـالموسيقي التي تساعـد على الحفظ، وبذا يبهجُ السامع بطلاوته وروعة وقعه.

٦ - واشترط بعضهم في المثل أن يكون استعارةً مركبة، وقد ردّ شهاب الدين الألـوسي هـذا الشرط في تفسيره (روح المعـاني) قـائلاً: (ولا يُشترطُ في المثل أن يكـون استعارة مـركّبة، خـلافًـا لمن وهم، بل لا يشترط أن يكون مجازًا، وهـذه أمثال العرب أفردت بالتأليف، وكثرت فيها التصانيف، ومنها الكثير مستعملاً في معناه الحقيقي، ولكونـه فريدًا في بابه، وقد قصـد حكايته، ولم يجوّزوا تغييره لفواتِ المقصود)(١١).

٧ - الـذيوع والانتـشار: إذ لا يسمـى القول مثـلاً، إلاّ إذا سار وذاع بين الناس جميعًا (١٢). ومن هنـا كـانت أغلب التعـاريف التي وضعهـا أربـاب البلاغـة والبيان للمثل، تشير إلى صفة الذيـوع فيه، بل وتعدّها الصفـة البارزة من صفاته، وأحد شروطه التي لا يُغْفَلُ عنها.

٨ - أن يكـون له موردٌ أخذ عنـه: ويقصد بالمورد: (الحالة القـديمة التي قيل فيها المثل لأول مرّة)، فبعض أهل البلاغـة يشترط أن يكون للمثل مناسبة أوليّة قيلت فيهـا العبارة المثلية، ثم شاعت وانتشرت حتى غـدت مثلاً، إلاّ أنّ المُفسّر الألوسي ردّ هذا الشرط أيضًـا، كما ردَّ من قبل شرط الاستعارة التركيبية، قائلاً: «إنّ أمثال القرآن ابتدأها الله، وليس لها موردٌ من قبلُ»(١٣).

من كلّ هـذا نخلص إلى القـول: إنّ المثل ينبغي أن تكـون روايتـه سهلـة سلسةً خالية من كلّ تعقيـد، ليفضي المقصود منه إلى ذهن السامع، كما ينبغي ألاّ يكون مُسهبًا مملاًّ، لأنّ خفّة العبارة وقصرها ممّـا يساعد على ذيوعها. وسرعة حفظها، لدى غالبية الناس، الذين يكون مدار المثل على ألسنتهم. كما يشترط فيـه أن يبهج السامع بطـلاوته، بعـد أن يكـون وروده بصورة محتملـة معقولـة مقبولة، مع إيجاز اللفظ وصدق المعنى.

صياغة المثل

هذا، وإنّ الغالبيـة العظمى والكثرة الكاثرة من أمثـال العرب، جاءت في قمّـة الصياغـة البليغة، لا تخرج عن نظـام التصريف وقواعـد النحو ولا تشـذّ عنها، ومع ذلك فإنّ بعض أمثالهم وردت، وفيهـا بعضُ المخالفة لنظم النحو وقواعـد التصريف المعهودة، من مثـل قولهم: (أعط القـوس باريها) بتسكين اليـاء في باريها، والقيـاس فتحها، وقـولهم: (أجنـاؤها أبنـاؤها) جمع: جـان وبان، والقياس أن يقال: (جناتها بُناتها) لأنّ فاعلاً لا يجمع على أفعال.

كما يلاحـظ أنّ بعض أمثالهم قد يخفـى معناها على السـامع، ولا يفهم إلاّ بـالرجـوع إلى كتب الأمثال لاستنبـاط المراد، وذلك من مثل قولهم: (بعيْنٍ مـا أرينّك)، فإنّ معناه: أسرع، وهـو معنى لا يتبادر إلى ذهن السامع من ظـاهر اللفظ، ولذا قـال عنه أبو هلال العسكـري: (إنّه من الكلام الذي قـد عُرِف معناه سماعًا من غير أن يدلّ عليه لفظه)(١٤).

وغالبًـا ما تحتفل العبـارة المثلية بتـوازن الكلمات توازنًـا ينتهي إلى السجع، وتهتم اهتمامًـا بالغًا بـالتصويـر وجمال الصياغـة، مع توفّـر ضربٍ من التنغيم الموسيقي الأخّاذ، كلّ هذا لأنّ العرب عنوا بمنطقهم، واستظهار ضروب الجمال والروعـة فيه، فجاءت أمثالهم على نمط شعـرهم وخطبهم، غايةً في البـلاغة، وآية في الفصاحة، وقمّةً في روعة البيان والإيجاز.

الهوامش

(١) انظر: (مجمع الأمثال/ للميداني، تحقيق محمد محي الـدين عبـد الحميـد) المثـلان: (١٠٣٧ و١٠٣١).

(٢) مجمع الأمثال، رقم المثل/ ٣٠٤٦.

(٣) مجمع الأمثـال، المثـلان رقم: (١٠٤٤ و١٧٦٣).

(٤) مجمع الأمثال، الأمثال ذوات الأرقام: (٦١٩ و٢٨٤٦ و٣٧٦٩).

(٥) انظر قصص هذه الأمثـال في (مجمع الأمثـال للميـداني) وأرقـامهـا بحسب تـرتيبهـا: (٤٣٤٠ و٢٨٣٠ و٢٣٨٣).

(٦) عن (البرهـان في علـوم القـرآن للـزركشي ١/ ٤٨٦).

(٧) البرهان ١/ ٤٨٨.

(٨) عن كتاب (الأمثال والحكم/ حنا فاخوري ص ٨).

(٩) تفسير الكشّاف للزمخشرى (١/ ٧٢).

(١٠) البرهـان في علـوم القـرآن للـزركشي (١/ ٤٩٠).

(١١) روح المعاني للألوسي (١/ ١٦٣).

(١٢) جواهر البلاغة للهاشمي (ص٣٣٦).

(١٣) روح المعاني (١/ ١٦٣).

(١٤) جمهـرة الأمثـال/ لأبي هـلال العسكـري، والمطبـوع على هـامش (مجمـع الأمثـال للميـداني) ١/ ١٦٨. ومثله في الغرابـة قولهم: (لا يعرف الهرّ من البرّ)، فمـن الشرّاح من قـال: الهرّ الفأرة، وقيل: لا يعـرف من لا يعـرف من يهرّ عليـه ممن يبره، وقيل: الهرّ دعاء الغنم والبر سوقها، وقيل: البر ولد السنّور، والبر ولـد الثعلب (انظر: مجمع الأمثال/ للميداني، المثل رقم ٣٧٩٧).



د. أحمد الجارم لـ «الفيصل» بعد نشر ملف الجارم:

الظلمة الجاهلية التي نعيشها اليوم ستنقشع

الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين

رئيس تحرير مجلة الفيصل الغرّاء

تحية طيبة إسلامية أبعثها إليكم رفق هذا الخطاب الذي أود أن أعبّر لكم فيه عن خالص امتناني وصادق إعجابي بما كتبتموه تقديما للبحوث الخاصة بالمرحوم الشاعر الأديب اللغوي «علي الجارم» كما جاء في أول العدد رقم «١٩٤» من مجلة «الفيصل» الصادر في شعبان ١٤١٣هـ (فبراير ١٩٩٣م).



ولأني ابن المرحوم «علي الجارم» الذي عايشته فترة تعدّ من أثرى فترات حياتي، أشعر في كل كلمة كتبتموها في هذا التقديم بإنصافكم هذا الرجل الذي لم يعش حياته إلاّ ليخدم العربية، لغة القرآن الكريم، ويخدم دينه الإسلام. ولم يقصّر يوما واحدًا في هذين الأدائين، مما أثار ضده في حياته - وبالطبع بعد مماته - أعداء القرآن وأعداء الإسلام وأعداء اللغة العربية، وحاولوا بعد وفاته أن يحيكوا حوله «مؤامرة الصمت» التي إذا نجحت بعض الوقت فإنها بالقطع لا تنجح طول الوقت، وخاصة بعد أن لجأتُ إلى نشر تراثه الأدبي شعرًا وقصصًا تاريخيا ومقالات أدبية في ديوان علي الجارم وسلاسل الذهب و«جارميات». وسوف أبدأ قريبا جدا إن شاء الله في إخراج كتاب «الجارم في ضمير التاريخ» الذي سوف يشتمل على المقالات والبحوث الأدبية حول «الجارم» شاعرًا وأديبًا ولغويًّا حتى يسكت الحاقدون إلى الأبد ﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ صدق الله العظيم.

ويكفيني منكم إنصافًا لهذا الرجل أنكم جعلتم الملف الخاص بالعدد الأخير من مجلتكم خاصًّا به وبشعره وأدبه وأثره في أمته العربية والإسلامية، واستكتبتم هؤلاء الأدباء العظام، هذه المقالات الموضوعية التي تناولت الرجل بكل نزاهة وعدل. فشكرا لكم ولكل أديب منهم، وسوف أرسل إلى كل منهم خطابًا خاصًّا لأشكره على فضله، ولكي أدوّن له بعض ملاحظاتي على ما جاء بدراسته عن «علي الجارم» من منطلق معايشتي للرجل والتعرف على آفاقه الأدبية وعلى المجتمع الذي عاش فيه بمختلف نواحيه الأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

وما دامت المناقشة تجري في هذا المناخ الأدبي الصحي السليم الذي أتشمم رائحته العطرة الصادقة من مجلتكم «الفيصل»، والذي يندر وجوده في مجلات أخرى كثيرة، أدبية كانت أم غير أدبية، فمرحبًا بهذه المناقشة الموضوعية الهادفة والعادلة والصادقة.

أيها الأخ الكريم

إن الكلمات لا تسعفني حقيقةً للتعبير عن امتناني لكم على ما أديتموه حيال «علي الجارم» الذي ادَّعى ــ قحة وفجاجة ــ بعض الشيوعيين وأعداء الإسلام أنه ليس شاعرًا - هكذا كتبوا! كبرت كلمة تخرج من أفواههم ــ ثم تأتون أنتم بعد أكثر من أربعين عامًا لتقولوا الكلمة الحق فيه وفي أدبه وفي تفانيه ووفائه للعربية وللإسلام وللعروبة وللتعليم ولأمته جمعاء حتى آخر يوم في حياته.

كم أتمنى ــ أيها الأخ الكريم ــ أن يستمر الحوار بيننا وأن تتصل حبال الأدب والعروبة والإسلام بيننا، فقد كان لما كتبتم عن «علي الجارم» أكبر الأثر في إعادة إيماني بأن الظلمة الجاهلية التي يعيشها عالمنا اليوم لا بد أن تنقشع، وأن النهار لا بد أن يطلع مهما تأخر طلوعه على يد أمثالكم في الأمة العربية.

وختامًا أدعو لكم بالمزيد من التوفيق والنجاح وبالمزيد من الصحة والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. أحمد علي الجارم

القاهرة

في آثار الجارم النثرية:
كافور الشخصية الأكثر تناقضًا



جاء الملف القيم الذي قدمته «الفيصل» في عددها رقم ١٩٤ عن علي الجارم مظهرًا جوانب خفية لم تكن معروفة بصورة واضحة من قبل، مما جعلني أنقب في آثاره أطالعها بنهم، وأدوّن ما أبصره من خلال هذه المطالعة. ولقد استرعى نظري أسلوب الجارم الفذ في رسم الصور الواضحة لشخصياته، وكأنه يرسم لوحات فنية رائعة بالفرشاة وليس بالقلم. وكان الأجدر هنا أن أتناول الشخصية التي أبدع الجارم في وصفها ـ المتنبي ـ إلا أني تراجعت عندما وجدت من تناولها في «الفيصل» في عددها ١٩٥ ص١٢٣، ووجدتني مدفوعا لأن أكتب عن هذه الشخصية المتناقضة ـ كافور الإخشيدي ـ وقد تعرض لرسمها الجارم بصورة مباشرة من خلال عمليه الشاعر الطموح ونهاية المطاف. (الشاعر الطموح، نهاية المطاف، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ ط٣).

حيث أستطيع أن أتحدث عن كافور على نحو ما سيأتي:

جاء أول وصف لكافور على لسان «ابن ملك»، وقد جاء يرغّب المتنبي بالسفر إلى مصر. يقول عن كافور «وهو ناقد بصير ـ صدق الرأي ـ حسن التدبير ـ علو الهمة» (الشاعر الطموح ص ٥٧). **ثم كان هذا الوصف لكافور في سياق حديث مع النفس، يقول المتنبي واصفًا إياه** «ذلك العبد الحبشي، الضخم المشافر، المنتفخ البطن، المتفلفل الشعر، الزنجي الفدم ـ الليل الدامس ـ العيّ الجاهل» (الشاعر الطموح ص ٥٩).

ويصف الراوي كافورًا بالبشاشة والكرم وقد شرع المتنبي في لقائه: «ومرت الأيام وكان المتنبي يزور كافورا في كل يوم ويلقى من بشاشته وكرمه ما يغرس المحبة في القلوب» (الشاعر الطموح ص ٧٦).

والمتنبي يصف كافورًا بالشمس السوداء، حيث يقول:

تفضح الشمس كلما ذرّت الشمـ ... س بشمس منيرة سـوداء

(الشاعر الطموح ص ٨٤).

ومن السمات الأساسية في شخصية المتنبي التقلب المزاجي، فنراه يقسو ويعطف ويغضب ويرضى ويحب ويكره إرضاء لأهوائه، فها هو ينعت كافورا «بأنه رجل وفيّ صادق أمين» (الشاعر الطموح ص ١٠٨). وهذا الشريف إبراهيم العلوي ـ صاحب المتنبي في مصر ـ يصف كافورًا في سياق حديثه لأخته عائشة فيقول: «إن الأسود ماكر محتال بعيد الوثبة» (الشاعر الطموح ص ١١٤).

ثم يعود الراوي يصف كافورًا على هذا النحو: «والأسود لغز مطلق أو بيت من أبيات الفرزدق تعب فيه المعربون والشارحون، فهو دائما يبتسم، وهو دائما مهذب أنيس متواضع، وهو دائما إذا أشار المتنبي إلى مطامحه سريع الإجابة على شرط ألّا يُفهم من إجابته شيء» (الشاعر الطموح ص ١٢٠).

وفي نهاية المطاف يصف المتنبي كافورًا الوصف الأخير فيقول: «قصدت كافورًا الزنجي الخبيث، النتن، الكذاب، الماكر، المحتال».



هكذا بدت شخصية كافور في آثار علي الجارم النثرية «الشاعر الطموح، نهاية المطاف»، وما وجدناه من اختلاف وتناقض لهذه الشخصية على لسان واصفيه والمتحدثين عنه، وكل هذا على لسان الراوي الجارم ـ الذي أبدع في رسم الصور لكل أشخاصه رسما ينم عن براعة الشاعر في الغوص في أعماق أشخاصه، لذا عرفنا الجارم مؤرخا وليس أديبا وشاعرا فحسب.

والله ولي التوفيق

صلاح عبد الستار الشهاوي

دمشيت ـ طنطا ـ مصر



عودة إلى مقالة :
بين التصويب والإضافة

طالعت بالعدد «١٩٢» من مجلة الفيصل ـ السنة السادسة عشرة ـ إصدار شهر جمادى الآخرة ١٤١٣هـ/ كانون الأول ديسمبر ١٩٩٢م، مقالة بعنوان «أضواء على الصحافة الإسلامية في الجزائر» للأستاذ خليل محمود الصمادي وكانت المقالة شيقة ومفيدة، تطرق فيها الكاتب إلى الناحية التاريخية لحياة الصحافة الإسلامية في الجزائر.

ورأيت من المفيد إضافة وتصويب بعض المعلومات والأسماء التي وردت بها. والله نسأل الهداية إلى الصواب.



أولاً: ورد خطأ في كتابة اسم رئيس تحرير صحيفة «الدفاع» LA DEFANCE (١٩٣٤م) والأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشهيد الأستاذ «محمد الأمين العمودي». إذ ذكر صاحب المقالة أن اسمه الأمين الآمدي، ويعد محمد الأمين العمودي مؤسس صحيفة «الدفاع» LA DEFANCE، وكذا صحيفة «الجحيم» L'ENFER التي أصدرها بمعية الشيخ الزاهري ومحمد عبابسة (١).

ثانيًا: أصدر الشيخ العلاقي عبد الحميد بن باديس جريدة «المنتقد» وليس جريدة المنقذ، وتم ذلك سنة ١٩٢٦م وليس سنة ١٩٢٤م، كما أصدر صحيفة البصائر التي استمرت في الصدور إلى سنة ١٩٥٧م، باستثناء فترة زمنية توقفت فيها أثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية، ثم أعاد إصدارها الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي وأشرف على تحريرها (٢).

ثالثًا: صدرت جريدة «ذو الفقار» في أكتوبر سنة ١٩١٣م عن صاحبها «ابن منصور الصنهاجي» وهو الاسم المستعار للأستاذ الفنان «عمر راسم»، ولقد كان يتحمل عبء تحرير فصولها ورسم صورها وطبعها وتوزيعها وحتى تمويلها، وجاء في العدد الأول منها: ذو الفقار جريدة عبودية إصلاحية. كما أصدر أيضًا في سنة ١٩٠٨م مجلة «الجزائر»، وهي أول مجلة عربية يصدرها جزائري صدر منها عددان فقط (٣).

رابعًا: في فبراير سنة ١٩١٣م قدم عمر راسم يد المساعدة للسيد عمر بن قدُّور الجزائري ليؤسسا معًا جريدة «الفاروق» التي تخلصت فيما بعد لابن قدُّور (٤).

خامسًا: صدرت مجلة الأصالة في محرم ١٣٩١هـ/ مارس ١٩٧١م، ورأس تحريرها الأستاذ عثمان شبوب، ولقد أسسها إذ ذاك وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم (٥).

سادسًا: صدرت مجلة «القبس» عن وزارة الأوقاف في ربيع الأول ١٣٨٧هـ/ يونيو ١٩٦٧م، وكان رئيس تحريرها الأستاذ التلي بن الشيخ (٦).

سابعًا: صدرت مجلة «المنقذ» في ٥ أكتوبر ١٩٨٩م، في البدء كانت نصف شهرية ثم تحولت إلى أسبوعية (٧).

وفي الختام أتقدم إلى الكاتب ومجلتنا الغراء الفيصل بشكري وتمنياتي بدوام التوفيق والتقدم.

بريم عبد الرزاق
باب الوادي ـ الجزائر العاصمة
الجمهورية الجزائرية

الهوامش

(١) انظر «محمد الأمين العمودي» الشخصية المتعددة الجوانب. تأليف محمد الأخضر السائحي ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ١٩٨٥م.

(٢) انظر «الصحف العربية الجزائرية» (١٨٤٧هـ ـ ١٩٣٩م) تأليف: د. محمد ناصر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ١٩٨٠م.

(٣) انظر «عمر راسم المصلح الثائر» تأليف: محمد ناصر ـ مطبعة لافوميك ـ الجزائر ١٩٨٤م.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) العدد الأول من مجلة الأصالة.

(٦) العدد الأول من مجلة القبس.

(٧) أعداد المجلة.

ردود خاصة

● الإخوة عبد الرحمن الزايدي ـ الرياض، سعد الشِّقة ـ الدمام، وليد الحميدي وفيصل العبودي ـ القصيم، محمد منظور إلهي ـ المدينة المنورة، أحمد العبري ـ مسقط عُمان، عبد الله عموري ـ حلب ـ سورية :

استفساراتكم حول الاشتراك في المجلة تم الرد عليها من قبل القسم المختص، ونأمل أن تصلكم ـ وربما وصلتكم بالفعل ـ معلومات بهذا الشأن، وشكرا.

● الإخوة والأخوات : نادية طولقي وبلعيد عيسى ـ بسكرة، بومليت فريد ـ الجزائر العاصمة، الدام كمال وأنيس سعادة ـ الوادي، عبد الرحمان سبياتي وعبد القادر العربي وعمرو رابحي ـ المدية، عبد القادر النوي وفضة سعود وعويسي عامر وكمال عبد الحفيظ ـ الجلفة، بوصالح مبروك وسالمي بن سالم ـ أدرار، رحالي شعبان وبوكاري بوكاري ـ المسيلة، عقباوي ابن محمد ـ تمنراست، فطايمية كمال ـ قالمة، دربازي عباس ـ سطيف، ابن شوك رابح بن سعيد ـ بومرداس، يحياوي عباس ـ تغنيف، أحمد دهلول ـ عين الدفلى، بن مزيان عبد الكريم ـ عين ململة ـ الجزائر:

طلباتكم أحيلت إلى قسم الاشتراكات لإجراء اللازم، مع الشكر على المراسلة.

● الأخ محمد عبد الرحمن ـ كوماسي ـ غانا :

سعدنا برسالتك، ونسأل الله أن ينفع بك، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

● الأخ صبحي أحمد بن حسن ـ حلب ـ سورية :

شكرا على رسالتك، ولعلك لاحظت عودة «الفيصل» إلى قرائها الأعزاء في سورية الشقيقة اعتبارا من العدد ١٩٦ لشهر شوال ـ نيسان أبريل الماضي. العددان المطلوبان في طريقهما إليك.

● الأخ هزاع علي العامري ـ جدة :

نطمئنك بأن الكمية المطبوعة من المجلة في ازدياد، وهناك اهتمام خاص بتوزيعها داخليا وخارجيا، وخصوصا بعد عودة المجلة إلى الأسواق السورية واليمنية واللبنانية والأردنية وعما قريب إلى الأسواق الكويتية والجزائرية إن شاء الله. أما موضوع المتنبي والبارانويا فلعلك تتفق معنا أن ما نشر حول ذلك في «مناقشات وتعليقات» كاف. وأما غياب باب «لوحة وفنان» فقد تم في إطار إعادة النظر في أبواب المجلة الثابتة، والقول الفصل في مسألة احتجاب بعض الأبواب أو إعادتها أو استمرارها سيكون مع التطوير المقبل للمادة التحريرية الذي نأمل أن يكون موفقا إن شاء الله. مع الشكر على اهتمامك.

● الأخ أحمد أبو الحسن سليمان ـ قنا ـ مصر :

رسالتك أحيلت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بحكم الاختصاص، ونأمل أن تتلقى ردًّا منه.

● الأخ عبد الحليم نور حسين ـ مكة المكرمة :

نرحب بأي موضوع ترسله إلينا، ولا يشترط أن يكون أدبيًّا. أما النشر فيخضع لاعتبارات أهمها أن يكون الموضوع منسجما مع سياسة النشر في المجلة، وأن يكون في المستوى المأمول. ونرجو أن تكون قد استفدت من العرض الخاص المتاح حاليا للاشتراك المخفض.

● الأخت عبير تامر ـ الجزائر العاصمة :

المجلة ترحب بك صديقة دائمة، ويسعدنا التواصل مع جميع الإخوة والأخوات القارئين باللغة العربية في كل مكان. أما أصحاب المقالات فيتم إشعارهم بوصول مشاركتهم، سواء نشرت أو لم تنشر. مع تمنياتنا لك بالتوفيق في دراستك الصحافة السمعية والبصرية.

● الأخت نادية طولقي ـ بسكرة ـ الجزائر :

المعلومات التي تحتاجين إليها لإعداد البحث المذكور في رسالتك، سوف تصلك بريديا من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. نأمل أن تجدي فيها ما يفيدك.

● الأخ علي محمد الأسمري ـ ينبع :

إرضاء القراء جميعهم غاية لن تُدرك، وجوائز المسابقة مرت بمراحل مختلفة يعرفها جيدا القراء المتابعون، ولكل مرحلة ظروفها ومبرراتها. ولعلك لا تختلف معنا في أن تنوع الأسلوب فيه محاولة لإرضاء الجميع. أما تباعد الفترة الزمنية بين طرح الأسئلة ونشر الإجابات والنتيجة فقد قضينا على هذه المشكلة منذ العدد ١٩٥، واعتبارا من هذا العدد والذي يليه ستكون المدة ثلاثة أشهر فقط. مع الشكر على ملحوظاتك.

● الأخ شحم أحمد ـ فاس ـ المغرب :

المعلومات التي طلبتها يصعب إرسالها إليك شخصيا وفورا لأنها غير متوافرة لدينا حاليا، وسنسعى لنشرها في أحد الأعداد المقبلة لتستفيد منها وتعم الفائدة للجميع. استفسارك حول مجلدات «الفيصل» سوف يجيبك عنه القسم المختص وشكرا.

● الإخوة والأخوات عدنان محمد ـ سيهات، منصور الغامدي ـ بلجرشي، عيسى علي سعيد ـ الباحة، عباس نجم وحامد آل صالح ـ رفحاء، محمد أحمد محمد أحمد ـ القاهرة ـ مصر، هبة زياد إدريس وماهر محمد صبيح ـ عمّان، عماد الدين الشوبكي ـ معان ـ الأردن، وداد عقدة ـ دمشق ـ سورية، عبد الكافي عبد الصمد ـ طرابلس ـ لبنان، عبد الله لقطيبي ـ سلا ـ المغرب :

استفساراتكم حول مجلدات «الفيصل» أحيلت إلى القسم المختص، ونرجو أن تكونوا قد تلقيتم الردود عليها. وأهلا بكم جميعا.

● الأخ « قارئ » ـ بلجرشي :

تعليقك الجميل على مقالة د. علي شلش كان بودنا نشرها لولا عدم ذكر اسمك الصريح في رسالتك. نرجو أن تعطي الإخوة القراء فرصة الاطلاع على تعليقك بعد أن تكشف لنا عن «هويتك»، ومن حقك طلب الاحتفاظ بالاسم عند النشر إن شئت. وأهلا بك.

استراحة العدد

أربع خصال

عن عبـد الله بـن عمـرو بن العاص قال :

أربع خصال مَنْ كن فيه بنى الله له بيتًا في الجنة :

من كـان عصمـة أمره لا إلـه إلا الله ، وإذا أصابته مصيبة قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعـون ، وإذا أعطي شيئًا قـال : الحمـد لله ، وإذا أذنب ذنبًا قال : أستغفر الله .

أعظم اختراعين !

إن أعظم اختراعين عرفهما العالم - حتى الآن - في رأيي هما المطبـعـة التي طبعت الكتـاب ، والتلفـاز ، الـذي يمنع الناس من قراءته !

الناقد الراحل محمد مندور

عجائب الخلق

يزن قلب الإنسان ما بين ٢٢٥ - ٣٤٠ جرامًا ، وينبض بمعـدل ٧٠ مـرة في الـدقيقة ، فإذا كـان متـوسط عمر الإنسان ٦٠ عامًا فإن هذا يعني أن قلبه قـد نبض مليـارين ومـائتين وسبعـة مـلايين وخمسمائة وعشرين ألف نبضة دون توقف !

أغرب ساعـة

أغرب ساعـة ميدان في العالم هي التي كـانت مـوجـودة قبل الحرب العالميـة الأخيرة في مدينة فـرانكفورت الألمانية ، فقد صممهـا مهندس ألماني مشهـور ، بحيث يُفتح فيهـا بـاب صغير يخرج منـه فـارس على صهـوة جواده ، يعلن الساعات بطلقات من مسدس في يده .

يعلق مصممهـا على ذلك بأن هـذه هي أحسـن طـريقـة «لقتل الوقت» .

ويأتيك بالأمثال

أَحْذَرُ مِنْ قِرِلَّى

قالوا : إنه طير من بنات الماء صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف . لا يُرى إلا مرفرفا على وجـه الماء على جانب كطيران الحدأة ، يهوي بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعًـا ويرفع الأخرى إلى الهواء حـذرًا . فإن أبصر في الماء ما يستقل بحمله من سمك أو غيره انقضّ عليـه كالسهم المرسل فأخرجـه من قعر الماء . وإن أبصر في الهواء جارحًا مرَّ في الأرض .

وكما ضربـوا به المثل في الاختطـاف كـذلك ضربوا بـه المثل في الحذر والحزم فقالوا : أحذر من القِرِلَّى . كما قالوا : أحذر من غراب ، وقالوا أحزم من قرلى ، كما قالوا أحزم من حرباء .

قال شاعر :

حَـذِرًا كـن كـالقِـرِلَّى إن رأى خيرا تـــدلَّى أو رأى شرًّا تــولَّى

عاقل أم مجنون ؟

بعث الخليفة العبـاسي هارون الرشيـد وزيره ثمامة إلى دار المجـانين ليتفقد أحوالهم ، فرأى بينهم شابًّا حسن الوجه ، يبدو كأنه صحيح العقل ، فأحب أن يكلمه ، فقـاطعه المجنـون بقوله : أريـد أن أسألك سؤالا! فقـال له الـوزير : هات سـؤالك . قال الشاب : متى يجد النـائم لذة النوم ؟ فقال الـوزير : حين يستيقظ . قال الشاب : كيف يجد اللـذة وقد فارقه سببها ؟ فقـال الوزير : بل يجد اللذة قبل النوم . فاعترض الشاب بقولـه : وكيف يلتذ بشيء لم يذقه بعد ؟ فقال الـوزير : بل يجد اللذة حـال النوم . رد الشاب : إن النائم لا شعـور له ، فكيف تكون لذة بلا شعور . فبهت الـوزير ولم يحر جوابًا ، وانصرف وهو يقسم ألا يجادل مجنونًا أبدًا .

مات عالمًا

دخل على البيروني العـالِم المسلم المعروف ـــ وهو يحتضر - عـالم فقيه ، فسألـه البيروني عن مسـألـة أشكلت عليـه في ميراث ذوي الأرحام ، فقـال له الفقيه : أفي مثل هذا الوقت ؟

فقال لـه البيروني : لأن ألقى الله عالمًا بها خير من أن ألقاه جاهلاً بها .

أوائل

الصبح : أول النهار .

الغسق : أول الليل .

النعاس : أول النوم .

الاستهلال : أول صياح المولود .

الوسمي : أول المطر .

البارض : أول النبت .

اللباء : أول اللبن .

السلاف : أول العصير .

اللعاع : أول الزرع .

الباكورة : أول الفاكهة .

النهل : أول الشراب .

الطليعة : أول الجيش .

الوخط : أول المشيب .



ينبع - على سـاحل البحر الأحمر - كما تبـدو من على باخـرة مع بائعي الفواكـه في قواربهم المعـروفة بـــ «السنبـوك» والمحـاذية لجانب البـاخـرة (صورة التقطـت قبل سبعين عامًـا)

هكذا كانـوا !

كان سلمان الفارسي - رضي الله عنه - إذا سئـل عن اسمـه قال : عبد الله، وعن نسبه قـال : ابن الإسلام، وعن مـاله قـال : الفقر، وعن حـانوتـه قال : المسجد، وعن كسبه قال : الصبر، وعن لباسـه قال : التقوى والتواضع، وعن وساده قـال : السهر، وعن فخره قال : «سلمان منـا أهل البيت»، وعن قصده قـال : «يريـدون وجهه»، وعن سيره قـال : إلى الجنة، وعن دليلـه في طريقـه قال : إمام الخلق وهادي الأئمة .

من نـــــوادر النحـــــاة

قال رجل لرجل : قد عرفتُ النحو، إلا أنني لا أعرف هذا الذي يقولون : أبو فـلان وأبا فـلان وأبي فلان ، فقـال له : هـذا أسهل الأشيـاء في النحو، إنما يقولون : أبا فلان لمن عظم قدره، وأبو فلان للمتوسطين، وأبي فلان للرذلة .

وأشهر مما سبق قصة أخرى عمرهـا نحو ألف سنة، فنحوي لقي رجلاً من أهل الأدب وخاف أن يلحن وهـو يسأله عن أخيـه فقال : أخـوك أخاك أخيك ها هنا ؟ فقال الرجل : لا، لي، لو. لم يحضر.

وقدم على ابن علقمة النحوي ابن أخ له فقال : ما فعل أبوك ؟ قال الولد : مات، قـال ابن علقمة، ومـا فعلت علّته ؟ قـال : ورمت قدميـه . قال : قل قدماه، قال : فـارتفع الورم إلى ركبتاه قال : قل ركبتيه، فقال الـولد : دعني يا عم ؛ فما موت أبي بأشد عليّ من نحوك هذا !

وسام شجاعة

هل تعـــــرف أن أول أوسمـــــة الشجاعـة كان نحلة ذهبية؟ حدث هـذا عنـدمـا كـافأ أحـد الفـراعنـة المصريين قبل ٣٥٠٠ سنة المحاربين الذين يبلون البـلاء الحسن في المعارك ويظهـرون ضروبًـا من الشجـاعـة، فيثبتونها على ستراتهم القصيرة .

بعدهـا - وحتـى وقـتنا الحـاضر - تنوعت الأوسمة وشهدت ضروبا من الفن والزخرفة . .

بِرَسْمِ البيع

كانت هذه العبـارة تُقرأ على برج «إيفل» الشهير في العاصمة الفرنسية باريس .

وقبل أن يتبـادر إلى الأذهـان أن البرج عـرض للبيـع نقـول : إنها لا تعني البرج، بل درجـــات اقتطعت من سـلاله في عملية لتجـديد شبـابه اقتضت تخفيف ألف طن من وزنـه، وتركيب مصاعد كهربائية .

بقي أن نذكر أن القطعة الواحدة عرضت للبيع بعشرة آلاف فرنك .

أكبر الصحف توزيعًا لها سبع طائرات

أكبر الصحف اليوميـة توزيعًا في العالم هي صحيفـة «يوميوري» اليابـانية، التي توزع ١٣,٨ مليون نسخة يوميًـا، وتستخدم ما يزيد على ٣٦٠٠ صحفي وأربع طـائرات هليوكـوبتر، وثلاث طـائرات عاديـة لنقل المحررين إلى مـواقع الأحداث المهمة، ولها ٤٣٦ مكتبًا داخل اليابان، و٢٨ مكتبًا خارجها .

الأحوال والأهوال



أفضل أعمال الخيال تعتمد على الحقيقـة . اقرأ روايـة على بـاب زويلة لمحمـد سعيـد العريان لتعرف خيالاً لـو لم تكن حقائق التاريخ ترويه لما كان حلو المذاق يانع الثمار.

وقـد بـدأ نجيب محفـوظ بكتب تـاريخيـة مثل رادوبيس وكفاح طيبة . ومن المؤكـد أن كتاب الجريمة والعقـاب وهـو روايـة روسيـة شهيرة لم يكن خيـالاً فحسب . لقـد كـان يتضمن حقـائق في علم التحليل النفسي والتحقيق الجنـائي يعتمـد عليهـا في الـروايـة العميقة لدستو فسكي .

أما «الجذور» لأليكس هيلي فتلك قمـة الجهد الإنسـاني والبحث التاريخي في قالب خيالي هو إلى الحقيقة أقرب من الحقيقة نفسها .

تحتاج قـراءة «الجذور» إلى أربعين ساعـة، أما روايتهـا فهي تحتاج إلى أربعين شهرًا على الأقل، هذا إذا لم تكن أربعين سنة .

لقد غاص أليكس هيلي في قرنين من الزمان وقارتين من قارات الأرض يفصل بينهما المحيط الأطلسي ؛ لكي يتتبع جذوره في أفريقيا منذ عام ١٧٥٠ ميلادية .

وحكى لنا الأحوال في غامبيا والأهوال في فـرجينيا بأمريكا . أحوال الأفريقيين وأهوال الامريكيين في رواية تبلغ أكثر من سبعمائة صفحة .

الله سبحانه قيض موهبة عظيمة في أليكس هيلي لكي يشرح لنا أحوال وأهوال روايته «جذور» مظالم الإنسان الأبيض، دون خطاب مباشر أو إملال .

ولم يكن أليكس هيلي وحـده الـذي دان العنصرية البغيضـة في أمـريكا ضـد السـود والملونين، ولكن جـورج أورمـايل كتب رواية «أيـام برمـاويـه» يدين فيهـا الحضارة الغربية وابتزازها للإنسان وتفرقتها بين الذين خلقهم الله سواسية كأسنان المشط .

كل ذلك من خلال الـرواية ومن خلال الحوار الشيق الممتع حيث تأتي مـوهبة الكاتب فتصقل الفكرة أو الأفكار التي يريد إيصالها إلى القارئ .

لكن كل ذلك الإبداع ما كـان وليد قريحة شاعرية في نفحة خيـالية . بل جاء نتيجة دراسة طويلة وبحث مضن وكفاح شديد بحيث تصبح الرواية وكأنها عمارة قوية متماسكة وجميلة .

أمـا ملحمـة عمـر لعلي أحمد بـــاكثير فهي خير وأوضح مثـال، إنها في نحـو عشرين جزءًا . ولكي ينجزها تفرغ لها مدة عامين . لكنه لم يبدأ من الصفر.

الروائي كهذا يقوم بالبحث العميق حقا، لكنـه هو نفسه قد قضى من حياته عقودًا من السنين يـوظفها في جهوده بما تجمع لـديه خلال هـذه السنوات من علم وخبرة وثقافة وموهبة .

تشعر بالجهـد والخبرة والدراسة والموهبة وأنت تقرأ رواية سقيفـة الصفا لحمزة بوقري .

إن الأدب ليس كـلامًا فـارغًا ولكنـه مضمون يعتلي على سهـر وتعب وتنقيب وبحث، حتى وإن تبدى في قـالب خيالي، وقـديما قال علماؤنـا : «من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة» .

فالخيال ترويه الحقيقة .

والخيـال يجعل من الحقيقـة جميلـة، أو محزنـة، وهي أيضـا في حـزنها جميلـة ومؤثرة .

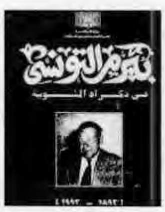
والأدب يقوم بتوظيـف الأهوال والأحوال إلى وثيقة تشير إلى الحقيقـة الناصعة . التي يريد أن يرسلها إلى القارىء فليس كل من هبّ ودبّ أديبًا . قال الشاعر :

لا تحسبـن المجـــــد تمرًا أنـت آكلـــــه
لـن تبلغ المجـــد حتى تلعـق الصَّبرا

محمد علي الجفري

كتب وردت إلى المجلة

بيرم التونسي في ذاكره المئوية



يتنـــاول الكتـاب حيـاة الشاعر الشعبي الـــراحل بيرم التونسي وأدبـه، بمناسبـة مرور مائة عام على مـولده، عبر مجمـوعـة من الدراسـات كتبهـا متخصصون عبر بابين.

يبـدأ الكتـاب بتصـديـر لحسين مهران تحدث فيه عن الشـاعر وقيمته الفـكـريـة، تـلاه د. محمـد حسن عبد الله بـافتتاحيـة أكد فيهـا أن بيرم التونسي كـان خلاصـة عصر متناولاً بشيء من التفصيل جوانب حيـاته بما حفلت من مـآسي أمـدتـه بمعين لا ينضب من الســخريـة. وتنـــاول د. محمد مصطفى هدّارة فن المقـامة في أدبه وتحدث د. زكـريا عنـاني عن بناء الزجل لديـه. أما د. فؤاد قاعود فكتب عن بيرم بين زجّـــالي عصره.

وتنـاول محمـد السيـد عيـد أسطـورة «ميـديـا» بين العصر اليـونـاني وبيرم التـونسي وكتب د. سعيـد رمضـان عن دوره في فن القصـــة. وتنـاولـه مجدي أحمد تـوفيق روائيًّـا. وعـرض فـرج العنتري لــدور بيرم وأغــاني الحياة.

وفي البـاب الثـاني الـذي عنـون بـاسم «زوايـا» كتب د. كمال نشأت عن السخـرية في أزجـال بيرم. وقدم عبد العليم القبـاني من التراث العربي في أدبـه، وتحدثت د. نبيلة إبـراهيم عن بيرم والمرأة، واختتـم الكتـــاب ببحث للدكتور يسري سـلامة عنوانه «النقـــد الاجتماعـي عنـــد بيرم التونسي».

صدر الكتاب عـن وزارة الثقافة المصرية ـ الهيئة العامة لقصور الثقافة في ١٧٤ صفحـة من القطع الكبير، ١٩٩٣م.

الدليل البيبليوجرافي لكتاب الطفل العربي (المجموعة الأولى)



جمع وإعداد فيصل عبـد الله الحجي، يـركـز الكتـــاب على مـوضـوع أهمية القـراءة للطفل ويـوضح التأثيرات المختلفـة التي تـؤثـر في تنشئتـه. ثم ينتقل إلى الـدليـل البيبليـوجـرافي لكتاب الطفل العـربي فيعرض بعضًا مما صـدر من المترجم منـه بسيئـاتـه وحسنـاتـه، ومنـه المترجم بشكل مـدروس كغـزو ثقـافي أو فكـري يستهدف الطفل العربي.

ورتب معـد الـدليل الكتـاب سلاسـل وكتب الأطفال ترتيبًا ألف بائي حسب عناوينهـا بعد أن أسقط كلمة «سلسلـة» أو «مجموعـة» من العناوين مـا عدا تلك التي لا يمكن إسقاطها حتى لا يتشـوه العنوان مثل «السلسلـة الكشفيـة أو السلسلـة البيضاء».

يقع الدليـل في ٢٢٥ صفحة من القطع الـوسـط، وصـدر عن دائر الثقـافة والإعـلام في الشـارقـة بدولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، ط ١، ١٩٩٠م.

مفرقعات صحفية



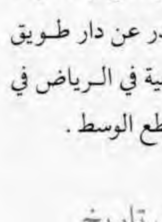
تأليف رجاء العتيبي، يضـم الكتاب مجموعة من المقـــالات المتنـوعـة التي نشرت للمـــؤلـف في الصحف السعودية.

ينـاقـش الكتـاب العـديـد من القضـــايـا الاجتماعيـــة والفنيـــة والمشكلات والسلبيات التي يراها في المجتمع طـارحًـا مـا يـراه من حلـول لبعضها.

والقضـايا التي ينـاقشهـا المؤلف تهم قطـــاعــات كبيرة من فئـــات المجتمع، وتعكس معايشة فعلية مع مشكلاتهم، وهـي معايشـة اكتسبها بحكم المواطنـــة ثم بحكـم العمل الصحفي الـذي قـربـه من الــواقع الاجتماعي والفكـري لمجتمعـه عبر الاحتكـاك المبـاشر مع فئـات من ثقافات متباينة.

ويعد الكتاب بـاكورة إصدارات المؤلف، وقـد صـدر عن دار طـويق للخدمات الإعلامية في الـرياض في ١٦ صفحة من القطع الوسط.

الوجيز في تاريخ التشريع الإسلامي



جمع تأليف د. عبد الـرحمن الصـابـــوني، يتكون الكتـاب من ثلاثة أبواب تسبقهـا مقـدمـة تتنـاول مـوجـزًا للمـوضـــوع وأهميـة دراسـة الفقـه الإسلامي وخصائصه. والغرض من دراسته.

ويعرض المؤلـف في الباب الأول مصـادر التشريع النقلية مثل القـرآن الكـريم والسنـة النبـوية الشريفـة، ويعـرج للحـديـث عن المصـادر الاجتهادية مثل الإجماع، القياس، الاستحســان، المصالح المرسلـة، العـرف، شرع من قبلنـا، ومـذهب الصحابة.

وفي البـاب الثاني يتناول المؤلف الـدور التشريعـي في عصر الرســول ﷺ ثم في عصري الصحـــابـــة والتابعين، والـدور التشريعي الرابع، مستعـرضـا فقـه الخوارج والشيعـة، والمدارس الفقهية، ومـدرستي الرأي والحديث وبعـض المذاهـب مثـل الزيدية والحنفيـة والمالكية والشافعية والحنبليـة والجعفـريـة والظـاهـريـة والإبـاضية وبعض المذاهب الأخرى مثـل الأوزاعـي والطبري، ثـم يبين خصـائص الدور التشريعي الـرابع، مثل تدوين الفقه والحديث، وينتقل إلى الـدور التشريعي الخامس أو دور الاجتهـاد المقيد والشرح على المتـون، ويتطـرق في حـديثـه عن الــدور التشريعي السادس إلى واقع التشريع في الــوطن العـربي وعصر النهضـــة الفقهية الحديثة.

وخصص البـاب الثالث لتنـاول القواعد الكلية في الفقه الإسلامي، مقدمًا تعريفًا لها ومصادرها والتمييز بين قـواعـد علم الأصـول وقـواعـد الفقـه، وبـدء ظهور مؤلفات هـذا العلم، وأشهـر المؤلفات في القـواعد الكلية في المذاهب الشهيرة.

صدر الكتاب عن دار المنار في

دبي بالإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م، في ٣١٨ صفحة من القطع الوسط.

الميسر في أصول الفقه الإسلامي



تأليف د. إبراهيم محمد سلقيني، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي.

يعد الكتاب مرجعًا جيدًا لمن يطلب المعرفة المبسطة في أصول الفقه الإسلامي، وقد قسمه المؤلف إلى قسمين، ضم القسم الأول ثلاثة أبواب، والثاني خمسة.

ويتناول المؤلف في الباب الأول سبعة مباحث، بادئًا بتقديم تعريف بعلم أصول الفقه وبيان حقيقته، ثم يدخل في موضوع علم الأصول، موضحًا أهميته وفائدته، ومصادره، ونشأته، ومناهج المؤلفين الذين طرقوه وأشهر المؤلفين، ويختتم الباب بشرح أسباب اختلاف الفقهاء.

وفي الباب الثاني يتناول الشريعة الإسلامية سواء الأصلية أو التبعية وهي: القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة، الإجماع، القياس، الاستحسان، المصالح المرسلة، العرف، ومذهب الصحابة، وغير ذلك من المصادر التي قررها الفقهاء.

ويقدم في الباب الثالث شرحًا للحكم الذي يؤخذ من الأدلة الشرعية مقدمًا تعريفًا له ولأقسامه وأركانه.

ويتحدث في الباب الرابع عن دلالات الألفاظ وكيفية استنباطها ويعرج في الباب الخامس لتعريف النسخ وحكمه وأنواعه ووقته أو الفرق بينه وبين التخصيص، وتبيان الأدلة على النسخ ووقوعه، وجواز النسخ بالأخف والأثقل.

أما الباب السادس فخصصه للحديث عن الاجتهاد والتقليد معرفًا كلاً منهما، وأحكامهما، وهل ينقض الاجتهاد باجتهاد آخر، ويتطرق في الباب السابع إلى موضوع مهم هو التعارض والترجيح مناقشًا تعارض الأدلة، ومعنى الترجيح بينها ووجوب العمل به، وشروطه وطرقه، ويختتم كتابه في الباب الثامن موجزًا مقاصد الشريعة العامة ومعرفًا بها وبأنواع المصالح التي قصدها الشارع وترتيب المقاصد. ولا يفوته أن يقدم ملحقًا بمراجع ومصادر الكتاب.

صدر الكتاب في ٤٣٨ صفحة من القطع الوسط عن دار الفكر المعاصر في بيروت ودار الفكر في دمشق، ط١ ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م.

آفاق ثقافية



جمعتني بنخبة من الأصدقاء، جلسة على طعام الغداء، كان طبق الحلوى الرئيس فيه النوع المسمى (أم علي). وقد دفعني التأمل في أصل هذه التسمية، إلى أن أسرح بخاطري بعيدا إلى ديوان الشعر العربيّ على مر العصور، لما حفل به من ألقاب غريبة، غلبت على كثير من الشعراء، فعرفوا بها، دون أسمائهم الأصلية، ومن ذلك مثلا أن «الأبجر» شاعر أموي اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، والأبجر لغة الذي خرجت سرته، والعظيم البطن، وكانت هذه الأخيرة صفة لابن ضبية، فعرف بها، و«الحمامة» شاعر عباسي من القرن السادس، اسمه يحيى بن صعلوك، لقب بذلك لحسن إنشاده، و«طفيل الخيل» شاعر جاهلي، لقب بالخيل لكثرة وصفه إياها، و«عصا الأعمى» شاعر أندلسي من القرن السادس، اسمه أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنشى، لقب بذلك لأنه كان يقود الشاعر الأعمى التطيلي، و«المراكبي» شاعر عباسي من القرن الثاني، اسمه عيسى بن عبد الله بن إسماعيل، لقب بذلك لأنه كان صاحب مراكب المنصور، » و«مسكين» شاعر أموي، اسمه ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمي، لقب بذلك لقوله:

أنا مسكين لمن أبصرني ... ولمن حاورني جدُّ نَطِقْ

وقصة تسمية «المتنبي» شاعر العربية الأكبر بهذا اللقب، أشهر من أن تذكر.

وعلى الرغم من وجود مصنفات تراثية عديدة، تناولت ألقاب الشعراء؛ منها: «ألقاب الشعراء» لمحمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦هـ، وكتاب: «من قال شعرا فسمي به» لعلي بن محمد بن عبد الله المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ، وكتاب: «المذاكرة في ألقاب الشعراء» لمجد الدين أسعد بن إبراهيم النشابي المتوفى سنة ٦٥٧هـ، وغيرها، إلا أن الحاجة تمس إلى طبعة عصرية مستخلصة من كل هذه المصنفات التراثية، توثق هذا الجانب، ومن الجهود العلمية التي أسعدتني في هذا الخصوص، صدور «معجم ألقاب الشعراء» في دبي عام ١٤٠٢هـ للدكتور سامي مكي العاني، الذي وثق هذا الموضوع بطريقة ميسرة، اعتمادًا على كتب الأقدمين، التي تبين أن ألقاب الشعراء متعددة متنوعة، فطائفة منها لقب بها أصحابها لبيت شعر قيل فيهم، كالأصعر والحادرة، وطائفة أخرى نطق أصحابها في الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها، كالأخضر والبعيث، ومنها ما كان بسبب عاهة جسدية أو عيب جسمي، كالأعشى والأحوص والأعلم، وبعضها يدل على الاستخفاف بالملقب، كابن عاهة الدار، والحطيئة، وابن الأتان، إلى غير ذلك من تصنيفات ألقاب الشعراء.

وبالنظر إلى غرام العرب منذ القدم بالألقاب، التي تعدت الشعراء، وغيرهم من الرجال، إلى كثير من مفردات البيئة، مثل الخيول والجمال والأسود والسيوف والرماح والأمطار والرياح، وغيرها، مما تحفل به كتب التراث، فما أجمل أن تنصرف جهود الباحثين، إلى تقديم توثيق عصري لكل هذه الأمور، الأمر الذي يضئ كثيرا من جوانب تراثنا الثقافي، بطريقة سهلة ميسورة.

عبدالملك عبدالرحيم

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً) .

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا) .

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا) .

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًّا أو رباعيًّا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

● أجوبة مسابقة العدد (١٩٤) ●

ج ١ : الزوجية سنة من سنن الله ـ تعالى ـ في الخلق والتكوين، وهي عامة مطردة، لا يشذ عنها عالم الإنسان، أو عالم الحيوان، أو عالم النبات، قال تعالى : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تَذَكَّرُون ﴾ الذاريات ٤٩ . وقال تعالى : ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ يس ٣٦ . وهو الأسلوب الذي اختاره الله ـ عز وجل ـ لاستمرار الحياة في الكائنات، بعد أن أعدّ الزوجين وهيأهما، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية، قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ الحجرات ١٣ .

وقد رغّب الإسلام في الزواج بصور متعددة؛ فجعله ـ تارة ـ آيات من آية الله ـ تعالى ـ في الكون، أو من سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ـ تارة أخرى ـ . ومن الآيات القرآنية الدالّة على ذلك :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الروم ٢١ .

٢ ـ وقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾ الرعد ٣٨ .

٣ ـ وقوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إن يكونوا فقراء يُغنهم الله من فضله، والله واسع عليم ﴾ النور ٣٢ .

وهناك آيات أخرى عديدة، وكذلك أفاضت الأحاديث الشريفة في الحث على الزواج، والترغيب فيه .

□ □ □

ج ٢ : من الأحاديث الواردة في دعائه ﷺ لأموات المسلمين :

١ ـ ما رواه أحمد ومسلم وغيرهما، عن بريدة قال : كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع، ونسأل الله لنا ولكم العافية» .

٢ ـ ما رواه الترمذي عن ابن عباس : أن النبي ﷺ مر بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال : «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر» .

٣ ـ وما رواه مسلم عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ كلما كان ليلتها، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد» .

□ □ □

ج ٣ : غاز الفحم أو الاستصباح، ينتج بالتقطير الإتلافي للفحم الرخو بوصفه منتجًا ثانويًّا لعملية تحضير الكوك . يختلف تركيبه، ولكنه ـ بوجه عام ـ نصفه من الإيدروجين، ونحو ثلثة من الميثان، والباقي كميات قليلة من أيدروكاربونات أخرى، وأول أكسيد الكربون، والنتروجين، وثاني أكسيد الكربون، والأكسجين، لذا فهو خليط ينتج الحرارة، فيستعمل وقودًا، كما ينتج الضوء، فيستعمل للإنارة .

□ □ □

ج ٤ : تنسب جائزة جونكور للأدب إلى إدموند لويس جونكور (١٨٢٢ ـ ١٨٩٦م)، الذي عُرف وأخوه جوليس ألفرد جونكر (١٨٣٠ ـ ١٨٧٠م) بحبهما للآداب والفنون، واشتغلا بالنقد وكتابة التاريخ وتأليف القصص، كما أنشأ الأخوان «صحيفة الجونكور»؛ التي كان لها فضل كبير في تقديم صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية في باريس نحو نصف قرن . وقد أوصى إدموند جونكور بإنشاء أكاديمية جونكور التي لا تزال تقدم سنويًّا جائزة عن أحسن عمل قصصي .

□ □ □

ج ٥ : التفضيل الجمركي، اتفاق بين بلدين أو أكثر على التمتع بمزايا جمركية لا تنسحب إلى البلاد الخارجة عن الاتفاق، وهي تتخذ ـ غالبا ـ صورة خفض في الرسوم الجمركية المفروضة على السلع المصدرة أو المستوردة فيما بين بلديّ الاتفاق . والتفضيل الجمركي يتضمن تمييزًا لمصلحة بلديّ الاتفاق ضد البلاد الأخرى، غير أنه لا يقتضي إلغاءً تامًّا للحواجز الجمركية، أو إقامة تعريفة جمركية موحدة إزاء البلاد الخارجة عن الاتفاق . وفي هذا يختلف التفضيل عن الاتحاد الجمركي الذي يعني اتفاق بلدي الاتحاد على إزالة الحواجز الجمركية التي تعترض تصدير السلع واستيرادها، وتطبيق تعريفة جمركية موحدة على السلع المستوردة من البلاد الأجنبية إلى أي طرف في الاتحاد، وبذلك تصبح بلاد الاتحاد الجمركي ضمن منطقة جمركية واحدة . لكن هذا لا يعني حرية انتقال الأشخاص أو رؤوس الأموال، وإن كان الاتحاد يعد خطوة نحو تحقيق وحدة اقتصادية كاملة قد تؤدي، بدورها، إلى وحدة سياسية كاملة أو شبه كاملة .



● نتائج مسابقة العدد (١٩٤) ●

م	اسم الفائز	البلـــد	قيمة الجائزة بالريال
١	عبد الله محمد حميد الجدعاني	جدة ـ المملكة العربية السعودية	٣٥٠
٢	بوداد صالح بن إبراهيم	أولاد تايمة ـ المغرب	٣٥٠
٣	محمد أحمد عويس علي	القاهرة ـ مصر	٣٠٠
٤	رجاء زكريا عبد الله حسن	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	٣٠٠
٥	رندة زياد شما	دمشق ـ سورية	٢٥٠
٦	عبد الستار علي حمدان	الخرطوم ـ السودان	٢٥٠
٧	محمد سعيد قصبجي	العين ـ الإمارات العربية المتحدة	٢٠٠
٨	ربيع محمود حمد الله سيد	أسوان ـ مصر	٢٠٠
٩	حليمة برابعة	أوران ـ الجزائر	١٥٠
١٠	عباس محمد دخيل اليربوعي	الدوحة ـ قطر	١٥٠
١١	عبد الرزاق بن محمد مزيد	صفاقس ـ تونس	١٠٠
١٢	منيرة عبد الله السلطان	الدمام ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
١٣	عبد العزيز مهدي الفندي	قرية عالي ـ البحرين	١٠٠
١٤	جابر عبد القادر الحميدان	الرصيفة الأردن	١٠٠
١٥	علاء الدين محمود صالح	السويس ـ مصر	١٠٠
١٦	صلاح جاه الرسول مصطفى	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
١٧	مولوي محمد عثمان خطيب	السند ـ الباكستان	١٠٠
١٨	لحميري عبد القادر	وهران ـ الجزائر	١٠٠
١٩	أمينة محمد شرف مطهر	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٠	أجرنيض إبراهيم بن سعيد	أولاد تايمة ـ المغرب	١٠٠
٢١	فاطمة الزهراء بنت محمد قمري	مدنين ـ تونس	١٠٠
٢٢	منتهى محمود مصطفى عمار	الدقهلية ـ مصر	١٠٠
٢٣	الفاروق فتح الله عبد الرحمن	عمّان ـ الأردن	١٠٠
٢٤	عبد الله محمد سالم جمعة	مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٥	عبد الرحمن بن ماسي أصيل	الخرطوم ـ السودان	١٠٠
٢٦	محمد نسيم محيي الدين حسن	المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٢٧	محمد أحمد محمد نصر	كفر الزيات ـ مصر	١٠٠
٢٨	العسلاوي المصطفى بن محمد	خريبكة ـ المغرب	١٠٠
٢٩	محمد عبد العزيز عبد الله الغامدي	بلجرشي ـ المملكة العربية السعودية	١٠٠
٣٠	فخري عبد السلام عثمان	عمّان ـ الأردن	١٠٠

أسئلة مسابقة العدد (١٩٨)

● السؤال الأول :

رعى الإسلام حق الحياة لكل مسلم، وعمل على صيانة نفسه وحماية ذاته، وبينت الشريعة الغراء أن دم المسلم لا يحل سفكه إلا بثلاثة أفعال وردت في حديث شريف صحيح. ما هي؟

□ □ □

● السؤال الثاني :

جعل الله سبحانه وتعالى ـ الصدقات (زكاة الأموال) مختصة بأصناف من الناس بيّنها في كتابه العزيز (الآية ٦٠ من سورة التوبة)؛ ولكن هناك من يحرم أداء هذه الصدقات إليهم. اذكر أربعة منهم.

□ □ □

● السؤال الثالث :

لقب بحكيم قريش وعالمها : لاشتغاله بالكيمياء والطب والنجوم؛ إذ أتقنها وألّف فيها رسائل. بُويع بالخلافة بعد موت أبيه، فأقام فيها ثلاثة أشهر ثم تخلّى عنها لينصرف إلى العلم. من هو؟

□ □ □

● السؤال الرابع :

من المعارك البحرية الشهيرة معركة «الطرف الأغر». أين وقعت هذه المعركة، ومن كان طرفاها؟

□ □ □

● السؤال الخامس :

كيف تتم عملية تسجيل الصوت؟!

□ □ □

● أجوبة مسابقة العدد (١٩٥) ●

ج ١ : من الآيات الكريمة التي حثّت على عتق الرقاب وجعلت ذلك من أبواب الكفارات : النساء (٩٢)، المائدة (٨٩)، المجادلة (٣).

□ □ □

ج ٢ : هناك أحاديث نبوية شريفة نهى فيها رسول الله ﷺ عن الحلف في التجارة؛ منها :

١ ـ ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «الحلف مَنْفَقة للسلعة ممحقة للبركة».

٢ ـ وما رواه مسلم في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم وكثرة الحلف فإنه ينفق ثم يمحق».

٣ ـ وما رواه أحمد في مسنده وغيره، أن رسول الله ﷺ قال : «إن التجار هم الفجار، فقيل : يارسول الله أليس قد أحلّ الله البيع؟ قال : نعم، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون».

□ □ □

ج ٣ : هو أبو مسلم الخراساني، من أعظم دعاة العباسيين وقادتهم. اختلفت في نسبه وأصله وحقيقة اسمه، بل وزمن مولده. إلا أن المحقق أنه كان مولى فارسيًا، أدخله إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس في خدمته لما رآه من حسن منطقه وجودة ذهنه، وكنّاه بأبي مسلم، وندبه للدعوة للعباسيين بخراسان، فجمع جمهورًا كبيرًا من خراسان وبلاد ما وراء النهر مستغلاً في ذلك تذمر الموالي، وانقسام العرب القبلي، ومنازعاتهم، وانتشار العقائد المتطرفة في أخريات أيام الدولة الأموية. استولى أبو مسلم على مرو ونيسابور، ودخل الكوفة حيث بويع أبو العباس السفاح خليفة، إلا أن أبا جعفر المنصور نقم عليه لما رأى من نجاحه، واعتبره خطرًا عليه، فما كان منه ـ بعد توليه الخلافة ـ إلا أن أرصد له بعضًا من حرسه بقيادة عثمان بن نهيك، فقتلوه بحضرة أبي جعفر في ٢٥ شعبان ١٣٧هـ (٧٥٥م).

□ □ □

ج ٤ : براءة الاختراع، شهادة تمنح عن كل ابتكار قابل للاستغلال الصناعي؛ سواء أكان متعلقًا بمنتجات صناعية جديدة، أو بطرق ووسائل صناعية مستحدثة، أم بتطبيق جديد لطرق ووسائل صناعية معروفة. وتخول البراءة مالكها ـ دون غيره ـ حق استغلال الاختراع بجميع الطرق. وحقه هذا موقوت بمدة معينة، يسقط الاختراع بعدها في الملك العام. وبراءة الاختراع تنظمها القوانين المحلية لكل دولة، وتكفل حمايتها اتفاقية باريس الخاصة بحماية الملكية الصناعية، المبرمة في ٢٠ مارس ١٨٨٣م، والمعدلة في بروكسل في ١٤ ديسمبر ١٩٠٠م، وواشنطن في ٢ يونيو ١٩١١م، ولاهاي في ٦نوفمبر ١٩٢٥م، ولندن في ٢ يونيو ١٩٣٤م.

□ □ □

ج ٥ : الاحتكار، يقصد به سيطرة منتج واحد على إنتاج سلعة أو تسويقها. وقد يكون المنتج فردًا أو شركة. وكثيرًا ما يؤدي الاحتكار إلى استغلال المستهلك بفرض ثمن مرتفع، لا يملك المستهلك إلا قبوله لعدم وجود مصدر آخر للحصول على السلعة. وينشأ الاحتكار في ظروف متعددة : فهناك أنواع من السلع والخدمات لا تقبل بطبيعتها، أوليس من المصلحة العامة، تعدد المنتجين فيها، وتسمى الاحتكارات الطبيعية، ومنها : تزويد المدن بالماء والكهرباء، وتسيير القطارات، والغالب أن تتولى الدولة أو السلطات البلدية إدارة هذه الخدمات، أو تعهد بها لشركة خاصة مع إخضاعها لرقابة دقيقة. وقد ينشأ الاحتكار في صناعة من الصناعات، لنمو أحد المشروعات نموًّا كبيرا واستيلائه على المشروعات الأخرى. ويتم الاستيلاء باندماج المشروعات الصغيرة في المشروع الكبير، ويعرف ذلك «بالترست». وقد ينشأ الاحتكار باتفاق بين المشروعات في صناعة معينة على تحديد الثمن، أو تقسيم الأسواق فيما بينها، ويعرف ذلك «بالكارتل». وكما يوجد الاحتكار في بيع السلعة، كذلك قد يوجد في شرائها وهو أقل شيوعًا.

أما في الشريعة الإسلامية فهو شراء الشيء وحبسه ليقل بين الناس فيعلو سعره ويصيبهم بسبب ذلك الضرر. وقد حرّمه الشارع ونهى عنه لما فيه من الجشع والطمع وسوء الخلق والتضييق على الناس، فقد روى أحمد والحاكم وابن أبي شيبة والبزار أن النبي ﷺ قال : «من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه». والأحاديث التي تنهى عن الاحتكار كثيرة، وقد بسطت كتب الفقه شروط الاحتكار، والمواد التي يكون فيها فليراجعها من يشاء.



● نتائج مسابقة العدد (١٩٥) ●

أولاً : فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، **محمد عبد الله بن حسن**، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًّا، **يوسف محمد محمد يوسف**، السويس ـ مصر.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًّا، **عطاء الله أطهر سومرو**، السند ـ الباكستان.

□□□

ثانيًا : فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من :

١ ـ أبو بكر السيد محمد داود، الخرطوم ـ السودان.
٢ ـ زهرة بنت إدريس أمال، الدار البيضاء ـ المغرب.
٣ـ صلاح الدين سيد علي، المسيلة ـ الجزائر.
٤ ـ عبد الله علي عثمان القرني، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.
٥ـ فكرية عبد الكريم حسن، القاهرة ـ مصر.

□□□

ثالثًا : فاز بجائزة الاشتراك المجاني لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من :

١ ـ راوية بنت ميزوني غرسلي، القصرين ـ تونس.
٢ ـ عبد الرزاق محمد الطيب، أسوان ـ مصر.
٣ ـ فاطمة شاهين أبو رياش، الزرقاء ـ الأردن.
٤ ـ عبد الرحيم النور الحسن، الخرطوم ـ السودان.
٥ ـ الحوسني عمار، أولاد تايمة ـ المغرب.
٦ ـ أمينة عبد الله إبراهيم، المنامة ـ البحرين.
٧ ـ عبد الله جدي، المسيلة ـ الجزائر.
٨ ـ منال علي عبده عوضين، الإسكندرية ـ مصر.
٩ ـ عبد الله أحمد العالم، الزرقاء ـ الأردن.
١٠ ـ فيصل سلطان الجودي، الطائف ـ المملكة العربية السعودية.

□□□

رابعًا : كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من :

١ ـ عبد الرحمن الصيد، المطوية ـ تونس.
٢ ـ وسيم أحمد شمس، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.
٣ ـ طواف عبد المجيد، خريبكة ـ المغرب.
٤ ـ طارق عثمان محمد علي، الخرطوم ـ السودان.
٥ ـ حمزة فتح الله الصوص، عمّان ـ الأردن.

إسهام التراث الشعبي في أدب الطفل بالمغرب

بقلم: أحمد المكينسي

يؤدي التراث الشعبي لكل بلد دورًا كبيرًا في تكوين أدب للطفل، ذلك أن الحكايات - أو «الحجّايات» باللهجة المغربية، أو «الحدوتة» باللهجة المصرية - وكذا بعض الألعاب المستمدة من المناسبات الدينية كالعاشوراء وعيد الأضحى(1) وموسم الحج وغير ذلك، تسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في إيجاد أدب خاص بالطفل. مثلاً عادة «غرايمة» وهي الاحتفال بعيد الأضحى على مستوى الأطفال، وكذا «عَيْشُوراء» حيث يحتفل الأطفال بعاشوراء بإشعال النار وارتداء أحسن ما لديهم من لباس والخروج إلى الشوارع والأزقة، ولا ننسى كذلك الاحتفال بالصيام الأول للأطفال حيث يتم تخليد هذا الحدث بحفل خاص يقيمه الآباء على شرف أولادهم الذين يقومون بأداء هذه الفريضة لأول مرة في حياتهم.

ولا شك أن الحكايات الشعبية «الحَجّايات» هي مصدر إلهام وثروة لغوية وخيالية يكتسب خلالها الأطفال الكثير من أجدادهم وجداتهم.

وهناك فن «الحَلْقة»، أي الحلقة التي يتدور حولها المارة في الشارع والزقاق، وخلالها يتم سرد حكايات عنترة بن شداد العبسي وبطولاته، وكذا روائع قصص ألف ليلة وليلة وبطولات سيف بن ذي يزن، وفن «الحلقة» هذا قد ازدهر بالمغرب مع وجود ساحات عمومية يؤمها الناس وأبناؤهم خلال أيام العطل والأعياد وخلال المواسم الدينية والوطنية(2).

كما استفاد الأطفال من أشكال أخرى تعبيرية مثل: مسرح الناس - أي الشارع - وكذا من «القركوز» أو «القركوزة»، وتنطق الكلمة «قراجوز» و«قراقوش»، وتعني «العين السوداء أو «الطائر الأسود»، وبعضهم يعتبرها «القرقاش» أي الحاجب الأسود. كما أن الأنماط البشرية والحيوانية المتمثلة في القطط والكلاب والديكة والكباش نصادفها كلها في مسرحيات «القركوز»(3).

أضف إلى أن فن خيال الظل قد نهل منه الأطفال الشيء الكثير، ذلك أن هذا الفن استمد موضوعاته من الأدب الكلاسيكي سواء العربي أو الفارسي أو التركي، مثل «ليلى والمجنون» و«قيس وليلى» و«خسرو وشرين»، و«فرهاد وشرين» و«يوسف وزوليخا»، ولكن لا بد من الإشارة إلى أنها قد غُيرت بما يتلاءم مع روح هذا الفن الفكاهي الساخر.

ويبقى أكبر إسهام في التراث الشعبي متمثلا في الموروث الديني، فقصص الأنبياء ومعجزاتهم الخالدة ومواعظ الحكماء كلقمان وسيدنا الخضر وسير - الصحابة رضوان الله عليهم - ووصايا الإمام علي - كرم الله وجهه - في كتابه «نهج البلاغة»، وبطولات الفاتحين المسلمين الأوائل وما بعدهم، كالقائد خالد بن الوليد، وعقبة بن نافع الفهري، وطارق بن زياد، ويوسف بن تاشفين وعبد الرحمن الغافقي وغيرهم. كل هذا قد أسهم بشكل فعال في تكوين رصيد مهم من التراث الفكري الذي يثري ملكة الأطفال في الكتابة والإنشاء، وكذا الشعور بالإحساس لديهم أن لهم ماضيًا متجذرًا في التاريخ وانتماء أصيلاً لحضارة الإسلام الخالدة.

إن تخليد كثير من المناسبات الدينية لدى الأطفال بشكل خاص مثل الصيام الأول، عاشوراء، غُرايمة (عيد الأضحى)، حفل حفظ «السُلْكة» أي حفظ ستين حزبًا من القرآن الكريم في بداية التكوين بالكتاب (المسيد)، وكذا بعض الألعاب المستمدة من تاريخنا العربي والإسلامي الأصيل التي يتفنن الأطفال - هنا بالمغرب - في تقليدها، مثل غزوات الرسول ﷺ، هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وترديد أغنية «طلع البدر علينا»؛ كل هذا يجعل هؤلاء الأطفال - منذ صغرهم - ممتزجين بتاريخهم وأصالتهم ومقوماتهم الروحية والدينية. كيف لا وقد وجدوا فيها ضالتهم المنشودة وشخصيتهم التي يبحثون عنها. وفي هذا الجو العابق بالتراث الأصيل يشب الأطفال على مبادئ راسخة في أذهانهم الصغيرة.

وخلاصة القول إن الموروث الشعبي للأطفال هو كل تلك الأشياء التي يتلقاها الأطفال من أولياء أمورهم، ومن المدرسة والشارع، وهي قبل كل شيء ذلك النمط من العادات والتقاليد التي تصحب المناسبات الدينية والوطنية، والتي نحرص على القيام بها كلما حلت والتي تذكرنا - ولا شك - بماضٍ مشرق حافل بالمكرمات، وهي الحافز على التطلع نحو غد مشرق لفلذات أكبادنا في ظل مقوماتنا الحضارية والدينية والقومية.

الهوامش والمراجع

(1) هناك لعبة «غُرَّايْمَة» وهي لعبة يتمثل فيها الأطفال تقليد ذكرى عيد الأضحى من الذبح إلى تبادل الزيارات والقيام بالمأدبات الغذائية.

(2) انظر مقالنا حول «الساحات العمومية ودورها الاجتماعي بالمغرب» مجلة «الأمن الوطني» الرباط، العدد ١٥١ السنة ٢٧ - ١٤٠٨ - ١٩٨٨م ص ٣٥ - ٣٧.

(3) انظر مقالنا «المضامين الاجتماعية في مسرح القركوز» مجلة الجامعة الوطنية لمسرح الأطفال الرباط - المغرب.

(4) أولي جلبي، أوليا جلبي سياحتنامه سي اسطنبول، ١٩٨٣م ص٦٥٨.

(5) منجد الأعلام، بيروت، ١٩٧٣م.

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم: نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة

الحركة الثقافية

- ☐ وفاة حسين سرحان وجمال حمدان.
- ☐ إنشاء هيئة مكتبة القاهرة الكبرى.
- ☐ تكريم السيوطي في ذكراه الخمسمائة.
- ☐ الفائزون بجوائز بوليتزر للصحافة.
- ☐ ملتقى في مدريد عن التراث الفكري الإسلامي.

السعودية

وفاة حسين سرحان


حسين سرحان

فقد الأدب العربي واحدًا من أبرز مبدعيه بوفاة الأديب والشاعر السعودي **حسين سرحان** عن عمر يناهز ٧٩عاما.

وُلد سرحان في مكة المكرمة عام ١٣٣٤هـ، وتلقى تعليمه الأولي في كتاتيبها **وأروقة المسجد الحرام** حتى عام ١٣٤٨هـ، حيث التحق **بمدارس الفلاح**، إلا أنه لم يستمر بها سوى قرابة عام ونصف، ترك بعدها الدراسة لينشغل بالأدب، حيث نشرت صحيفة «**أم القرى**» أولى مقالاته وهو بعد في الخامسة عشرة من عمره.

وعمل سرحان في أعمال وظيفية حكومية شتى حتى استقر به الأمر في النهاية رئيسًا للتحرير في مطبعة الحكومة التي كانت تصدر صحيفة **أم القرى**، بعدها ترك العمل ليتفرغ للأدب.

وهو شاعر وقاص من جيل الرواد، عُرف باطلاعه الموسوعي وثقافته الراقية التي تجمع بين التراث والمعاصرة، وقد نشرت قصائده في معظم المجلات والصحف الأدبية العربية، وقام الباحث **أحمد عبد الله صالح المحسن** ـ يرحمه الله ـ بإعداد رسالة ماجستير عن شعره، نشرها نادي جدة الأدبي في كتاب بعنوان «**شعر حسين سرحان : دراسة نقدية**».

وفي سنواته الأخيرة اعتزل الفقيد الناس، وتوقف عن المشاركة في النشاطات الثقافية لضعف صحته، إلا أنه واصل الكتابة في الصحف، وكان آخر مقالاته في صحيفة «الرياض» حول ذكرياته عن الملك فيصل بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ قبل ربع قرن ويزيد.

من مؤلفاته : «**أجنحة بلا ريش**»، «**الطائر الغريب**»، «**الصوت والصدى**»، و«**أوزان في الميزان**»، و«**رسالة في الأدب والحرب**» وهي دواوين شعرية، كما جُمعت مقالاته الصحفية في كتاب.

جائزة الأمير خالد الفيصل

انتهت في السابع والعشرين من شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٣هـ المسابقات بين كليات عسير في إطار **جائزة الأمير خالد الفيصل للنشاطات الطلابية**.

دارت المسابقة في مجالات : القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والسيرة النبوية، والمسابقات الثقافية، والمساجلات الشعرية، والمسرحيات، والخطابة بنوعيها : الموجهة والفورية، والمسابقات الرياضية.

وحتى إعداد الخبر لم تكن نتائج المسابقات قد أعلنت بعد.

تكريم الرفاعي


عبد العزيز الرفاعي

شارك نخبة من مثقفي المملكة وأدبائها في حفل كبير نظمه **نادي جدة الأدبي الثقافي** خلال شهر شوال الماضي ١٤١٣هـ تكريما للأديب الأستاذ **عبد العزيز الرفاعي**.

يأتي الحفل في إطار تكريم النادي لرموز الحركة الثقافية والفكرية والأدبية السعودية، وألقيت خلاله كلمات وقصائد ودراسة عن أدب الرفاعي.

مجلة للفقه والقضاء


د. عبد الله بن محمد آل الشيخ

ينتظر أن يصدر مع مطلع العام الهجري الجديد ١٤١٤هـ العدد الأول من مجلة «**الفقه والقضاء**» الفصلية المتخصصة، بعد أن صدرت موافقة وزير العدل د. **عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ** على صدورها بواقع أربعة أعداد في العام.

ويرأس معاليه لجنة الإشراف على المجلة التي تضم في عضويتها المشائخ : **غنيم بن مبارك الغنيم، غيهب بن محمد الغيهب، سعود بن سعد ابن دريب، حمد إبراهيم الهويش، صالح الجار الله، ومحمد بن عبد الله المحيميد**.

ويتولى التحرير فريق مكون من الزملاء : **عبد الكريم العيسى** (سكرتيرًا للتحرير) **ومحمد**

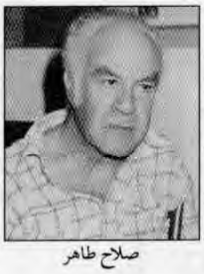
عبد العزيز المهيزع وعبد الرحمن القصاب (محررين).

إهداء مخطوطات لمكتبة الملك فهد


الأمير فيصل بن فهد

في مبادرة كريمة، أهدى صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض **ثلاثة عشر ألف مخطوطة إسلامية نادرة، واثني عشر ألف كتاب من كتب التراث الإسلامي**، اشتراها سموه ـ من جيبه الخاص ـ من جامعة برنستون الأمريكية.

معرض صلاح طاهر


صلاح طاهر

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز** في مطلع شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٣هـ معرض الفنان التشكيلي المصري **صلاح طاهر**.

أقيم المعرض في قصر الثقافة بحي السفارات في الرياض، وضم مجموعة من الأعمال التشكيلية للفنان المعروف.

كتب جديدة

● **«الاثنينية»** عن المنتدى المعروف بهذا الاسم والذي يعقده رجل الأعمال **عبد المقصود خوجة**، صدر الجزءان الثاني والثامن من الكتاب الذي يحمل وقائعها.

● **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، تأليف الإمام **الحافظ نور الدين علي بن سليمان الهيثمي الشافعي**، تحقيق ودراسة د. **حسين أحمد الباكري**، صدر بالتعاون بين مركز خدمة السنة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

● **أهم أسس تربية الطفل المسلم وتطبيقاتها في المناهج الدراسية**. تأليف د. **محمود أحمد شوق**، صدر عن إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

● **الحباء من العيبة غبَّ زيارتي الطيبة**، تأليف **أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**، صدر في الرياض.

● **رفع الحرج في الشريعة الإسلامية**، تأليف د. **صالح بن عبد الله بن حميد**، صدر عن دار الاستقامة.

● **قالوا عن الإسلام**، إعداد د. **عماد الدين خليل**، صدر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

● **في الأدب الإسلامي**، تأليف د. **محمود شاكر سعيد**.

● **الإسلام والسياسة : الرد على شبهات العلمانيين**، تأليف د. **محمد عمارة**، تقديم فضيلة **الشيخ جاد الحق علي جاد الحق**.

صدر الكتابان السابقان عن دار المعراج الدولية للنشر في الرياض.

● **صناعة الكتاب السعودي المعاصر**، تأليف د. **عباس صالح طاشكندي**، صدر عن منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

● **مختارات من روائع الأدب العالمي في القصة القصيرة**، ترجمها وقدم لها **خالد عبد الرحمن العوض**، وصدرت عن نادي جدة الأدبي الثقافي.

● **ملامح من الثقافة الإسلامية في الإعلام السعودي المعاصر**، تأليف **سليمان محمد العيدي**، صدر عن دار الطائر للنشر والتوزيع في الرياض.

● **طفل من سراييفو والصومال**، مجموعة شعرية **لخالد مصباح مظلوم**، صدرت في جدة.

● **إدارة عملية تعلم العلوم التجارية**، تأليف **كاليفي كالهون**، ترجمه إلى اللغة العربية د. **هلال محمد العسكر**، وصدر عن منشورات معهد الإدارة العامة في الرياض.

● **أسامي مشايخ الإمام البخاري**، تأليف **محمد ابن إسحاق بن منده الأصبهاني**، تحقيق وتقديم **نظر محمد الفاريابي**، صدر عن مكتبة الكوثر في الرياض.

● **سلاح الكلمة الشاعرة في مواجهة طاغوت العراق**، قصائد ومحاضرات وأبحاث، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

الكويت

نشاط ثقافي وفني خليجي

تمخض الاجتماع الرابع للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية بدول مجلس التعاون، الذي عقد في الكويت في نهاية شهر شوال الماضي عن اتخاذ عدة **توصيات مهمة لدفع العمل الثقافي المشترك**.

واعتمد الوزراء إقامة ندوات وملتقيات ومعارض ثقافية وفنية في عواصم دول المجلس وبعض العواصم العالمية، منها في العام الميلادي الجاري ١٩٩٣م : الملتقى الأدبي الثالث في مسقط في شهر أغسطس، وندوة التراث الشعبي في البحرين في شهر نوفمبر، والمهرجان الشعري الثاني في الدوحة، والمعرض الثاني لرسوم الأطفال بدول المجلس في الرياض، ويقامان خلال الربع الأخير من العام.

كما تقام خلال العام الميلادي المقبل ١٩٩٤م النشاطات الآتية : ندوة ثقافة الطفل في الرياض، والملتقى الفكري الثاني في الكويت، والمعرض الدوري الثالث للفنون التشكيلية لدول المجلس في الإمارات، والمعرض الثاني للخط العربي لدول المجلس في البحرين، والدورة الثالثة للمنشطين الثقافيين بدول المجلس في الرياض. ووافق الوزراء على إقامة المعرض الخارجي للفنون التشكيلية لفناني دول المجلس في روما عام ١٩٩٤م، والمهرجان الثقافي لدول المجلس في الصين عام ١٩٩٥م.

وطلبوا من الأمانة العامة للمجلس إعداد مشروع موحد لمعايير التصنيف والاختيار الخاصة بدليل الأدباء والفنانين، واطّلعوا على الجهود المبذولة لإنتاج الفيلم الموحد الذي تتولى البحرين الإعداد له، وقرروا استكمال الملحوظات حول مشروع النظام الموحد لحماية حقوق المؤلف، والحقوق المشابهة بدول المجلس خلال عام.

وتقرر أن يعقد الاجتماع الرابع في المملكة العربية السعودية ويسبقه اجتماع لوكلاء الوزارات.

الترشيح لجائزة الكويت

أعلنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن **فتح باب الترشيح لجائزة الكويت لعام ١٩٩٣م في** المجالات الخمسة التالية :

الحركة الثقافية

ـ العلوم الأساسية : علم الحاسوب .

ـــ العلـوم التطبيقيـة : الـري في المناطـــق الصحراوية .

ـ العلـوم الاقتصاديـة والاجتماعية : السياسة السكانية والقوى العاملة في الوطن العربي .

ـــ الفنـون والآداب : علـم النحـو والصـــرف العربي .

ـ التراث العلمي العربي والإسلامي : صناعة الكتاب .

وقد تحدد يوم ٣١ أكتوبـر ١٩٩٣م آخر موعد لتلقي الأعمال المرشحة .

ويذكر أن المؤسسة تمنح في كل مجال جائزتين، واحدة لأبنـاء الكويت، والأخـرى لواحـد أو أكثر من أبناء الوطن العـربي، وتبلغ قيمة الجائزة ثلاثين ألف دينار كويتي، إلى جـانب ميدالية ذهبية ودرع المؤسسة وشهادة تقديرية .

كتب جديدة

● **بنية الثورات العلمية**، تأليف **توماس كون**، ترجمة د . **شوقي جلال** .

● **حوليـة الثقافـة والفنون**، إعــداد **صالح الغريب**.

صدر الكتابان السـابقان عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

● **مذكـرات فاطمة الكـويتية**، تـأليـف **ثريا البقصمي**، صـدر عن الجمعيـة الكـويتيـة لتقـدم الطفولة العربية .

● **مدن وشعوب إسـلامية**، تأليف د . **حسن حلاق** ، صدرت في أربعـة كتيبات ضمـن سلسلة تحمل نفس العنوان عن دار الراتب الجامعية .

قطر
ندوة الثقافة العربية

نظمت **جامعـة قطر** في النصف الثـــاني من شهـر شوال الماضي نـدوة بعنوان «**الثقافة العربية : الواقع وآفاق المستقبل**» .


رجاء جارودي


د. محمد عابد الجابري

شارك في الندوة **ستة عشر شخصـا مـن كبـار المفكـــريـن والمثقفين العـــرب، والمسلمين**، بينهم ستـة من جـامعـة قطـر قدمـوا أربعـة عشر بحثًـا نـاقشت الموضـوع من مختلف جوانبه .

كان أبرز المشاركين المفكر الفرنسي المسلم **رجاء جارودي** والدكتور **محمد عابـد الجابري**، والدكتور **عبد الله جمعة الكبيسي** مدير جامعة قطر بالإنابة .

كتب جديدة

● **الأمثال الشعبيـة الملاحيـة في الخليج العربي**، إعداد **علي إبراهيم الدرورة**، صدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية في الدوحة .

● **الصياغة الإسـلامية لعلم الاجتماع**، تأليف **منصور زويد المطيري**، صدر ضمن سلسلة كتاب الأمة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

البحرين
المهرجان الثاني للتراث والثقافة


الشيخ حمد بن عيسى

اختتم ـــ مؤخـــرًا ـ تحت رعـاية سمـو **الشيخ حمد بن عيسى آل خليفـة** نــائب أمير البحـــرين «**المهـرجان الثـاني للتراث والثقـــافـــة : الحرف والصناعات التقليدية**» .

نظمت المهرجـان في متحف البحرين الـوطني وزارة الإعلام، وضـم دكاكين لمختلف الصنـاعات التقليدية التي عرفت بها البلاد على مر العصور.

مؤتمر للنقد الأدبي

نظمت جامعـة البحرين في نهاية شهـر شوال الماضي **مؤتمرًا للنقد الأدبي** شارك فيه عدد كبير من النقاد العرب واستمر ثلاثة أيام .

دارت المناقشات عبر **ثلاثة محاور** رئيسه هي : التراث النقـدي العـربي بـوصفـه مـرتكـزًا للـرؤيـة

محاضرات وندوات

● « **ألبانيا بعد سقـوط الشيوعية**» عنوان محاضرة جماعية شـارك فيها كل من **الشيخ صبري إدريس** و**الشيخ صالح الفرحان** .

● «**منهج تفسير الظواهر العلمية**» عنوان محاضرة ألقاها د . **محجوب عبيد طه** .

نظم المحاضرتين **مركز الملك فيصل للبحوث والـدراسات الإسلامية** في الرياض .

● **المصطلح العلمي في العصر الحديث : المشكلة والحلـول المقترحة** «عنوان محاضرة ألقـاها في نادي جـدة الثقافي الأدبي د . **محمـــد حســن عبد العزيز** .

● «**معالجة بعض حـالات الأسنان قبل وبعـد علاج الجذور**» عنوان محاضرة ألقاها في كليـة طب الأسنان بجامعة الملـك سعـود في الـرياض د . **محمد فاروق الأنجباري** .

● « **تـاريخ وآثـار وأنـواع الـزلازل مع التطبيق على جمهـوريـة مصر العربيـة** » مـوضوع محاضرة ألقاهـا في قسم الجغرافيا بكلية الأداب في جامعة الملك سعود بالرياض د . **عبد القادر عبد العزيز علي** .

● «**قراءة في كتاب سليمان عليه السلام لمؤلفـه عبد الرحمن الرفاعي**» عنوان محاضرة ألقـاها في نـادي جازان الأدبي الشيخ **أبو عبـد الرحمن بن عقيل الظاهري** .

● «**ظاهرة المثل في القرآن الكريم**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية اللغة العربية في مراكش التابعة لجامعة القرويين **علي آيت علي** .

النقدية الجديدة، ونظريات الأدب العالمي ودورها في تأسيس هذه الرؤية الجديدة، والإبداع العربي بوصفه بؤرة للتنظير العربي الحديث.

«بروفايل»

صدر مؤخرا العدد الأول من **مجلة شهرية جديدة تحمل هذا الاسم، وهي تُعنى بالشؤون السياحية والاقتصادية والتجارية.**

يرأس تحرير المجلة الشيخ **عيسى بن خليفة آل خليفة.**

الإمارات

مهرجان للشعر والقصة

استضاف المجمع الثقافي في أبو ظبي ـ مؤخرًا ـ **المهرجان السادس للشعر والقصة لشباب دول** مجلس التعاون.

استمر المهرجان ثلاثة أيام، واشتمل على ندوات أدبية ومسابقات للشعر الفصيح والشعبي والقصة.

اجتماع رابطة الأديبات

ناقشت رابطة أديبات الإمارات في أول اجتماع تعقده بعد تأسيسها وضع **خطة العمل لموسم الرابطة الثقافي.**

وقررت الأديبات خلال اجتماعهن الذي عقد في الشارقة استضافة عدد من كتّاب دول التعاون وكاتباتها لإلقاء محاضرات في الرابطة حول القضايا الثقافية والاجتماعية والأدبية.

كتب جديدة

● **ما لا يصادر،** مختارات من أشعار الشاعر اليوناني **يانيس ريتسوس،** ترجمها إلى اللغة العربية **رفعت سلام** وصدرت عن منشورات اتحاد كتّاب الإمارات وأدبائها.

● **راشد.. رائد النهضة،** كتاب وثائقي كتب مقدمته **محمد سعيد الهلي،** صدر عن جمعية إحياء التراث الشعبي في الإمارات.

مصر

غياب صاحب «شخصية مصر»


د. جمال حمدان

ودعت الأوساط الفكرية والثقافية المصرية المفكر والمؤرخ الجغرافي **د. جمال حمدان،** الذي توفي حرقًا إثر حادث أليم تعرض له في منزله عن عمر يناهز ٦٥ عامًا.

وُلد د. حمدان في مدينة قليوب في ٤/٢/١٩٢٨م، وتخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) عام ١٩٤٨م، وتحصل على درجة الدكتوراه في الجغرافيا من جامعة ردينج البريطانية عام ١٩٥٣م برسالة موضوعها **«سكان وسط الدلتا: قديمًا وحديثًا»**، ومن المؤسف أن هذه الرسالة على أهمية موضوعها لم تترجم إلى اللغة العربية حتى اليوم.

مارس د. حمدان التدريس في الجامعة متدرجًا في مناصب العمل الأكاديمي إلى أن وصل إلى درجة أستاذ، حتى جاء عام ١٩٦٣م حيث لمس أن الجو العام صار غير مناسب للفكر فودع الجامعة مستقيلاً، وعاد إلى شقته الصغيرة التي لم تزد على حجرة واحدة وصالة قانعًا بمعاش ضئيل، متفرغًا للبحث والتأليف.

أنجز د. حمدان منذ عام ١٩٥٨م العديد من المؤلفات، إلا أن كتابه الموسوعي **«شخصية مصر»** طغى على كل مؤلفاته حتى لم يعد الناس يذكرونه إلا به، وينسون كتبه الأخرى، وقد فاز هذا الكتاب ـ الذي اقتطع من عمر صاحبه(صدر بين سنتي ١٩٧٥ و١٩٨٤م) عشر سنوات وطُبع في أربعة أجزاء تضم أربعة آلاف صفحة ـ **بجائزة معرض الكتاب المقدمة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام ١٩٨٨م.**

د. حمدان كان عضوا في: الجمعية الجغرافية المصرية، جمعية نيويورك الجغرافية، اللجنتين الأصلية والفرعية للمواد الاجتماعية في وزارة التربية والتعليم، وكرمته الدولة مرتين، الأولى عام ١٩٥٩م بمنحه جائزتها التشجيعية، والثانية عام ١٩٨٥م بمنحه جائزتها التقديرية.

وللفقيد العديد من المقالات والأبحاث الجغرافية المنشورة في مجلات علمية عربية وعالمية، فضلاً عن كتب كثيرة منها: **«دراسات في العالم العربي ــ أنماط البيئات»**، **«دراسة في جغرافيا المدن»**، **«المدينة العربية»**، **«القاهرة ـ مقدمة كتاب ديزموند ستيوارت، ترجمة يحيي حقي»**، **«نزول العرب»**، **«الاستعمار والتحرير في العالم العربي»**،

● «**التربية في مواجهة ظاهرة تفشي المخدرات**» موضوع محاضرة ألقاها في مدرسة عبد العزيز المانع الثانوية بالكويت د. **عبد العزيز المغيصيب.**

● «**الإشعاع الشمسي**» موضوع محاضرة ألقاها في كلية الهندسة بجامعة الملك سعود في الرياض د. **عبد العزيز المجاهد.**

● «**العقيدة أولاً**» عنوان محاضرة ألقاها في جمعية الشريعة بالكويت الشيخ **محمد الحمود.**

● «**مسألة الإبلاغ في الشعر المعاصر**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي د. **حمادي صمود.**

● «**رسالة إلى الشباب**» عنوان محاضرة ألقاها في بيت الشباب بالأحساء الشيخ **صالح محمد الحمودي.**

● «**نداءات إيمانية**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد البراء بن مالك في جدة الشيخ **أبو بكر الجزائري.**

● «**أضرار المعاصي**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد السفران بحي الجامعة في جدة الشيخ **عبد الله المحمدي.**

● «**حياة المهندس المعماري الفرنسي لوكور بوزيه**» موضوع أمسية ثقافية أقيمت في السفارة الفرنسية في الرياض. شارك فيها عدد من المعماريين ومهندسي الديكور.

● «**اتجاهات مميزة في التصوير بالبينالي الرابع**» عنوان ندوة أقيمت في مجمع الفنون بالزمالك في مصر، شارك فيها الفنانون: **أحمد فؤاد سليم ومحمد طه حسين ومصطفى الرزاز وكمال الجويلي.**

□□

الحركة الثقافية

«اليهود انثربولوجيا»، «استراتيجية الاستعمار والتحرير»، «العالم الإسلامي المعاصر»، «بين أوربا وآسيا»، «أفريقيا الجديدة»، «الجمهورية العربية الليبية»، و«٦ أكتوبر في الاستراتيجية». وقبيل وفاته كان الفقيد يضع اللمسات الأخيرة لموسوعة جغرافية العالم الإسلامي.

هيئة مكتبة القاهرة الكبرى

أنشأت وزارة الثقافة المصرية هيئة جديدة باسم **هيئة مكتبة القاهرة الكبرى**.

تشمل الهيئة التي تقع على نيل الزمالك **مكتبة** تجمع أهم المراجع عن القاهرة منذ العصر الفرعوني وإلى العصر الحديث باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية لتكون في متناول أيدي الباحثين والقراء، فضلاً عن مجموعة **ورش فنية** لتدريب الهواة في مجالات الكتابة الأدبية والقصة والشعر وتوجيههم على يد مجموعة ممتازة من النقاد والمبدعين.

كما تضم الهيئة **مسرح جيب، ونادياً للسينما التسجيلية، ومقهى ثقافيًّا، وإرشيفا للإبداع** يضم وثائق الكتّاب والفنانين والشعراء، سواء ما نشر منها في الصحافة أو ما أذيع عبر التلفاز والمذياع.

الإيسيسكو والأزهر يكرمان السيوطي

أقيمت في القاهرة ـ بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) وإدارة الأزهر ـ **ندوة علمية كبرى بمناسبة مرور خمسة قرون على وفاة العلامة جلال الدين السيوطي ٨٤٩ ـ ٩١١هـ (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م)** الذي فاقت مؤلفاته **سبعمائة مصنف في مختلف العلوم، أولها «شرح الاستعاذة والبسملة»** عام ٨٦٦هـ.

ناقشت الندوة خمسة محاور تشمل الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في العالم الإسلامي خلال القرن العاشر الهجري وأثرها في تكوين فكر السيوطي وثقافته ونتاجه، وأثر السيوطي في عصره وما بعده والمهتمين به وبآثاره.



جاد الحق علي جاد الحق



د. عبد العزيز التويجري

شارك في الندوة بأبحاثهم عدد كبير من العلماء والمفكرين يتقدمهم الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق** شيخ الجامع الأزهر، والدكتور **عبد العزيز التويجري** المدير العام للإيسيسكو.

وأصدرت عدة توصيات منها التأكيد على ضرورة اختيار الإيسيسكو مجموعة من المتخصصين تسند إليهم مهمة وضع قائمة دقيقة لمؤلفات **السيوطي** وفهرستها، مع توضيح المطبوع منها والمخطوط وأماكن طبعها ووجودها والاتصال بمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إستنبول لتيسير حصر مخطوطات السيوطي الموجودة فيه وتصويرها.

كما طالبت بوضع مختارات منتقاة من كتبه في المناهج الدراسية على مستوى المرحلة الثانوية، وتنظيم مسابقات ثقافية عنه وعن مؤلفاته، يشارك فيها طلاب الجامعات العربية والإسلامية، وإنتاج شريط تسجيلي عن حياته وبيئته وتراثه، وإطلاق اسمه على بعض القاعات في الجامعات والمراكز الإسلامية، مع ترجمة بعض كتبه إلى اللغات العالمية.

ندوة مصر والجزيرة العربية

نظمت **كلية الآداب بجامعة القاهرة** بالتعاون مع اتحاد المؤرخين العرب في منتصف شهر شوال الماضي ندوة بعنوان «**مصر والجزيرة العربية: الماضي والحاضر والمستقبل**».

شارك في الندوة مؤرخون وأكاديميون ومفكرون مصريون وعرب، قدموا خمسة وأربعين **بحثًا** تناولت العلاقات التاريخية بين مصر ودول شبه الجزيرة العربية حتى حملة محمد علي، والعلاقات الثقافية والاقتصادية كيف كانت وكيف ستكون في المستقبل، ودور مصر في الأمن القومي العربي، وغير ذلك من الموضوعات.

كتاب عن بيرم التونسي



بيرم التونسي

أصدرت وزارة الثقافة والهيئة العامة لقصور الثقافة كتابًا تذكاريًّا بعنوان «**بيرم التونسي في ذكراه المئوية**» في إطار الاحتفالات التي أقيمت بمدينة الإسكندرية، وتضمنت حلقة دارسية وأمسيات شعرية ومعرضًا لأعمال بيرم وما نشره في الصحف المصرية والتونسية وما نشر عنه.

وأكد **حسين مهران** رئيس هيئة قصور الثقافة في تقديمه لهذا الكتاب أن بيرم لم يكن مواطنا تونسيًّا أو مصريًّا، وإنما كان إنسانًا عربيًّا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ. وهو كل في واحد، فقد كان زجالاً لا يباري، وكاتبًا مسرحيًّا وروائيًّا من جيل المؤسسين، وكاتب مقامة من طراز متميز وكاتب أغنية أثّر في وجدان الشعر العربي كله من المحيط إلى الخليج. لكنه عاش مظلوما ومات دون أن يوفى حقه من التكريم.

ويجيء هذا الكتاب التذكاري محاولة لرد الاعتبار لبيرم من خلال مجموعة من الدراسات الجادة بأقلام نخبة من الأكاديميين والنقاد والأدباء، ومنهم: **الشاعر عبد العليم القباني، د. سعيدة رمضان، فرج العنتري، فؤاد قاعود، د. كمال نشأت، محمد أحمد توفيق، محمد السيد عيد، د. محمد حسن عبد الله، د. محمد زكريا عناني، د. مصطفى هدارة، د. نبيلة إبراهيم، د. يسري سلامة**.

وفاة الشاعر الناقد أنس داود

توفي ـ مؤخرًا ـ الشاعر الناقد **د. أنس داود** بعد معاناة من مرض خبيث.

وللفقيد إسهامات نقدية وشعرية متنوعة إضافة إلى نشاطه الأكاديمي، إذ إن له عدة دواوين شعرية، أشهرها ديوانه «**بقايا عبير**» ونحو اثنتي عشرة مسرحية شعرية منها «**بنت السلطان**» و«**مملكة الجهال**»، و«**محاكمة المتنبي**» إضافة إلى دراسات أدبية ونقدية مثل «**التجديد لدى شعراء المهجر**» و«**الأسطورة في الشعر العربي الحديث**»، و«**الرؤية الداخلية في الشعر الحديث**».

تأجيل مؤتمر الشعر العربي

قررت الهيئة العامة لقصور الثقافة **تأجيل مؤتمر الشعر العربي الأول** إلى الفترة من ١٦ إلى ٢٠ أكتوبر المقبل ١٩٩٣م.

ويذكر أن هذا هو التأجيل الثاني للمؤتمر الذي تتركز أبحاثه حول الشعر العربي المعاصر بين اختفاء المعنى وغموض الدراسة، وخصوصياته المحلية.

الأدب المقارن في ندوة دولية

تشارك جامعات مصرية وعربية وعالمية في النصف الثاني من شهر نوفمبر المقبل ١٩٩٣م في ندوة دولية، تنظمها جامعة عين شمس بالتعاون مع الجمعية المصرية للأدب المقارن تحت عنوان **«الأدب المقارن في عالم متغير»**.

تناقش الندوة **ثلاثة محاور رئيسة** هي: الدراسات اللغوية والأدب المقارن، والقضايا المعاصرة للأدب المقارن، والترجمة في سياق التبادل الثقافي.

وقد تقرر أن تكون لغات التحاور في الندوة هي: **العربية والفرنسية والإنجليزية**.

مجلة مسرحية جديدة

بعد أن أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب مجلة «**المسرح**» التي يرأس تحريرها الدكتور **محمد عناني**، أصدرت **نقابة المهن التمثيلية** مؤخرًا العدد الأول من مجلة (**تياترو ٩٣**) ويرأس تحريرها الكاتب والناقد المسرحي نبيل بدران رئيس قسم المسرح بمجلة آخر ساعة.

يضم العدد الأول من المجلة مسرحية منسية للكاتب السويسري **فردريش دورينمات لأول مرة** بعنوان **(الرجل الذي أنقذوه)** ترجمة الدكتور **يسرى خميس**، ومسرحية سودانية بعنوان **«نافخ البوق»** تأليف **الطيب المهدي محمد الخير**، بالإضافة إلى ملف عن مستقبل المسرح المصري: اشترك فيه: **د. علي الراعي، ألفريد فرج، فؤاد دواره، سعد أردش، وفريدة النقاش**. كما تضمن العدد دراسات عن **المسرح في الجزائر، وستانسلافسكي في مصر**.

كتب جديدة

● **إغلاق النوافذ**، تأليف **إبراهيم عبد المجيد**. صدرت ضمن سلسلة «مختارات فصول».

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **الإصلاح والتجديد التربوي في العصر الحديث**، تأليف د. **محمد منير مرسي**. صدر عن دار عالم الكتب في القاهرة.

● **تكنولوجيا الفضاء**، إعداد د. **أحمد أنور زهران**، صدر عن أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

● **أيام العجب والموت**، ديوان جديد **لفؤاد حداد**، صدر عن المركز المصري العربي.

● **التربية السياسية**، تأليف **عبد المنعم المشاط**.

● **الطريق إلى الفضيلة**، تأليف **لوتسو**، ترجمة **علاء الديب**.

● **متاهة الوحدة**، تأليف **أوكتافيو باث**، ترجمة د. **نادية جمال الدين**.

● **مناهج التعليم في الوطن العربي بين الجمود والتجديد**، تأليف د. **فايز مراد مينا**.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع في القاهرة.



خالد محمد خالد

● **معًا على الطريق: محمد والمسيح**، طبعة جديدة، تأليف **خالد محمد خالد**، صدر ضمن «كتاب اليوم» عن مؤسسة أخبار اليوم.

● **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تأليف أندريه ريمون، ترجمة **لطيف فرج**، صدر عن دار فكر بالقاهرة.

● **التاريخ السري للبنك الدولي**، تأليف د. **زكي العايدي**، ترجمة عن اللغة الفرنسية د. **رمزي زكي**.

● **وصف البلبل**. رواية لسلوى يكن.

● **الجذور الإسلامية للرأسمالية**، تأليف **بيتر جران**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار نشر سينا في القاهرة.

● **هندسة المستقبل**، تأليف **أحمد شوقي**، صدر ضمن سلسلة «مستقبل بعيون علمية» عن المكتبة الأكاديمية في القاهرة.

● **مصطفى النحاس: دراسة في الزعامة السياسية المصرية**، تأليف د. **علاء الحديدي**. صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال».

● **سراج**، رواية د. **رضوى عاشور**، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال».

صدر الكتابان السابقان عن مؤسسة دار الهلال في القاهرة.

● **سياسة ملء البطون: سوسيولوجية الدولة في أفريقيا**، تأليف **جان فرانسوا بايار**، ترجمة **حليم طوسون**، صدر عن دار العالم الثالث في القاهرة.

● **الكتاب المقدس في الميزان**، تأليف **عبد السلام محمد**، يرد فيه الكاتب بالأدلة على كتاب لمؤلف نصراني، صدر عن دار الوفاء في القاهرة.



د. طه وادي

● **الشعر والشعراء المجهولون**، دراسة نقدية للدكتور **طه وادي**.

● **رسالة إلى أي شاب**، للصحافي **صلاح منتصر**.

صدر الكتابان السابقان عن دار المعارف في القاهرة.

● **الموسوعة الجديدة للفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، إعداد د. **عبد المنعم الحفني**، صدرت عن دار الرشاد.

● **فاصلة إيقاعات النمل**، ديوان للشاعرة **زينب محمد عفيفي مطر**، صدر عن دار شرقيات.

● **صمت الوقت**، قصائد لمجموعة من شعراء محافظة قنا، صدرت عن مركز الفكر العربي للدراسات والنشر.

● **الحركة الإسلامية في الجزائر وأزمة الديموقراطية**، تأليف **إبراهيم البيومي غانم**، صدر عن أمة برس للإعلام والنشر في القاهرة.

فلسطين — مجلة ثقافية فصلية

اختار اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة «**الكلمة**» اسمًا لمجلته الثقافية الفصلية الجديدة.

الحركة الثقافية

تهتم المجلة بتشجيع الأدب المحلي وتنمية الوعي النقدي، ولا تغفل الاهتمام بالتراث ومحاولة ربطه بالحاضر مع الانفتاح الواعي على الأدبين العربي والعالمي. كما تولي اهتمامًا بالدراسات الأدبية والنقدية. ويرأس تحريرها **عزت الغزاوي**.

لبنان — وفاة عاصي وباسيلا


ميشال عاصي

نعت الأوساط الثقافية والفكرية اللبنانية الأديب الناقد **ميشال عاصي** والكاتب والصحافي المحامي **جوزف باسيلا** اللذين غيبهما الموت مؤخرًا في بيروت.

وكان **عاصي** أحد أبرز وجوه النقد والأدب والفكر في لبنان، حيث بدأ نجمه يلمع منذ منتصف الستينيات الميلادية، حيث عرف كاتبا ومترجما وناقدا غزير الإنتاج، ومن أبرز مؤلفاته:

«الفن والأدب»، «أجمل الموشحات»، «الشعر والبيئة في الأندلس»، «دراسات منهجية في النقد»، «مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ»، «أوراق من باريس»، «في النقد الأدبي»، ومن تراجمه: **«الجمالية عبر العصور»، «كلوديل بقلمه»، «دراسات لغوية»، «جمالية النزعة الفوضوية» و«تطور الحاجات الجمالية عبر العصور»**، وقبيل وفاته بأيام كان قد انتهى من كتابة **«المذكرات»** كما كان له تحت الطبع **«مفاهيم الجمالية في النقد العربي»، «الجاحظ رائد الفكر العربي» و«أيام الأدب والشعر في زحلة»**.

أما **جوزيف باسيلا** الذي توفي عن ٧٤ عامًا فينتمي إلى جيل مجلة **«الحكمة»**، وعرف بمقالاته في مجلة **«المكشوف»**، وله العديد من المقالات إضافة إلى كتابين هما: **«المواطن والدولة» و«نوافذ على الشرق»**.

مجلة «آراب آد» تعود

بعد غياب استمر نحو ثلاثة أعوام، عادت مجلة **«آراب آد»** التي تعنى بالأعمال والإعلام وأجهزته وقطاع الإعلانات إلى الصدور في بيروت.

يصدر المجلة الناشر **وليد قزي**، ويرأس تحريرها **حنا عنبر**.

تونس — مجمع ثقافي باسم الشابي


أبو القاسم الشابي

يجري حاليًا في مدينة توزر مسقط رأس الشاعر **«أبو القاسم الشابي» بناء مجمع ثقافي كبير يحمل اسمه** ويتكلف نحو مليون دولار.

وكان الرئيس التونسي **زين العابدين بن علي** قد أمر بإنشاء هذا المجمع أثناء زيارته للمدينة قبل نحو نصف عام، حيث تقرر أن يفتتح في أكتوبر ١٩٩٤م الذي يوافق ذكرى مرور ستين عامًا على رحيل الشابي، ويعد لأن يقام في هذه المناسبة أيضا

رسائل جامعية

● **«أثر الاختلاف في فروع الشريعة على الثقافة الإسلامية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **أحمد بن محمد عمر الأنصاري**.

● **«آراء ابن الجوزي التربوية: دراسة وتحليلاً ومقارنة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدمت بها **ليلى عبد الرحيم عطار**.

● **«رسالة عبد الغني المقدسي»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **محيي الدين باه**.

● **«الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ العهد النبوي»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **مصطفى الحاج مالك يوكاري**.

● **«الإعدام عقوبة وتنفيذ: دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدمت بها **فتحية طاهر عوض الله**.

● **«الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي - الأول الهجري: دراسة في التطورات والتغيرات»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود في الرياض تقدمت بها **عائشة أبو الجدايل**.

● **«مسائل الإمام أحمد الفقهية المنصوصة عنه في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى في العبادات دراسة وترتيبًا»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عائض فدغوش الشدادي**.

● **«شرح المفضليات لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١هـ: تحقيق ودراسة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها **عبد الله ناصر القرني**.

● «الأداء العابر لمولد الممانعة المغناطيسية» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها: **أنس محمد لطفي الصباغ**.

● **«الحرب الإيطالية في الحبشة»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، تقدم بها **علي عمر جابر**.

المهرجان الأول للشعراء العرب المعاصرين، بحيث يلتقي فيه بشكل دوري كل ثلاث سنوات كبار الشعراء من مختلف أنحاء الوطن العربي.

معرض دولي للكتاب

شاركت دور نشر من ٢٢ بلدًا عربيًّا وأجنبيًّا في **معرض تونس الدولي الثاني عشر للكتاب** الذي اختتم في الثاني من شهر مايو الجاري ١٩٩٣م.

ضم المعرض **٤٥ ألفًا و٣٧٨ عنوانًا** في مختلف فنون المعرفة باللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الأسبانية، الإيطالية، الألمانية، وأقيمت على هامشه ندوات فكرية وأمسيات شعرية وجلسات علمية شارك فيها مجموعة من الأدباء والمفكرين العرب.

سورية — كشف أثري

اكتشف في منطقة جبل الزاوية في محافظة أدلب مدفنان **يعود أولهما إلى السنة الأولى الميلادية والثاني إلى الفترة من ٢٠ إلى ٢٥م**.

ويسمى المدفن الأولى «دوار الشمس» وهو مدفن عائلي محفور بالصخر تحت الأرض، يتألف من ردهة واسعة على جانبيها خمس غرف متقابلة، تحتوي كل منها على سبعة عشر قبرًا.

ويرجع المدفن الثاني لكاهن عظيم، ويستمد أهميته من وجود مجموعة تماثيل منقوشة على مدخله.

كتب جديدة

● **الحروب الصليبية هل انتهت؟**، تأليف **عبد الوهاب زيتون**، صدر عن دار المعرفة بدمشق.

● **القصيدة لا الشعر**، تأليف **دريد الخواجة**، صدر عن دار المعارف في حمص.

● **موسوعة كُتّاب فلسطين في القرن العشرين**، تأليف **أحمد عمر شاهين**، صدر عن دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية في دمشق.

● **لغة الشعر عند سميح القاسم**، تأليف **جمال يونس**، صدر عن مؤسسة النوري في دمشق.

● مجمع **الزوائد ومنبع الفوائد**، **للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي**، تحقيق **حسين سليم أسد الداراني**، صدر عن دار المأمون للتراث في دمشق.

● **قياديون بلا عقائد**، رواية جديدة **لوليد مدفعي**، صدرت عن دار عواد للنشر في دمشق.

● **تل خويرة**، تأليف **فينفرد أورثمان** وآخرين، صدر عن دار الأبجدية في دمشق.

● **فلسفة القرآن**، تأليف **وليد مدفعي**، صدر عن دار المختار للطباعة.

المغرب — مؤتمر علمي لمؤسسة الملك عبد العزيز

حددت مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء يوم الرابع والعشرين من شهر محرم ١٤١٤هـ (١٤/٧/١٩٩٣م) موعدًا نهائيًّا لتلقي البحوث المشاركة في **المؤتمر العلمي العالمي الثاني**، الذي تنظمه تحت عنوان **«اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة»**.

تحددت الموضوعات البحثية للمؤتمر كالتالي:

التحليل الصرفي والتركيبي والدلالي والتداولي، والتركيب الصوتي والنصي، والترجمة الآلية بواسطة الحاسب الآلي، والتعرف على الحرف «أو. سي. آر»

● **«رابطة العالم الإسلامي ودورها في دعم الأقليات الإسلامية في شرق أوروبا»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات، الأقسام الأدبية في الرياض، تقدمت بها **هيا عبد المحسن أبابطين**.

● **الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ودوره في العلاقات الخارجية لبلاده ١٣٤٣ ـ ١٣٩٥هـ ١٩٢٤ ـ ١٩٧٥م»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق، تقدم بها **عبد الحكيم أبو طايل الطحاوي**.

● **«محددات اختيار قطاع العمل لخريجي الأقسام النظرية في الجامعات السعودية: دراسة ميدانية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **عبد المحسن بن أحمد العصيمي**.

● **«الفكر السياسي عند سارتر وعلاقته بالثورة الجزائرية»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، تقدم بها **طالب منّاد**.

● **«العلاقة التأثرية بين تيمور وموباسان»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، تقدم بها **عبد القادر بوزيدة**.

● **«المشروع الحضاري عند محمد عابد الجابري»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، تقدم بها **عبد العزيز بن يوسف**.

● **«الصورة البصرية في شعر العميان دراسة فنية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض تقدم بها **عبد الله بن أحمد علي الفيفي**.

● **«الاتصال الثقافي بين مجتمع القرية والمراكز الحضرية»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها **سامية علي حسنين**.

● **«مشروعات الوحدة العربية في المشرق العربي»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **ناصر محمد الجهيمي**.

● **«الراويات من الصحابيات ودورهن في حمل الحديث وأدائه»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بالدمام تقدمت بها **انتصار إبراهيم العمر**.

● **«أسماء الله الحسنى»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن صالح الغصن**.

□ □

الحركة الثقافية

والمعجمية الآليـة والـواجهـات، على أن تكـون البحوث جديـدة لم يسبق نشرهـا، ومطبوعـة على الآلة الكـاتبة فيها لا يزيـد على عشرين صفحة كل صفحة ثـلاثمائة كلمة، وبإحدى اللغـات الثلاث : العربية والفرنسية والإنجليزية.

وينتظر أن يتم البت في النصـوص المقبولة قبل يوم ٢٨/ ٣/ ١٤١٤هـ (١٥/ ٩/ ١٩٩٣م).

الحضارة الإسلامية في أشرطة وثائقية

تقوم المنظمة الإسلامية للثقافة والتربية والعلوم (إسيسكو) حـاليا بتصـوير أفـلام وأشرطة وثـائقية لإبراز المظـاهر التطـورية في الحضـارة الإسلاميـة. وبدأت بتصوير أولها في غينيا على أن يتبع بتصوير أفلام أخرى في العديد من الدول الإسلامية.

ويذكـر أن الإسيسكو سبق أن أنتجـت تسعة أفلام وثائقية ناطقة بالعربية والإنجليزية والفرنسية عالجت عـدة قضايا إسـلامية من أهمهـا : تاريخ العلـــوم عنـــد المسلمين (١٩٨٨م)، فن العمارة الإسلامية (١٩٨٨م)، المخـدرات.. هروب نحو الجحيم (١٩٩٠م)، الشبـاب بين الاستقـــامـــة والانحــراف (١٩٩١م)، والفنـــون التشكيليـــة الإسلامية (١٩٩٢م).

مجلة جديدة

انضمت إلى ركب الصحافـة المغربية النـاطقة بالفرنسية مجلة جديدة تحت اسم «**الوسيط**».

تتميـز المجلة التي تصـدر شهريًّـا في الربـاط بـــانفتــاحهـــا على مختلف الآراء والاتجاهـــات الاجتماعية.

كتب جديدة

● **الحقيبـــة والصقيع**، تأليف الـــزبير بن بوشتي، صـدر عن وزارة الثقـافـة المغـربيـة ودار المناهل في الرباط.

● **عـلاقـة الشمال بـالجنـوب بعـد المرحلـة الاستعـمـارية**، تأليـف د. **محمد مهدي المنجرة**، صدر بـالفرنسيـة عن دار طوبقال للنشر والتوزيع.

● **ثعلب أصيلـة** رواية **لأحمد عبـد السـلام البقالي**، صدرت في الرباط.

الجزائر — كتب جديدة

● **مقاربة جديدة لقواعد العربية**، تأليف **عيد نصر الدين**.

● كيف تحسب تكاليـف الإنتاج؟، تأليف **عبد الكريم توجين**.

● **النظام السيـاسي الجزائري**، تأليف **محمد الطاهر بن سعدة**.

● **الجزائر في التاريخ القديم**، تأليف **محفوظ قداش**.

● **الخلافة الإسلامية**، تأليف **أبو بكر رحال**.

● **رجـال كل دولـة.. رجـال الحرب**، سيرة لبعض الشخصيـات الإسـلاميـة، إعـداد **عمـر دهينة**.

صدرت الكتب الستة السابقة باللغة الفرنسية عن المؤسسة الوطنية للكتاب.

● **المقـدمات الأسـاسيـة في القـانون الـدولي الجنائي**، تأليف د. **عبد الله سليمان**.

● **فكرة العليـة في فلسفة أبي حامـد الغزالي**، تأليف د. **علي زكي**.

● **الأوضاع الاقتصاديـة والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القـرنين الثالث والـرابع الهجريين**، تأليف د. **جودت عبد الكريم يوسف**.

● **محمد العيد آل خليفة**، تأليف د. **محمد بن سمينة**.

صـدرت الكتب الأربعـة السابقـة عن ديـوان المطبوعات الجامعية في مدينة الجزائر.

ليبيا — كتب جديدة

● **قلب بحجم الـوطن**، مجمـوعـة نصـوص أدبية تأليف **خليل إبراهيم حسونة**.

● **السرقـة والــرشـوة في تـاريخ المخــابـرات الإسرائيلية**، تأليف **يوسي ميلمان ودان رافين**، ترجمة **عبـد الـوهـاب الـزنتـاني**، ومـراجعـة د. **صبحي قنوص**.

صدر الكتابان السـابقان عن الدار الجماهيرية للنشر في مصراته.

البوسنة والهرسك — صحيفة بوسنية في طبعة أوربية

أصدرت **صحيفة وسلوبودنح** كبرى الصحف اليوميـة في سراييفو أول عـدد من طبعتهـا الأوربية الأسبـوعيـة، لتكـون همزة الـوصل بين المواطنين البوسنيين المشتتين، ووسيلة دعم مـادي في الوقت نفسه لموارد الجريدة.

ومن المنتظر أن تـوزع هذه الطبعـة الأوربية في كل من ألمانيا وفرنسا والنمسـا وسويسرا والسـويد وبريطانيا وكرواتيا وسلوفينيا.

تركيا — ملتقى التســـامح بين الثقـــافـــات

شارك **أربعون باحثًا وأكاديميًّا عربيًّا وأوربيًّا** في ملتقى أقيم مـــؤخـرًا في استنبـــول تحت شعـــار «**التسامح بين الثقافات**».

نظمت الملتقى **الجامعة الأوربية العربية** خلال انعقـاد دورتها التـاسعة في استنبـول بـالتعـاون مع **جامعة مرمرة** التركية.

معرض الفنان الإسلامي

تنظم منظمة العواصم والمدن الإسلامية خلال مؤتمرهـا العام السابـع المقرر عقده في أنقـرة خلال شهر محرم ١٤١٤هـ، معرضًـا فنيًّا تشكيليًّا يشارك فيـه مجمـوعة كبيرة من الفنـانين العـرب والمسلمين تحت عنوان «**معرض الفنان الإسلامي**».

يفتتح المعـرض في السـابع عشر من الشهـــر نفسـه، ويـــركـز على الأعمال الفنيـة الإسلاميـة والتراثية، ويتجـول بعد أنقرة في عـدد من عواصم أوربا.

الهنـد — وفاة عالم ومفكر مسلم

فقـدت الحركة الفكـرية والإسـلامية في الهنـد

علمًا من أعلامها بوفاة الشيخ **مالك رام** أحد كبار العلماء والمفكرين المسلمين عن عمر يناهز ٨٧ عامًا.

وكان الفقيد يعد مرجعًا في الدراسات الإسلامية، ويجيد بطلاقة اللغات: الأوربية والعربية والفارسية والإنجليزية، وألف وترجم أكثر من ثلاثين كتابًا، ولعل من أبرز أعماله **ترجمته القرآن الكريم إلى اللغة الأوردية**.

بريطانيا: مركز للوثائق والأبحاث والنشر

افتتح في لندن ـ مؤخرًا ـ أحدث مركز متخصص في مجال البحث والدراسة للإصدارات التي تعتمد على الوثائق التاريخية الدولية غير المنشورة، تحت مسمى «**مركز لندن للوثائق والأبحاث والنشر**».

وقال مديره الدكتور **وليد حمدي الأعظمي** إن المركز هو مركز علمي مستقل يرمي إلى تقديم دراسات علمية للصراعات والتطورات الدائرة والمؤثرة على المنطقة العربية والشرق الأوسط.

ويعتزم المركز إصدار **نشرة توثيقية شهرية** تتناول التاريخ الدبلوماسي للدول العربية في إطار علاقتها على المستوى الدولي والإقليمي والمحلي.

كتاب عن الملك عبد العزيز آل سعود

أصدرت دار نشر ماكميلان اللندنية كتابًا بعنوان «**ابن سعود: مؤسس مملكة**» في ثلاثة أجزاء.

ويتناول مؤلف الكتاب المستعرب **ليزلي ماكلوفن** بالدرس جوانب شخصية **الملك عبد العزيز آل سعود** يرحمه الله، مقدمًا تحليلاً شاملاً لجوانبها، ومؤكدًا على أن القائد الراحل قد ظلمته الموسوعات الأجنبية حين لم تتناوله بما يتناسب مع ما قدمه للتاريخ، وما صنعه لعصره.

جسور

هذا هو اسم أحدث مجلة فصلية ثقافية صدر عددها الأول ـ مؤخرًا ـ في لندن حاملاً عنوان «**الحرب والثقافة**».

تصدر المجلة عن **دار كتاب** في لندن ويرأس تحريرها **منير العكش**.

جائزة المجلس البريطاني لكاتب ترينيدادي

منحت **جائزة المجلس البريطاني** الأدبية للكاتب ف. س. **ينبول** من جمهورية ترينيداد عن مجمل أعماله الأدبية.

وتعد الجائزة التي تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه إسترليني أعلى قيمة لجائزة أدبية بريطانية.

فرنسا: مؤتمر للشباب المسلم

استضافت مينيسيو إحدى ضواحي مدينة ليون في شهر أبريل الماضي **المؤتمر الثاني للشباب المسلم في فرنسا**، الذي دعت إليه **جمعية وحدة الشباب الإسلامي** وعُقد تحت شعار «**الإسلام في فرنسا: الأمس واليوم وغدًا**»، وتناولته معظم وسائل الإعلام الفرنسية.

شارك في المؤتمر ثلاثة آلاف شاب وشابة من الشباب المسلم، إضافة إلى نخبة من المثقفين الفرنسيين، وبدأ بمائدة مستديرة ناقشت موضوع: «ماذا ترك الإسلام من تراث علمي وروحي للإنسانية؟». وانتهى النقاش الذي شارك فيه دارسون فرنسيون إلى التأكيد على أن الحضارة الإسلامية هي الأب الشرعي للعلوم الحديثة.

وألقيت على هامش المؤتمر عدة محاضرات تناولت مشكلات الشباب المسلم والأولويات المطلوب أن يضعها في الاعتبار، كما عقدت حلقات ناقشت أوضاع الجالية المسلمة وكيفية النهوض بها وتحديد أولويات العمل الإسلامي، وطالب المؤتمرون بإنشاء مركز إسلامي في ليون، وشكلوا لجنة لإغاثة مسلمي البوسنة والهرسك وفلسطين.

النرويج: مخطوطات أثرية بخط يوليوس قيصر

اكتشفت في مدينة هيركيلانوم النرويجية مجموعة نادرة من **المخطوطات** ترجع إلى عهد **يوليوس قيصر**، بعضها مكتوب بخطه شخصيًا على ورق بردي.

ويعتزم العلماء نقل هذه المخطوطات إلى إيطاليا لدراستها بشكل دقيق.

النمسا: مهرجان ثقافي خليجي

يقام في الفترة من ١٥ إلى ٢٤ من ربيع الأول ١٤١٤هـ (١ ـ ١٠ سبتمبر ١٩٩٣م) **المهرجان الثقافي الثاني لدول مجلس التعاون الخليجي**.

يتضمن المهرجان نشاطات ثقافية مختلفة لدول المجلس الست تبرز التراث والتطور القائم فيها إلى جانب نشاطات فنية تتضمن معرضًا للفنون التشكيلية.

ألمانيا: جونجر يفوز بجائزة شوبان

منحت **جائزة روبرت شوبان** الأدبية للكاتب الألماني **أرنست جونجر** (٩٧ عامًا) عن مجمل أعماله.

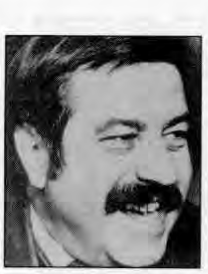
ويذكر أن الجائزة تمنح كل عامين منذ عام ١٩٦٦م وقيمتها ٥٠ ألف مارك، وتهدف إلى تخليد ذكرى الموسيقي الألماني الشهير **روبرت شوبان** (١٨١٠ ـ ١٨٥٦م).

هولندا: مهرجان ثقافي عربي

نظمت **جمعية الهجرة العربية** في أمستردام مهرجانها السنوي في النصف الثاني من شهر أبريل الماضي ١٩٩٣م.

شارك في المهرجان أدباء ومفكرون من **ستة أقطار عربية** إضافة إلى أدباء هولنديين.

إسبانيا: جائزة الغجر لجونتر جراس


جونتر جراس

منحت الرابطة الوطنية لوجود الغجر ـ وهي إحدى المجموعات المدافعة عن حقوق الغجر في إسبانيا ـ جائزتها المسماة «**صيد الجو**» للكاتب الألماني **جونتر جراس** تقديرًا لجهوده في الدفاع عن حقوق الأقليات في كل مكان.

الحركة الثقافية

ويعد جراس (٦٦ عاما) من أشهر روائيي ألمانيا وكتّابها المسرحيين، ومن أعماله: **«سنوات الكلب»**، **«من مذكرة إنسان كسول»**، **«طبلة من صفيح»**، و**«قط وفأر»**.

الولايات المتحدة

جوائز بوليتزر للصحافة

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز بوليتزر لعام ١٩٩٣م.

فاز **بجائزة الصحافة للتقارير الدولية جون برنز** من صحيفة **«نيويورك تايمز»** **وروي جدتمان** من صحيفة **«نيوز راي»**؛ لتقاريرهما الشجاعة والجريئة للفظائع الوحشية التي ارتكبها الصرب في البوسنة والهرسك.

وفازت صحيفة **«واشنطن بوست»** بثلاث جوائز، وحصلت صحيفة **«ميامي هيرالد»** على ميدالية الخدمة العامة لتقاريرها حول «إعصار أندرو»، وصحيفة **«لوس أنجلوس تايمز»** على جائزة التغطية الإخبارية الفورية والمتوازنة والمتعمقة لأحداث الشغب في لوس أنجلوس.

وحصل **ديفيد مارانيس (صحيفة واشنطن بوست)** على **جائزة التغطية المحلية وجورج لارندنر (من واشنطن بوست أيضا)** على **جائزة كتابة التحقيقات، ومايكل ديردا (واشنطن بوست)** على **جائزة النقد**.

وكان عشرة مصورين من وكالة الأسوشيتدبرس قد فازوا بجوائز التحقيقات الصحافية لصورهم عن حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية.

ويذكر أن جائزة كتابة الافتتاحيات قد حُجبتْ للمرة السابعة خلال ٧٧ عامًا.

الأمريكي يشاهد التلفاز ٩ أسابيع ويقرأ ٤ أيام

قالت دراسة نشرت - مؤخرا - إن المواطن الأمريكي يقرأ الكتب بمعدل أربعة أيام سنويًا، وأسبوعًا بالنسبة للصحف. فيما ينفق ٩ أسابيع سنويًا في مشاهدة التلفاز، ومثلها في الاستماع إلى المذياع، ويقضي يومين في مشاهدة أشرطة الفيديو، وتسعة أيام في الاستماع إلى أسطوانات الموسيقى أو شرائط الكاسيت، وتسع ساعات في السينما.

وتوقعت الدراسة أن تشهد صناعة وسائل الاتصال والإعلام نموًا واسعًا خلال العام الميلادي الحالي.

وفاة والاس ستيجنر

توفي الكاتب الأمريكي **والاس ستيجنر** متأثرًا بإصابته الناجمة عن حادث سير عن عمر يناهز ٨٤ عامًا.

ويعد ستيجنر أشهر روائيي أمريكا، وقد سبق أن نال **جائزة بوليتزر عام ١٩٧٢م** عن روايته **«حجر الزاوية»** وله **نحو عشرين رواية** يحتفل معظمها برواد الغرب الأمريكي.

متحف همنجواي

تقرر تحويل منزل الروائي الأمريكي الراحل إرنست همنجواي (١٨٩٩ ــ ١٩٦١م) في إحدى ضواحي ولاية شيكاغو إلى متحف يحمل اسمه.



همنجواي

وكان قد سبق تحويل منزل همنجواي في العاصمة الكوبية هافانا إلى متحف أيضا.

المكسيك

شعراء أمريكا اللاتينية في لقائهم السابع

استضافت العاصمة المكسيكية ـ مؤخرًا ـ أعمال **اللقاء السابع لشعراء بلدان أمريكا اللاتينية**.

شارك في اللقاء **٢٤ شاعرًا ينتمون إلى ١٣ بلدًا**، وكان الموضوع الرئيس هو: **«الشعر أمام خطاب النظام العالمي الجديد»**.

أشرفت على تنظيم اللقاء جامعة المكسيك الوطنية المستقلة بالتعاون مع المعهد الوطني للفنون الجميلة وعدة مؤسسات ثقافية أخرى.

ويذكر أن هذا اللقاء يعقد دوريًّا كل عام في إحدى المدن المكسيكية ويستقطب الشعراء الناطقين باللغتين الإسبانية والبرتغالية، وبدأ ينضم إليه شعراء غير ناطقين بهاتين اللغتين.

كوريا الجنوبية

مؤتمر دولي للفنون التشكيلية

استضافت سيؤول ـ مؤخرا ـ **مؤتمر الاتحاد العالمي للفنون التشكيلية** التابع لمنظمة اليونسكو العالمية.

شارك في المؤتمر وفود تمثل **٨٢ دولة** من مختلف القارات، وصاحبه معرض عام لأعمال رؤساء وأعضائها الوفود المشاركة، وقد ناقش المؤتمرون على مدى خمسة أيام العديد من الموضوعات المتعلقة بالفنون التشكيلية.

روسيا

وفاة مستشرق

أعلن في موسكو عن وفاة المستشرق والكاتب الروسي المعروف **إيجور بيلياييف**، أحد أكبر المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط.

وبيلياييف أحد مؤسسي لجنة معاداة الصهيونية التي قامت بدور كبير من أجل تحييد التطرف اليهودي.

وقد عمل مراسلاً صحافيا في عدد من البلدان العربية، وشارك **يفجيني بريماكوف** الرئيسي الحالي لجهاز المخابرات الخارجية الروسية في تأليف كتاب عن مصر في عهد الرئيس الأسبق **جمال عبد الناصر**، كما كتب في عدة صحف عربي.

هندوراس

وفاة سواريس

توفيت كاتبة هندوراس الأولى **كليمنتينا سواريس**، إثر هجوم تعرضت له في الرواق الفني الذي تمتلكه في مدينة تيكوسيكالبا.

وتعد **سواريس** من أشهر كاتبات أمريكا اللاتينية، وهي شاعرة مبدعة، كثيرًا ما قورنت بالشاعرة التشيلية **جابريلا ميسترال** والأخيرة أول سيدة تحصل على جائزة نوبل للآداب الناطقة بالأسبانية.

ملتقى عن التراث الفكري الإسلامي

مدريد ـ مراسل «الفيصل» :

يقيم المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد في أنقرة من ٢٨ إلى ٣٠ مايو ١٩٩٣م ملتقى عن التراث الفكري الإسلامي والدراسات الأندلسية والعربية الإسبانية الحديثة في إسبانيا خلال الفترات السابقة، وذلك بالتعاون مع جامعة مدريد المركزية، ومعهد التعاون مع العالم العربي، ووزارة الثقافة الإسبانية.

يتضمن الملتقى إحدى عشرة جلسة، تناقش أولاها موضوع «**علم الآثار والبلدان**» ويرأسها المستشرق الدكتور **خوسيه ماريا فورنيس** ويشترك فيها الدكاترة : **السيد عبد العزيز سالم، وخواكين بالبيه**. وتدور الجلسة الثانية في اليوم الأول حول (**الدراسات العربية والأوربية، دراسات فلسفية**) ويرأسها المستشرق الدكتور **بدرو مارتنيث مونتابث**، ويشترك فيها المستعرب الدكتور **ميخيل كروث هرناندیث**، والعالم المصري الدكتور **محمود علي مكي** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وموضوع الجلسة الثالثة في اليوم الأول هو (**دراسات حديثة وأدب شعبي**) وترأسها الدكتورة **ماريا خيسوس فيجيرا**، ويشترك فيها الدكتور **أحمد علي مرسي**، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة والمدير السابق للمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، والدكتور **سيرافيم فانخول**.

وفي حين تخصص الجلسة الأولى من اليوم الثاني لموضوع (**دراسات عربية ودراسات أندلسية**) ويرأسها الدكتور **الطاهر أحمد مكي**، ويشترك فيها الدكتور **حسين مؤنس**، والمستعرب الدكتور **اميليو جارثيا جوميث**، تدور الجلسة الثانية من اليوم الثاني حول (**الدراسات الأدبية العربية والأندلسية**) ويرأسها الدكتور **حسنين ربيع** عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ،ويشترك فيها الدكتور **أحمد عبد المقصود هيكل** وزير الثقافة المصري السابق والأستاذ بكلية دار العلوم، والمستعرب الدكتور **بدرو مارتينث مونتابث**.

ويرأس الجلسة الثالثة وموضوعها (**دراسات نقدية أدبية عربية وإسبانية**) المستعرب الدكتور **خوسيه باثكيث**، ويشترك فيها الدكتور **صلاح فضل** الأستاذ بجامعة البحرين والمدير الأسبق للمعهد، والمستعربة الدكتورة **ماريا خيسوس فيجيرا**، والمستعربة **كارمن رويث برابوبيا سانتي**.

وموضوع الجلسة الرابعة في اليوم الثاني نفسه هو (**دراسات لغوية**) ويرأسها الدكتور **محمود فهمي حجازي** وكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة، ويشترك فيها الدكتور **محمود علي مكي**، والدكتور **فدريكو كورينتي** صاحب القاموس الإسباني العربي الشهير.

وحول (**إشكالية الترجمة**) تدور الجلسة الخامسة في اليوم الثاني ويرأسها المستعرب **فدريكو كورينتي**، ويشترك فيها المستعرب **خوسيه ماريا فورنياس**، والدكتور **الطاهر أحمد مكي**، والدكتور **محمود صبح**، والدكتور **محمود السيد علي** رئيس قسم اللغة الإسبانية بجامعة القاهرة.

أما الجلسة الأولى في اليوم الثالث والأخير فيرأسها المستعرب **البارو جاليمس فونتيس**، ويشترك فيها **ميكائيل إيبالثا**، والدكتور **أنطونيو بسبرتيتو**، والدكتور جمال **محمد عبد الكريم** مدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية.

وتخصص الجلسة الثانية لمناقشة موضوع (**دراسات تاريخية**) ويرأسها الدكتور **عبد العزيز السيد سالم** ويشترك فيها الدكتور **أحمد مختار العبادي**، والدكتور **فرناندو دي لاجرانخا سانتا ماريا**.

وموضوع الجلسة الثالثة هو (**نصوص عربية إسبانية**) ويرأسها المستعرب الدكتور **خوسيه بوتش** ويشترك فيها **الدكتور سيد حنفي حسانين**، والمستعرب **براوليو خوستيل**، والمستعرب **خوسيه باسكث**.

اليابان ▼ ملكات مصر الفرعونية يطفن اليابان

تستضيف اليابان في مطلع العام الميلادي المقبل معرضًا للآثار المصرية الفرعونية تحت عنوان «**ملكات مصر**».

ينتظر أن يطوف المعرض في خمس مدن يابانية، ويضم **ثنتين وسبعين قطعة** تعبر عن المرأة المصرية في التاريخ القديم : ملكة وكاهنة.

الصين ▼ معرض لمقتنيات أباطرة الصين

تعتزم الصين إقامة معرض في متحف الفنون في طوكيو باليابان خلال العام الميلادي المقبل لأهم الكنوز والتحف والمقتنيات الخاصة بأباطرة الصين منذ ١٢٦٨م وإلى بداية هذا القرن.

توجد هذه المقتنيات حاليًا ضمن معروضات متحف القصر الإمبراطوري في بكين.

أستراليا ▼ وفاة فنان تشكيلي

توفي في لندن الرسام الأسترالي المعروف السير **سيدني مولان** عن عمر يناهز ٧٥ عامًا.

يعد **مولان** واحدًا من كبار الفنانين التشكيليين الأستراليين في القرن العشرين، حيث اشتهر في الخمسينيات والستينيات الميلادية قبل أن يطويه بساط النسيان، وعُرف بشغفه الشديد بالصحراء الأسترالية.

على موعد

الأرض الخراب

قــدّر لي أن أشـارك في مهـرجـان استروجـا الشعـري بيوغسلافيا أكثر من مرة. وكنت كلما انتهت أيام المهـرجـان أسرع لقضـاء بضعة أيـام في سراييفـو، تلك البقعـة الجميلة التي خصها الله بطبيعة خلابة رائعة.

وهذا المهـرجان السنوي كـان يضم أكثر من أربعين شـاعرًا على مستوى العـالم، ويقام على شاطئ بحيرة أهريد فـوق أحد جسور نهر دريـم (وهو جدول صغير جـدا لكنه يمنـح المنطقة جمالاً وخضرة وشاعرية خاصة).

ويجتمع الشعراء في ليلـة ساحرة من ليالي ألف ليلـة، يلقون أشعـارهم فـوق هـذا الجسر، كـلٌّ بطـريقتـه الخاصـة، ولغتـه القومية، ثم تترجم هذه الأشعـار وتلقي باللغة الصربيكرواتية، طوال أكثر من أربع ساعات يقف فيها جمهور الشعر ومحبوه على ضفتي النهـر الصغير بالألـوف يشجعون ويستمتعـون. وتنقل المهرجان وسائل الإعلام المختلفة إلى كل مكان في العالم.

وفي اليوم التـالي يتفرق الشعراء في جماعات يلقـون أشعارهم في مدن يوغسلافيا في الميادين العامة والحدائق، وكأنهم يعيدون أسـواق العـرب القديمـة، وتظل يـوغسـلافيا في هـذا العـرس الشعري لأكثر من عشرة أيام.

أمـا سراييفو فهي منطقـة تتسم بجمال خاص يلهم الشعـر والفن، فهي مثل العروس النائمـة في حضن جبل عالٍ ساحر، يمكن الصعود إليه بالسيارات أو (بالتليفريك).

والمدينة مقسمة إلى حيين كبيرين: حي شرقي يذكرنا بأحياء القاهـرة القديمـة وخان الخليلي، وحي آخـر (غربي) يختلف في أبنيتـه وشوارعـه وحتي من يقطنـونه. لكنني لم أكن أشعـر بأي تناقض بين الحيين، بل كنت أستشعـر ذلك التكامل الذي أراه مثلاً في مدينة مثل القـاهرة، يُضفي فيها كل حي جماله الخاص ويتكامل الحي الآخر.

ولست أدري كيف أصبحت سراييفو اليوم!؟

هل ما زالت شوارعها تمنح هذا الهدوء الجميل الذي يتسلل إلى الوجدان، وهذا الإشراق المتميز الذي يأسر العين؟

هل مـا زالت معـارضهـا الفنيـة منتشرة في كل شـارع وكل زقاق، تفتح أبوابها لعشاق الفن؟

هل ما زال الحي الشرقي يمنح عبـق الأصالة والقـدم الذي يعيدنا إلى تاريخ هذه المنطقة العريق مع الفتح الإسلامي؟

هل ما زال الجبل العالي هناك منطقـة سياحية يلجأ إليها من يطمع في الهدوء والسكينة والاستمتاع بالجمال؟

أم أنها أصبحت الأرض الخراب؟!

ورضي العـالم تمامـا بهذا الدمـار الـذي أتى على كل شيء: الضمير، النفوس، العقول، الخضرة، الجمال، الحب الإنساني!

يشق عليّ يا سراييفو أن أتصورك عـروسًا لبست ثوب الحداد على عشاقها وأطفالها الأبرياء!

أحمد سويلم